المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
كلية الدعوة والإعلام - الدراسات العليا
قسم الدعوة والاحتساب

الدعوة الإسلامية في جمهورية أوزبكستان بعد زوال السيطرة الشيوعية

(الجزء الأول)

(بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الدعوة إلى الله)

إعداد الطالب

وليد بن إبراهيم العنجري

إشراف الدكتور

أحمد بن سيف الدين

١٤١٧ هـ - ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على أشرف الخلق ، وأكرم المرسلين ؛ الحمد لك ربي أنت المعز المذل ، الخافض الرافع ، مالك الملك ، لا إله إلا أنت ، سبحانك ﴿ **تؤتي الملك من تشاء ، وتَنزع الملك ممن تشاء ، وتُعز من تشاء ، وتُذل من تشاء ، بيدك الخير إنك على كل شيء قدير** ﴾[1] ، فكم من أمم قد رُفعت ، وكم من أمم قد خُفضت . . ذلك بما قدمت أيديهم ، وماربك بظلام للعبيد ، ﴿ **سنة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً** ﴾[2] .

أما بعد :

فقد لمست الحاجة الماسة إلى دراسة واقع الدعوة الإسلامية في جمهورية أوزبكستان بعد الزيارة التي قمت بها إلى هناك في صيف عام ١٤١٢هـ ـ ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) مع وفد الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بدولة الكويت ، بهدف بناء بعض المساجد والمشاريع الأخرى ؛ وبعد أن أكرمني الله بالالتحاق ببرنامج الدراسات العليا في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، دفعني الشعور بالمسئولية تجاه إخواني هناك إلى اختيار هذا الموضوع للبحث فيه رغم مايكتنفه من مشقة كبيرة ؛ فلئن عُذر المسلمون ـ

---

(١) من سورة آل عمران : ٢٦ .

(٢) من سورة الأحزاب : ٦٢ .

بعض الشيء لعدم تواصلهم مع إخوانهم خلال حقبة العهد الشيوعي البلشفي بسبب الستار الحديدي والأغلال المضروبة عليهم ، فما الذي يعذرهم اليوم ؟!

إن اليوم الذي أُعلن فيه عن تفكك الاتحاد السوفيتي السابق في شهر ذي الحجة من عام ١٤١١هـ (الموافق شهر أغسطس من عام ١٩٩١م) ، لهو يوم بهيج في تاريخ المسلمين هناك ، زالت فيه كثير من الأغلال والأصفاد عنهم، بعد تحطم الحزب الشيوعي ، وتحطيم أصنام لينين الذي أذاق المسلمين ألواناً من العذاب والآلام .

وتزداد اليوم حاجة إخواننا ـ أحفاد الإمام البخاري والترمذي والشاشي القفال ـ إلى التواصل ، فإن لهم علينا حق المؤازرة والمساندة والنُصرة بعد أن كادت معالم الشخصية الإسلامية فيهم أن تضمحل أو تذوب .

تزداد اليوم حاجة إخواننا إلى من يأخذ بأيديهم ـ برفق وتؤدة ـ إلى صراط الله المستقيم ، فقد أنهكتهم سنوات عجاف طوال من البطش والتجهيل والتقتيل والتنكيل . . إنهم بأمس الحاجة إلى إيمان خالص لاتشوبه شوائب الشك التي زرعها الملحدون ، أو غوائل الشرك التي يبذرها الوثنيون والمنصرون ، أو مهلكات الشقاق والقطيعة التي يريدها لهم أعداء الإسلام والمتربصون .

إن التواصل المنشود والمؤازرة المطلوبة التي تهدف إلى تعزيز روح الانتماء لهذا الدين العظيم ، وتلك الأمة الكبيرة ، وذلك التاريخ المجيد ،

لاينبغي أن تُبنى جسورها على الارتجال والعشوائية ، بل لابد من بحوث علمية ، ودراسات ميدانية تنظر إلى الأمور بموضوعية وواقعية من أجل أن يُبنى هذا التواصل على قواعد راسخة ، ومنطلقات صحيحة تعصمه عن كثير من المزالق ، وتقود إخواننا نحو مستقبل أفضل ، ومكانة أعز تليق بمكانة الأمة الوسط التي اختارها الله شاهد صدق على البشرية جمعاء .

ويأتي هذا البحث إسهامًا في ذلك التواصل والتواد ، ودراسة موضوعية ميدانية لواقع الدعوة الإسلامية في جمهورية أوزبكستان بعد زوال السيطرة الشيوعية ، يقف فيها القارئ الكريم على كثير من جوانب ذلك الواقع ، فقد عرضت في الفصل الأول قيام الثورة الشيوعية وسيطرتها على جمهورية أوزبكستان ، ثم تطرقت لوسائل الشيوعيين لطمس الهوية الإسلامية ، وكذلك وسائل المسلمين للحفاظ على الهوية والدين .

ثم استعرضت في الفصل الثاني القائمين بالدعوة من المؤسسات والأفراد ، فتناولت جهود المؤسسات الإسلامية الداخلية والخارجية ، عارضاً أهداف ومنجزات العديد منها ، ثم ترجمت لأبرز العلماء ، وبعض طلبة العلم هناك . وفي الفصلين الثالث والرابع عرجت لبيان أولويات الدعوة ، وقضاياها العامة ، بالإضافة إلى وسائلها وأساليبها ، والتي استخلصتها من لقاءات وحوارات أجريتها مع العديد من العلماء والدعاة والباحثين في مناطق عدة من جمهورية أوزبكستان ، وأصّلت بعض تلك الأولويات والقضايا والوسائل والأساليب تأصيلاً شرعياً .

وتحدثت في الفصل الخامس والأخير في عوائق الدعوة ، حيث قسمتها إلى عوائق داخلية وخارجية ، فتناولت العديد من العوائق التي تقف حجر عثرة في طريق المسيرة الراشدة للدعوة ، ومن أهم تلك العوائق الداخلية الجهل بتعاليم الإسلام ، وانتشار التصوف والبدع والخرافات التي تضرب أطنابها في بعض مدن أوزبكستان ، ثم عرجت على العوائق الخارجية حيث طرقت العديد منها ، فتناولت ـ على سبيل المثال ـ الخطر المحدق الذي يحيط بأبناء الإسلام هناك من دعوات التنصير ، والحركات الهدامة الأخرى ، فاستعرضت بالتفصيل والتوثيق جهود المؤسسات التنصيرية الهدامة ، والتي برزت كالذئاب المسعورة في ثياب الواعظين فور انهيار الاتحاد السوفيتي السابق ؛ ثم بينت سبل مواجهة العوائق الداخلية والخارجية .

وختمت البحث بأهم النتائج والتوصيات التي توصلت إليها بعد دراسة علمية نظرية ، وميدانية عملية زادت عن السنتين ونصف ، بذلت فيها قصارى جهدي في جميع مراحل البحث ؛ وطفت بالعديد من العواصم والمدن لجمع المادة العلمية ، فبالإضافة إلى طشقند ومدن جمهورية أوزبكستان ، زرت مكة المكرمة والمدينة المنورة ومدينة جدة مرات عدة ، كما زرت مدينة اسطنبول ، وموسكو ، وغيرها ، حيث التقيت بالعديد من الباحثين والمهتمين والمهاجرين ، وزرت دور النشر والمراكز العلمية والمكتبات لاستقصاء المعلومات ، وقد استلزمت جهود البحث ترجمة أجزاء أو فصول من كتب شملت لغات عدة ، هي الأوزبكية والتركية والروسية ؛ فقد قام بالترجمة عن الأوزبكية ثلاثة من طلاب العلم الأوزبك المجيدين للغة

العربية، أما التركية فقد قام بترجمتها الدكتور عبدالله سالم ، وهو أستاذ من الأردن يتقن اللغة التركية إذ أنه قد أتم دراساته العليا في جامعة اسطنبول ، أما الروسية فقد قام بنقلها إلى العربية الدكتور جهاد بن يونس الذي حصل على شهادة الدكتوراة من جامعة طشقند ؛ وعلى ذلك فإن كثيراً من المادة العلمية التي احتواها البحث غير مسبوقة في المصادر العربية .

والله أسأل أن يفوز كاتبه بالقبول منه ـ جل وعلا ـ ، ثم من عباده الصالحين ، وأن ينفعني به وينفع سائر المسلمين ؛ فإن حقق الله ذلك فهو محض فضل ورحمة ، وهو سبحانه أهل التقوى وأهل المغفرة . ﴿ **ربنا لا تؤاخذنا إن نسينا أو أخطأنا ربنا ولاتحمل علينا إصراً كما حملته على الذين من قبلنا ربنا ولاتحمّلنا مالا طاقة لنا به واعف عنا واغفر لنا وارحمنا أنت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين** ﴾[1] ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

كتبه : **وليد بن إبراهيم العنجري**

في ١٦/ محرم / ١٤١٧هـ

الموافق ٢ / ٦ / ١٩٩٦م

بمدينة الرياض

---

(١) من سورة البقرة : ٢٨٦ .

شكر وتقدير

إني لأرى حقًا علي أن أزجي الشكر الوافر ، والثناء العاطر إلى كل من أعانني في عملي هذا بأي شكل من أشكال العون .

وأول الشكر وآخره ، ومبدأ الحمد ومنتهاه لولي الحمد ، وأهل الثناء والمجد ، ذي المنن الجزيلة ـ سبحانه ـ ، خالقي ورازقي ومولاي .

وأقدم الشكر لحكومة المملكة العربية السعودية على جهودها الكبيرة في مجال الدعوة الإسلامية وخدمة العلم الشرعي ، ونصرة المسلمين وقضاياهم .

كما أقدم شكري إلى أستاذي وشيخي الدكتور أحمد بن سيف الدين ـ رئيس قسم الإعلام في كلية الدعوة والإعلام بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ـ على عنايته الفائقة ومتابعة الإشراف ، حيث كان رحب الصدر والبيت ، وكان لملاحظاته وتوجيهاته أكبر الأثر في تقويم هذا البحث .

وأخص بالشكر أيضاً كلاً من :

د . عادل عبدالله الفلاح
د . جاسم بن مهلهل الياسين
د . محمد علي البار
د . محمد يعقوب التركستاني
الشيخ محمد صادق محمد يوسف
أ . محمد يلدز
د . جهاد بن يونس
د . أحمد توتنجي
الشيخ عبدالحميد الداغستاني

ومشايخ جمهورية أوزبكستان ودعاتها الذين أفادوني بكثير من المعلومات ، ولصاحبي الفضيلة المناقشين الكريمين وهما الدكتور مانع بن حماد الجهني ، والدكتور أحمد بن محمد أبابطين أقدم الشكر على ما أمضيا من وقت وجهد في سبيل قراءة هذا البحث وتقويمه وتسديده .

ولا أنسى أن أشكر كل من أفادني بمعلومة أو ملاحظة أو مرجع من الأساتذة والزملاء ، فجزاهم الله تعالى جميعاً خير الجزاء .

أهمية الموضوع وسبب اختياره :

إن الدوافع التي جعلتني أتوجه لاختيار هذا الموضوع كثيرة ، منها :

(١) أن الاهتمام بأمر المسلمين عامة مما دعت إليه الشريعة الإسلامية ، وأمر به الكتاب العزيز والسنة المطهرة في أكثر من موضع ، يقول المصطفى ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1] .

(٢) أن كثيراً من المسلمين يجهلون إلى حد كبير تاريخ أمتهم في بلاد ما وراء النهر ، إنهم يجهلون جهلاً تاماً أن الاتحاد السوفيتي السابق بأكمله كان أرضاً خاضعة للإسلام ـ حتى « موسكو » نفسها ـ وأن أغلب مناطقه كانت ـ ولا تزال ـ آهلة بالمسلمين ، وأن الإسلام قد دخلها منذ القرن الهجري الأول .

(٣) أن ما أصاب المسلمين في ذلك البلد من فاجعة عظيمة في مطلع هذا القرن وخلاله على يد (لينين) و (ستالين) وأتباعهما تحتاج من الباحثين المسلمين إلى توثيقه ، والكشف عنه .

(٤) أن علماء الإسلام من أبناء ذلك البلد ضربوا أروع المثل في الجهاد والاستشهاد ، والدعوة والتعليم ، فكان من حقهم علينا أن نترجم لهم وننوّه

(١) متفق عليه : رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري لابن حجر ٢٠/ ٤٥٢ كتاب الأدب ، باب رحمة الناس والبهائم ، من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه ، رقم الحديث (٢٧) ، ورواه مسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠ ، كتاب البر والصلة ، باب تراحم المسلمين وتعاطفهم وتعاضدهم .

بفضلهم ، وكان من حقهم علينا أن نسجل بعضًا من مآثرهم وصفحات من جهادهم الرائع الذي جعله الله سبباً لحفظ الإسلام في تلك الديار ، رغم ما واجهه من حرب إبادة وإذابة في عهد البلاشفة الشيوعيين .

(٥) أن حاجة إخواننا ملحة إلى من يعينهم على تلمس الطريق القويم ، المبني على هدي من كتاب الله الكريم وسنة رسوله ﷺ .

(٦) أن التواصل مع إخوة الإيمان والعقيدة في المشرق الإسلامي غدا واجباً شرعياً ، لتفويت الفرصة على أعداء الإسلام من الوثنيين والمنصّرين الذين يحاولون ـ جاهدين ـ أن يثبتوا أقدامهم هناك .

(٧) جدة الموضوع ، وندرة الدراسات العلمية الجادة فيه .

(٨) رغبتي في بحث موضوع ذي علاقة مرتبطة بواقع المسلمين المعاصر ، للإسهام في النهوض بهذا الواقع .

أهـــداف البحـث :

(١) بيـان واقع الدعـوة الإسـلاميـة في جـمـهـورية أوزبكسـتـان إبان السـيطرة الشـيـوعـيـة عليـهـا ، للوقـوف على أسـاليب أعـداء الإسـلام في محاربته .

(٢) دراسة حـاضـر الدعـوة الإسـلامية في جـمهـورية أوزبكستان بعد زوال السيطرة الشيوعية .

(٣) الإسـهـام في إبراز دور العلمـاء والدعـاة إلى الله تبـارك وتعـالى في نشر الإسلام رغم قساوة الظروف التي تحيط بهم ، والترجمة لأبرز العلمـاء، وبعض طلبة العلم .

(٤) التعـرف على أولويات الدعـوة ، وأهـم قـضـايـاها العـامـة في هذه المرحلة الهامة التي تمر بها أوزبكستان .

(٥) الوقـوف على الأسـاليب والوسـائل التي تستخـدم لنشر الدعـوة إلى الله خلال المرحلة الراهنة .

(٦) التعرف على أهم العـوائق الداخلية والخـارجية التي تعترض طريق الدعاة ، وسبل مواجهة تلك العوائق .

الدراسات السابقة :

من خلال البحث في الرسائل العلمية الجامعية ـ من مظانها ـ لم يجد الباحث أية رسالة علمية جامعية تناولت موضوع (الدعوة الإسلامية في جمهورية أوزبكستان) ، سواء كان هذا التناول للفترة قبل سقوط السيطرة الشيوعية أو بعدها ، مع العلم أن جهود البحث قد شملت الذهاب إلى الجامعات المعنية داخل المملكة العربية السعودية ، حيث اطّلع الباحث على فهارس الرسائل العلمية لتلك الجامعات .

أما بالنسبة للتراكمات العلمية من الكتب التي تناولت في بعض فصولها « جمهورية أوزبكستان » فهي قليلة ، بعضها قد ألف قبل زوال السيطرة الشيوعية ، والبعض الآخر قد ألف بعد ذلك ؛ فمن أهم الكتب التي ألفت قبل زوال السيطرة الشيوعية مايلي :

(١) « المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ » ، تأليف الدكتور / محمد علي البار ، وهو يقع في جزءين ، وقد تناول جمهورية أوزبكستان بشكل مستقل في (٧) صفحات فقط .

(٢) « التاريخ الإسلامي » تأليف محمود شاكر ، وقد تناول موضوع «المسلمون في الامبراطورية الروسية » في الجزء (٢١) منه ، حيث ذكر «تركستان فيما لا يتجاوز (٢١) صفحة .

(٣) « المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفييتي » تأليف الكسندر بينيغيسن ، وشانتال لومييريه ، وترجمة عبدالقادر ضللي ، وقد تناول «جمهورية أوزبكستان » في (٧) صفحات فقط .

أما الكتب التي ألفت بعد زوال السيطرة الشيوعية ، فمن أهمها مايلي :

(١) « الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر» تأليف الدكتور محمد عبدالقادر أحمد ، وقد تناول جمهورية أوزبكستان في صفحات قليلة لم تتجاوز (١٩) صفحة ، علماً بأن طبعته الأولى كانت عام ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) .

(٢) « مستقبل الإسلام في روسيا وما وراء النهر » تأليف أحمد رائف ، ولم يتطرق مؤلفه لجمهورية أوزبكستان بشكل مستقل ، علماً بأن طبعته الأولى كانت عام ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) .

(٣) « روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى ومحنة الانفتاح الجديد ١٩٩٠ ـ ٢٠٠٠م » تأليف الدكتور محمد عبده يماني ، وقد تناول « جمهورية أوزبكستان » بشكل مستقل في (٦) صفحات فقط ، ولم يذكر فيه سنة الطبع .

هذا ومما يلاحظ على جميع الكتب السابقة مايلي :

(١) أن المجموعة الأولى تناولت الفترة قبل زوال السيطرة الشيوعية فقط .

(٢) شح المعلومات المتعلقة بجمهورية أوزبكستان ، حيث أنها جميعاً تناولت الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق بشكل عام ، ولم يتحدث البعض منها عن أوزبكستان إلا في صفحات قليلة .

(٣) افتقار كثير من المعلومات التي وردت فيها عن جمهورية أوزبكستان إلى التحقيق والتوثيق العلمي .

من هنا تبدو أهمية دراسة واقع الدعوة الإسلامية في جمهورية أوزبكستان بعد زوال السيطرة الشيوعية دراسة علمية موثقة .

المشكلة البحثية :

- من خلال زيارتَيْ الباحث لجمهورية أوزبكستان [1] ، ومن خلال اللقاءات والمقابلات التي أجراها مع العاملين في حقل الدعوة الإسلامية هناك ، ومن خلال القراءة المركّزة والفاحصة لأهم المصادر الرئيسة والتقارير الصادرة عن الهيئات والمنظمات الإسلامية منها وغير الإسلامية ، خلص الباحث من ذلك إلى نتيجة مذهلة جديرة بالبحث وتقصي الحقيقة ، إذ أكّدت أن شعب أوزبكستان رغم سنيّ القمع الشيوعي والتنكيل الماركسي والعزل التام عن العالم الإسلامي لا يزال محافظاً على هويته الإسلامية وأصالته الدينية ، لكنه - في الوقت نفسه - ينفتح اليوم على العالم الخارجي انفتاحاً غير منضبط مما قد يعرض ذلك المجتمع المسلم إلى منعطفات ومزالق لا تُحمد عقباها . .

وأعتقد أن مشكلة البحث تتحدد في التساؤل الرئيس التالي وهو :

ما واقع الدعوة الإسلامية في جمهورية أوزبكستان بعد زوال السيطرة الشيوعية ؟

ويتفرع من هذا التساؤل الرئيس الأسئلة التالية :

(١) ما أحوال المسلمين وواقع الإسلام خلال الحقبة التي سبقت

---

(١) تمت الزيارة الأولى في صيف عام ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) ، قبل القيام بالبحث ، أما الزيارة الثانية فقد تمت خلال شهري ربيع الأول وربيع الثاني من عام ١٤١٥هـ ، الموافق سبتمبر وأكتوبر من عام (١٩٩٤م) .

السيطرة الشيوعية .

(٢) كيف بدأت الشيوعية وكيف انتشرت ، وكيف استطاع المسلمون الحفاظ على هويتهم رغم اتباع الملاحدة أشد أنواع الاضطهاد ؟

(٣) ما جهود المؤسسات الدعوية والعلماء ؟ وما المعوقات التي تعترض طريقهم ؟

(٤) ما أولويات الدعوة ؟ وما قضاياها العامة التي تشغل بال الدعاة حالياً ؟

(٥) ما عوائق الدعوة التي تعترض سبيلها ؟ وكيف يتم تجاوزها ؟

منهـــج البحـــث :

بما أن البحث يتعلق بدراسة واقع الدعوة الإسلامية في جمهورية أوزبكستان بعد زوال الشيوعية ، فقد سلكت منهجية محددة تقوم على الدقة في توثيق المعلومات والتسلسل المنطقي لها من حيث الامتداد الموضوعي والتدرج التاريخي ، وقد اتبعت في ذلك المناهج التاليه :

(١) المنهج التاريخي :

ويعتمد هذا المنهج على « جمع الحقائق العلمية وتمحيصها وتنظيمها »[١] وإبراز الأحداث التاريخية خلال الحقبة الزمنية المراد بحثها .

وعلى ذلك فإنني جمعت المعلومات من مصادرها ، ثم نظمتها ـ بعد تمحيصها ـ لأستخلص بعد ذلك الأحداث والمواقف التاريخية التي تخدمني في مجال البحث ؛ ولم أكتف بما ورد في مصادر الكتب من معلومات تاريخية ، بل استعنت كذلك برواية الثقات من الرجال ، خصوصًا فيما يتعلق بتاريخ حقبة العهد الشيوعي .

(٢) المنهج الوصفي التحليلي :

« يعتمد ـ هذا المنهج ـ على دراسة الواقع أو الظاهرة ، كما توجد في الواقع ويهتم بوصفها وصفًا دقيقًا ويعبر عنها تعبيرًا كيفيًا أو تعبيرًا كميًا .

---

(١) د. غانم سعيد العبيدي (أساسيات البحث العلمي بين النظرية والتطبيق) ص ٢١٥ ، ط دار العلوم ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م .

فالتعبير الكيفي يصف لنا الظاهرة ويوضح خصائصها ، أما التعبير الكمي فيعطينا وصفًا رقميًا يوضح مقدار هذه الظاهرة أو حجمها ودرجات ارتباطها مع الظواهر المختلفة الأخرى .

والمنهج الوصفي مرتبط - منذ نشأته - بدراسة المشكلات المتعلقة بالمجالات الإنسانية ومازال هذا هو الأكثر استخدامًا في الدراسات الإنسانية حتى الآن »[١] .

والهدف من الوصف والتحليل قد يكون مجرد الرصد من أجل الفهم، وقد يكون الهدف منه تقويم أوضاع قائمة ، وقد يكون لأغراض عملية مباشرة[٢] .

وكل ماسبق من أهداف هي مرادنا ومبتغانا في هذا الموضع ؛ فرصد الواقع الدعوي في أوزبكستان يهدف إلى فهمه ، ومن ثم تقويمه ، ومعيار التقويم - بلا ريب - هو الدليل الشرعي المستنبط من الكتاب والسنة .

كما أن الهدف من استخدام منهج الوصف والتحليل ، هو اتخاذ الإجراءات العملية المباشرة على أسس صحيحة وفهم سليم لمعطيات الواقع الأوزبكي ، التي تساعد المعنيين على تجنب الوقوع في الأخطاء والعثرات .

ويرى كثير من المهتمين بمناهج البحث ، أن البحوث الوصفية لابد أن ترتكز على أسس عدة ، منها :

---

(١) د. عمار بوحوش ، د. محمد الذنيبات (مناهج البحث العلمي : أسس وأساليب) ط : الأولى ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م، مكتبة المنار - الأردن ، ١٢٧ .

(٢) المرجع السابق : ١٢٧ - بتصرف - .

(أ) إمكان الاستعانة بمختلف الأدوات المستخدمة للحصول على البيانات ، كالمقابلة ، والملاحظة ، وتحليل الوثائق [١] .

وكل تلك الأدوات قد استعان بها الباحث ، فمن أجل الحصول على معلومات موثقة حرص الباحث على مقابلة العلماء وطلبة العلم والباحثين داخل أوزبكستان وخارجها . ولم يتم الاكتفاء بمصدر واحد للمعلومة ـ قدر الإمكان ـ ، مع ملاحظة الظواهر وتفسيرها وتقويمها ، وإيجاد العلاقة بين الظواهر المختلفة ، وتحليل البيانات والوثائق التي جمعت من أرض الواقع ، ومن بعض العواصم الراصدة والمهتمة بالواقع الأوزبكي ؛ للوصول إلى بعض الحقائق العامة .

(ب) « تعتمد الدراسات الوصفية ـ غالباً ـ على اختيار عينات ممثلة للمجتمع الذي تؤخذ منه ، وذلك توفيراً للجهد والوقت ، ولغيرها من تكاليف البحث » [٢] .

ولقد بذلت وسعي أن أنهج نهجًا علميًا خالصًا ، غير مشوب بغرض من هوى ؛ أو تعصب لرأي ، وكان هدفي هو الوصول إلى الحقيقة العلمية فيما يتعلق بواقع الدعوة الإسلامية في ذلك القطر المسلم .

---

(١) د. عمار بوحوش ، د. محمد الزنيبات (مناهج البحث العلمي : أسس وأساليب) ١٢٩ ـ بتصرف ـ .

(٢) المرجع السابق : ١٢٩ .

حـــدود البحـث :

(أ) البعد المـكانـي :

جـمـهـورية أوزبكستان، والتي تبلغ مسـاحتـهـا (٤٤٧,٨٠٠ كم٢)، ويحدها من الجنوب أفغانستان ، ومن الشرق طاجكستان ، ومن الغرب والجنوب الغربي تركمانستان ، ومن الشمال قازاخستان .

(ب) البعد الزمـاني :

سـتتناول الدراسـة بصـورة رئيسـة الفترة الزمنية من سنة ١٤١١هـ إلى ١٤١٦هـ (من ١٩٩١ إلى ١٩٩٦ م) ، كما ستتناول الفترة الزمنية قبل ذلك بإيجـاز ، وخصـوصاً فـترة السيطرة الشيـوعيـة على ذلك البلد ؛ لارتبـاطه المباشر وتأثيره الكبير في حاضر الدعوة الإسلامية هناك .

* تقسيم البحث :

- قسمت البحث إلى مقدمة وتمهيد وأربعة فصول وخاتمة ، على النحو التالي :

* **المقدمة** : وتتضمن مايلي :

- أهمية الموضوع ، وسبب اختياره .
- أهداف البحث .
- الدراسات السابقة .
- المشكلة البحثية ، وتساؤلات الدراسة .
- منهج البحث .
- حدود البحث .
- تقسيم البحث .

* **التمهيد** : ويتضمن مايلي :

- نبذة تاريخية عن منطقة آسيا الوسطى عامة ، وأوزبكستان خاصة .
- نظرة عامة لواقع جمهوريات آسيا الوسطى عامة ، وأوزبكستان خاصة .

الفصل الأول

الدعوة الإسلامية في جمهورية أوزبكستان

خلال السيطرة الشيوعية عليها

- المبحث الأول : قيام الثورة البلشفية وسيطرتها على جمهورية أوزبكستان .
- المبحث الثاني : وسائل الشيوعيين وأساليبهم لطمس الهوية الإسلامية .
- المبحث الثالث : وسائل المسلمين وأساليبهم للحفاظ على دينهم .

الفصل الثاني

القائمون بالدعوة إلى الله في جمهورية أوزبكستان

بعد زوال السيطرة الشيوعية

- **المبحث الأول** :المؤسسات .
  - المطلب الأول : المؤسسات الداخلية .
  - المطلب الثاني : المؤسسات الخارجية .
- **المبحث الثاني** : الأفراد :
  - المطلب الأول : العلماء .
  - المطلب الثاني : طلبة العلم .

الفصل الثالث

قضايا الدعوة إلى الله في جمهورية أوزبكستان

- **المبحث الأول** : أولويات الدعوة .

ـ المطلب الأول : البناء العقدي السليم .

ـ المطلب الثاني : التربية والتعليم .

ـ المطلب الثالث : إعادة بناء المساجد ، والمؤسسات الدعوية الأخرى .

المبحث الثاني : القضايا العامة .

ـ المطلب الأول : الاهتمام بالقرآن الكريم، قراءة وحفظاً وفهماً .

ـ المطلب الثاني : الأخذ بشمولية الإسلام .

ـ المطلب الثالث : الاهتمام بالمرأة المسلمة .

الفصل الرابع

وسائل الدعوة إلى الله وأساليبها في جمهورية أوزبكستان بعد زوال السيطرة الشيوعية

ـ **المبحث الأول** :الوسائل :

ـ المطلب الأول : ترجمة وطباعة الكتب .

ـ المطلب الثاني : استخدام وسائل الاتصال الحديثة .

ـ المطلب الثالث : وسائل أخرى متعددة .

ـ **المبحث الثاني** :الأساليب :

ـ المطلب الأول : الحكمة .

- المطلب الثاني : الموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن .

- المطلب الثالث : التدرج .

- المطلب الرابع : التواصل مع العالم الإسلامي .

الفصل الخامس :

عوائق الدعوة وسبل مواجهتها :

- **المبحث الأول** : عوائق داخلية :

- المطلب الأول : الجهل بتعاليم الإسلام .

- المطلب الثاني : الأزمة الاقتصادية ، والفقر .

- المطلب الثالث : انتشار البدع والخرافات .

- المطلب الرابع : التعصب العرقي والقومي .

- **المبحث الثاني** : عوائق خارجية :

- المطلب الأول : عدم الاستقرار الأمني والسياسي في آسيا الوسطى .

- المطلب الثاني : الحركة التنصيرية .

- المطلب الثالث : النشاط اليهودي .

- المطلب الرابع : الملل والمذاهب الهدامة .

- **المبحث الثالث** : سبل مواجهة العوائق :

- المطلب الأول : سبل مواجهة العوائق الداخلية .

- المطلب الثاني : سبل مواجهة العوائق الخارجية .

* **الخاتمة** : وتتضمن مايلي :

أ- أهم النتائج .

ب- توصيات واقتراحات عامة .

التمهيد

* أولاً : نبذة تاريخية عن منطقة التركستان عامة، وأوزبكستان خاصة :

إن المتتبع لواقع منطقة آسيا الوسطى قبل الفتح الإسلامي يدرك أن حالة التفكك والصراع هي السمة البارزة ، حيث التفرقة الطبقية والظلم الاجتماعي ؛ وبالنسبة للدين فإن الطبقة الحاكمة كانت تدين بالزرادشتيه [١] ـ وفقا لما كان عليه الحال في إيران ـ أما الشعب فقد كان بعضه يدين بالبوذية [٢] ، والبعض الآخر بالنسطورية [٣] [٤] .

وكانت بداية دخول الإسلام منطقة التركستان في عهد مبكر زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب [٥] ـ رضي الله عنه ـ ، وإن من يتتبع تاريخ

(١) الزرادشتيه : مذهب ديني أسسه زراداشت (حوالي القرن ٧ ، ٦ ق . م) ثم أضيفت إليه بعض الإضافات ، وكتابه المقدس يحتوي على نصوص محرفة مكتوبة بلغة إيرانية قديمة . (الموسوعة العربية الميسرة . ط : دار إحياء التراث العربي ـ ١/ ٩٢١) .

(٢) البوذية : نسبة إلى بوذا ، وهو اللقب الذي أطلق على الزعيم الديني الهندي الذي أسس مذهب البوذية ، تتسم قصة حياته بطابع الأساطير ، ولكن المتفق عليه عموماً هو أنه ولد حوالي (٥٦٤ق . م) وتوفي حوالي (٤٨٣ ق . م) (المصدر السابق ١/ ٤٢٦) .

(٣) النسطورية : بدعة ظهرت في القرن (٥م) ، قال بها نسطوريوس بطريرك القسطنطينية حين اعترض على تسمية مريم العذراء بوالدة الإله ، وقد عارضه القساوسة ، ولم يبق من هذا المذهب إلا كنيسة فارس التي صارت الكنيسة النسطورية (المصدر السابق ٢/ ١٨٣٢) .

(٤) فاسيلي بارتولد (تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي) ط : المجلس الوطني للثقافة والفنون ـ الكويت ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م : ٢٩٧ ـ ٢٩٨ ـ باختصار .

(٥) عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ أمير المؤمنين ـ ابن نفيل بن عبدالعزى بن رباح بن عبدالله القرشي العدويّ ، أبو حفص . ولد بعد عام الفيل بثلاث عشرة سنة ، وكان من =

دخول الإسلام إلى بلاد فارس وما وراء النهر [١] يدرك عظمة هذا الدين الذي أشرقت أنواره على الكون ، وحمل لواء الدعوة فيه رجال صدقوا ماعاهدوا الله عليه ، فنشروا الإسلام في جزيرة العرب ، ثم حملوه فاتحين مظفَّرين إلى الشام والعراق وفارس وبلاد ما وراء النهر شرقاً ، ثم إلى مصر والمغرب العربي غرباً .

كانت سرعة انتشار هذا الدين في القرن الهجري الأول مذهلة بكل المقاييس البشرية ، ففي عهد الخليفة الراشد أبي بكر الصديق [٢] ـ رضي الله عنه ـ تم فتح بلاد الشام وثغورها ، ومصر والعراق [٣] .

وفي عهد الخليفة عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ تم استكمال فتح الشام ومصر والمغرب العربي والعراق ، وفتحت فارس وأذربيجان وأرمينيا وجورجيا (قزوين) وخراسان ، كما فتحت طبرستان واصطخر وسجستان

= أشراف قريش . أسلم رضي الله عنه بعد أربعين رجلاً وإحدى عشرة امرأة . كان إسلامه عزًا ظهر به الإسلام ، وشهد بدراً وبيعة الرضوان ، وكل مشهد شهده رسول الله ﷺ ، وولي الخلافة بعد أبي بكر ، بويع له بها يوم مات أبو بكر رضي الله عنه ، فسار بأحسن سيرة ، وتوفي مقتولاً على يد عدو الله أبي لؤلؤة المجوسي ، وهو ابن ثلاثة وستين عاماً . (القرطبي : الاستيعاب ، ق: علي محمد معوض، عادل أحمد عبد الموجود ط : مكتبة دار الباز ، مكة المكرمة ١٤١٥ هـ ١٩٩٥م، ٣/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦ ـ باختصار ـ)

(١) المراد بالنهر : هونهر جيحون .

(٢) أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ : هو عبدالله بن أبي قحافة ، أول من أسلم من الرجال ، وأوّل الخلفاء الراشدين ، لقّب بالصديق لتصديقه النبي ﷺ في خبر الإسراء ، وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر ونصف شهر ، وتوفي السنة الثالثة عشر للهجرة . (آنظر : القرطبي : الاستيعاب ، ٤/ ١٧٧ . وانظر: خير الدين الزركلي : الأعلام ، ط: العاشرة ، دار العلم للملايين ، ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م، ٤/ ١٠٢ ـ باختصار ـ.

(٣) انظر : البلاذري (فتوح البلدان) ق: عبد الله أنيس الطباع، عمر أنيس الطباع، ط : مؤسسة المعارف ، بيروت ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م : ١٤٩ ـ ٣٣٧ .

وكابل وغيرها [١] .

أما في عهد الخليفة عثمان بن عفان [٢] - رضي الله عنه - فقد تم توطيد الفتح الذي تم في عهد أبي بكر وعمر - رضي الله عنهما - ثم توقّفت الفتوح عندما عصفت الفتنة بالمسلمين ، وعادت - بعد ذلك - في خلافة معاوية بن أبي سفيان [٣] - رضي الله عنه - بعد عام الجماعة سنة ٤١هـ ، عندما سُلم بالأمر لمعاوية - رضي الله عنه - [٤] .

* الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر :

يمكننا تقسيم مراحل الفتح الإسلامي لبلاد ما وراء النهر إلى مرحلتين ، مرحلة أولى تتسم بعدم الاستقرار حيث لاتلبث تلك البلاد المفتوحة أن تنقض العهد . أما المرحلة الثانية فهي الفتح المستمر لتلك البلاد ، وهي ترتبط

---

(١) انظر : البلاذري (فتوح البلدان) ٣٥٠-٥٥٣ ، ابن الجوزي (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) ق : محمد عبدالقادر عطا ، وآخرون . ط الثانية : دار الباز ، مكة المكرمة ، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م : ٤/ ١٣١ - ٣٣٤ .

(٢) عثمان بن عفان : - رضي الله عنه - هو عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس بن عبد مناف القرشي الأموي ، يكنى : أبا عبدالله ، وهو ذو النورين ، وأمير المؤمنين . أسلم في أول الإسلام ، وهو أحد العشرة الذين شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة . (ابن الأثير : أسد الغابة - ط : دار الكتب العلمية ببيروت - ٣/ ٥٧٨ - ٥٧٩) .

(٣) معاوية بن أبي سفيان : - رضي الله عنه - : إسم أبي سفيان : صخر بن حرب بن أمية ، القرشي ، الأموي ، ومعاوية مؤسس الدولة الأموية في الشام ، أسلم يوم فتح مكة ، وجعله الرسول ﷺ من كُتابه ، تولى الخلافة بعد مقتل علي بن أبي طالب سنة ٤١هـ ، توفي في دمشق عام ٦٠هـ . (القرطبي : الاستيعاب ، ٣/ ٤٧٠ ، وانظر أيضاً : الزركلي : الأعلام ، ٧/ ٢٦١ - ٢٦٢) .

(٤) انظر : الإمام ابن الجوزي (المنتظم في تاريخ الملوك والأمم) ٥/ ١٨٣ .

بالفاتح الكبير قتيبة بن مسلم الباهلي [١] رضي الله عنه .

في عهد معاوية بن أبي سفيان ـ رضي الله عنه ـ عبر الصحابي الحكم بن عمرو الغفاري [٢] ـ رضي الله عنه ـ نهر جيحون سنة ٥٠هـ (٦٧٠م) وفتح بلاد الصغانيان ، ثم توالت الفتوح بعد ذلك ، ففتح « عبيد الله بن زياد » [٣] ـ رضي الله عنه ـ بخاري وبيكند سنة ٥٥هـ (٦٧٤ م) ، ثم فتح سعيد بن عثمان ـ رضي الله عنه ـ سمرقند ، وقد استشهد في تلك المعركة القُثم بن العباس ـ رضي الله عنه ـ ابن عم رسول الله ﷺ .

وفتح موسى بن عبدالله بن حازم [٤] ـ رضي الله عنه ـ مدينة ترمذ [٥]

---

(١) قتيبة بن مسلم الباهلي ـ رضي الله عنه ـ هو قتيبة بن مسلم بن عمرو بن حصين بن ربيعة الباهلي ، الأمير أبو حفص ، أحد الأبطال والشجعان ، ومن ذوي الحزم والدهاء والرأي ، وهو الذي فتح خوارزم وبخارى وسمرقند وكانوا قد نقضوا وارتدوا ، ولي خراسان عشر سنين (الذهبي : سير أعلام النبلاء . ط : مؤسسة الرسالة ٤ / ٤١٠) .

(٢) الحكم بن عمرو الغفاري ـ رضي الله عنه ـ هو : الحكم بن عمرو بن مجدّع الغفاري ، ويقال له : الحكم بن الأقرع ، صحابي ، صحب النبي ﷺ إلى أن مات ، وجهه زياد إلى خراسان في أيام معاوية ، فغزا وغنم وأقام بمرو ومات بها عام ٥٠هـ ، كان صالحًا فاضلاً مقدامًا ، وله رواية ، وحديثه في البخاري وغيره (القرطبي : الاستيعاب ، ١/ ٤١٢ ، وانظر : الزركلي : الأعلام ، ٢/ ٢٦٧) .

(٣) عبيدالله بن زياد ـ رضي الله عنه ـ هو : عبيدالله بن زياد بن أبيه ، وال فاتح من الشجعان ، وخطيب مفوه ، ولاه معاوية خراسان سنة ٥٣هـ ، ففتح رامثين ونصف بيكند ، وقُتل في (خازر) من أرض الموصل سنة ٦٧هـ . (الأعلام ٤/ ١٩٣) .

(٤) موسى بن عبدالله بن حازم ـ رضي الله عنه ـ : هو موسى بن عبدالله بن خازم السلمي ، أمير ، من الشجعان الأجواد . كان على جيش أبيه وهو أمير خراسان ، وقتل أهلُها أباه ثائرين ، فخرج موسى في جمع قليل يتنقّل في البلاد ويقاتل من اعترضه ، واحتل حصن (ترمذ) فجعله معقلاً له . وأقام به خمسة عشر عامًا إلى أن قُتل بها عام ٨٥هـ . (انظر الأعلام ٧/ ٣٢٤) .

(٥) مدينة ترمذ : مدينة مشهورة من أمهات المدن ، على نهر جيحون من جانبه الشرقي متصلة العمل بالصغانيان من جانبه الشرقي ، يحيط بها سور (ياقوت الحموي : معجم البلدان : ط ـ دار الكتب العلمية ـ ٢/ ٣١) .

سنة ٧٠هـ (٦٨٩م) ثم جاء قتيبة بن مسلم الباهلي ـ الذي يعتبر بحق فاتح بلاد ما وراء النهر ـ ووطد أركان دولة الإسلام هناك ابتداء من عام ٨٨هـ (٧٠٦م) إلى عام ٩٦هـ (٧١٤م) ، ووصلت جيوشه إلى حدود الصين حيث فتح مدينة كاشغر [١] ، واستقر ـ بعد ذلك الإسلام فيما يعرف اليوم بتركستان الشرقية وتركستان الغربية [٢] .

تولى قتيبة بن مسلم أمر خراسان من قبل الحجاج [٣] عام ٨٦هـ (٧٠٦م) في خلافة الوليد بن عبدالملك [٤] : فخطب في الناس وحثهم على الجهاد في سبيل الله [٥] ؛ ثم انطلق من مرو ـ قاعدته بخراسان ـ إلى بلاد ما وراء النهر ففتح الصغانيان سلماً ، ثم بيكند عنوة ، ثم فتح بخارى وسمرقند حيث اتخذ فيها مسجداً ، وخلف بها جماعة من المسلمين فيهم الضحاك بن

---

(١) مدينة كاشغر : في وسط بلاد الترك وأهلها مسلمون (ياقوت الحموي : معجم البلدان ٤ / ٤٨٨) وذكر المحقق في الهامش ، كاشغر : مدينة من بلاد الصين عامرة كثيرة الخيرات فيها متاجر وبضائع ، وهي على نهر صغير يأتي إليها من جهة شمالها من جبل قيطفورا .

(٢) د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ١/ ٣٧, ٣٨ ـ بتصرف ـ .

(٣) الحجاج : هو الحجاج بن يوسف بن الحكم الثقفي ، أبو محمد ، قائد ، داهية ، سفاك ، خطيب ، ولاه عبدالملك بن مروان مكة والمدينة والطائف ، ثم أضاف إليها العراق ، بعد أن قضى على عبدالله بن الزبير في مكة ، وأخمد الثورة في العراق ، مات بواسط عام ٩٥هـ (الأعلام ٢ / ١٦٨) .

(٤) الوليد بن عبدالملك : الخليفة ، أبو العباس الوليد بن عبدالملك بن مروان بن الحكم الأموي ، الدمشقي الذي أنشأ جامع بني أمية . فتح بوابة الأندلس ، وبلاد الترك ، وغزا الروم مرات في دولة أبيه . مات في جمادى الآخرة سنة ست وتسعين وله إحدى وخمسون سنة ، كان في الخلافة عشر سنين سوى أربعة أشهر (الذهبي : سير أعلام النبلاء ٤/ ٣٤٧) .

(٥) انظر : الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ط : دار الفكر ، ٧/ ٣٢٣ .

مزاحم [١]، ـ صاحب التفسير ـ، وفتح «كش» « ونسف» و«الشاش» وغيرها[٢]. يقول محمد علي البار : « لقد هدف قتيبة ـ قبل فتحه بخارى ـ الاستيلاء أولاً على المدن الصغيرة المحيطة بها ، كي يضمن عدم مساندتهم لأهل بخارى في صراعه معهم ، وقد نجح في إنجاز ذلك ، فاستولى على رامثين عام ٨٨هـ ، كما شن حرباً على فاراب ، ثم قاتل أهل كش ، ونسف، وانتصر عليهم ، وعاد ـ بعد ذلك ـ إلى مرو ليستجمع قواه ويبدأ الكرة ثانية .

ثم حاول قتيبة في عام ٩٠هـ (٧٠٩م) فتح بخارى ، فما إن عبر نهر جيحون حتى استصرخ « وردان » ـ ملك بخارى ـ أتراك ما وراء النهر للوقوف إلى جواره ، فما كان لقتيبة من خيار سوى مواجهة ذلك التحالف التركي الكبير ، ودار القتال سجالاً بين الفريقين حتى انتصر قتيبة في النهاية وفتح بخارى ، فصالحه ملك الصغد حينذاك ، وعاد قتيبة إلى مرو .

وفي عهد قتيبة أسلم ملك بخارى « طغشاده بن الخاتون » على يد قتيبة نفسه فأبقاه ملكاً على أرضه . فأنجب الملك ولدًا أسماه « قتيبة » تيمناً باسم الفاتح العظيم »[٣] . وقد أتم قتيبة فتح تركستان الغربية عام ٩٥هـ (٧١٥م) ، ثم اتجه إلى تركستان الشرقية فغزا كاشغر وفتحها[٤] .

(١) الضحاك بن مزاحم : هو الضحاك بن مزاحم البلخي الخراساني ، أبو القاسم ، مفسر ، كان يؤدّب الأطفال ويقال : كان في مدرسته ثلاثة آلاف صبي كان يطوف عليهم على حمار، له كتاب في التفسير ، وتوفي بخراسان عام ١٠٥هـ . (الأعلام ٣/ ٢١٥) .

(٢) البلاذري (فتوح البلدان) ، ٥٩٠ ـ ٥٩٤ ـ باختصار ـ .

(٣) د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ط : دار الشروق بجده، ١/ ٢٧٨ .

(٤) الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ط : دار الفكر ، ٧/ ٤٠٠ ، ،وانظر الخريطة (ص ٣٢) .

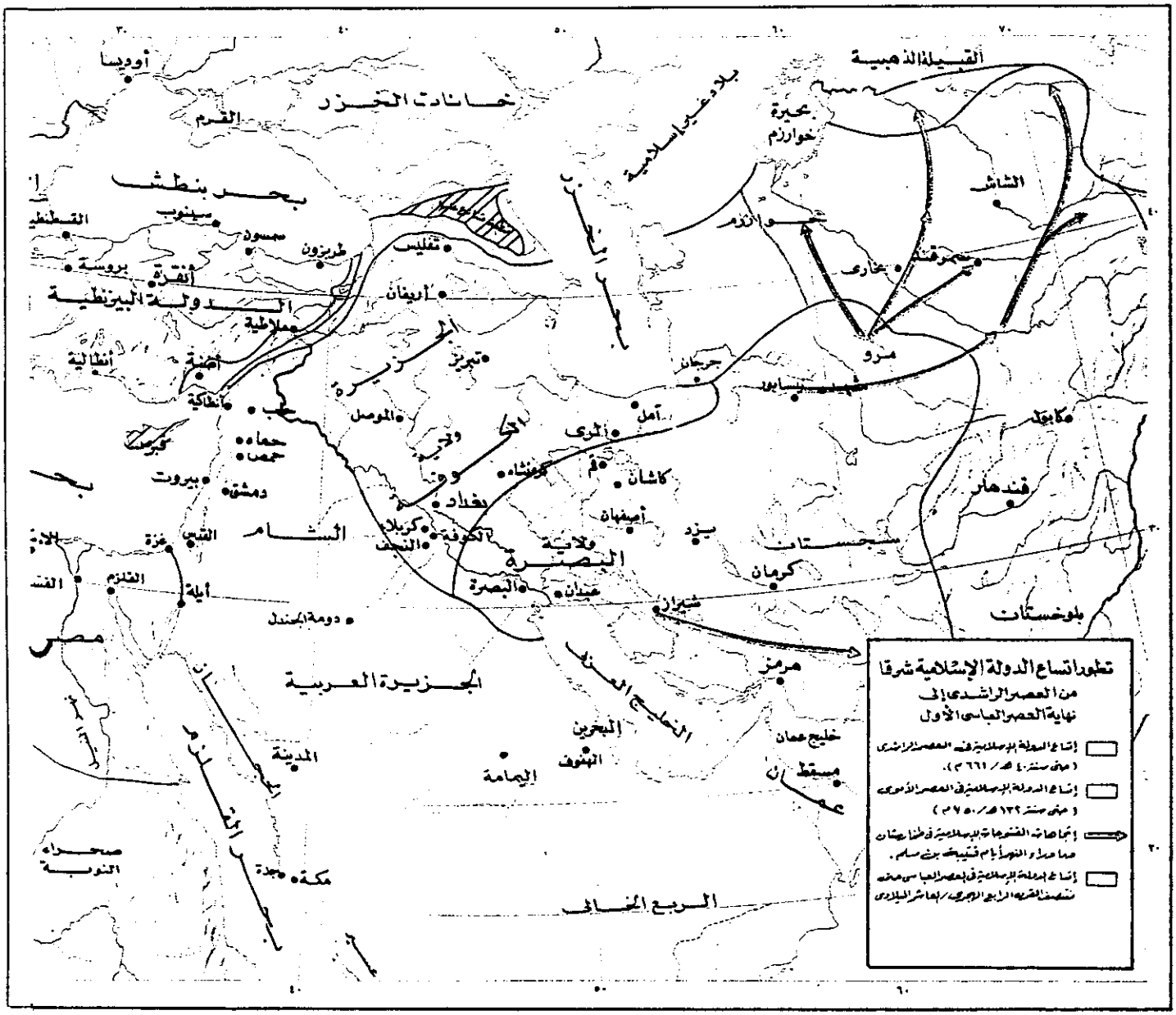

(خارطة رقم ١) : توضح تطور اتساع الدولة الإسلامية شرقاً

(المصدر : د. حسين مؤنس-أطلس تاريخ الإسلام ، ١٤٦)

* انتشار الإسلام في بلاد التركستان ، وأسبابه :

انتشر الإسلام في البلاد التي فتحها قتيبة واستقرت الدعوة فيها ، وأخذ الناس يدخلون في دين الله أفواجاً ، ويرجع الفضل في ذلك ـ بعد فضل الله ـ إلى أسباب عدة ، منها :

(١) ماتحمله عقيدة التوحيد من وضوح ويسر ، فهي لاتحتاج إلى إعمال فكر كبير للتدليل عليها ، لذا فإن العربي والأعجمي ، والصغير والكبير ، والجاهل والعالم ، لايجدون صعوبة في فهمها ، فهي تخاطب الفطرة السليمة وتنسجم معها ، يقول الله تعالى : ﴿ **فطرة الله التي فطر الناس عليها** ﴾ [١] .

(٢) حرص المسلمين على هداية الناس كافة ، وإدخالهم في دين الله تعالى ، ففي عهد قتيبة أسلم ملك بخارى « طغشادة بن الخاتون » على يد قتيبة نفسه ، وبقي ملكاً على أرضه [٢] .

(٣) عدل المسلمين وإنصافهم حتى مع الخصوم والأعداء ، يتجلى ذلك في فتح سمرقند ، حيث يذكر صاحب فتوح البلدان فيقول : « لما استُخلف عمر بن عبدالعزيز [٣] وفد عليه قوم من أهل سمرقند فرفعوا إليه أن

---

(١) من سورة : الروم : ٣٠ .

(٢) انظر : د محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ، ١/ ٢٧٨ .

(٣) عمر بن عبدالعزيز ـ رضي الله عنه ـ : هو عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم ، الأموي، القرشي ، أبو حفص ، وربما قيل له : خامس الخلفاء الراشدين تشبيهاً له بهم في الصلاح . بويع بالخلافة في مسجد دمشق سنة ٩٩هـ ، ولم تطل مدّته ، وقيل : دسّ له السم وهو بدير سمعان من أرض المعرة ، فتوفي به سنة ١٠١هـ بعد خلافة دامت سنتان ونصف السنة (انظر الأعلام ٥ / ٥٠).

قتيبة دخل مدينتهم وأسكنها المسلمين على غدر ، فكتب عمر إلى عامله يأمره أن ينصب لهم قاضياً ينظر فيما ذكروا ، فإن قضى بإخراج المسلمين أُخرجوا، فنصب لهم جُمَيْع بن حاضر الباجي فحكم بإخراج المسلمين على أن ينابذوهم على سواء ، فكره أهل مدينة سمرقند الحرب وأقرُّوا المسلمين، فأقاموا بين أظهرهم »[1] .

(٤) نشاط العلماء والدعاة المسلمين وحركتهم الدائبة في نشر الدعوة ، فقد أسلم كثير من أهل سمرقند على يد الداعية « صالح بن طريف » المكنى بأبي الصيداء[2] .

كما أسهم « نصر بن سيار »[3] بنشر الدعوة في بلاد ما وراء النهر عن طريق إسقاطه الجزية عمن أسلم ، واشتراطه شروطاً يسيرة على أهل الصفد، مقابل عودتهم من فرغانه إلى بلادهم[4] .

(٥) سياسة قتيبة الحكيمة في تثبيت دعائم الإسلام في البلاد التي تُفتح على يديه ، فقد كان يشترط في صلحه بناء مسجد ، كما كان يُبقي على بعض العلماء والدعاة عندهم كي يقوموا بدورهم بنشر الدعوة ، فعلى

---

(١) البلاذري (فتوح البلدان) ، ٥٩٣ .

(٢) د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ، ١/ ٢٧٨ .

(٣) نصر بن سيار : هو نصر بن سيار بن رافع بن جرى بن ربيعة الكناني . أمير من الدهاة الشجعان . كان شيخ مضر بخراسان ووالي بلخ . ثم ولي إمرة خراسان سنة ١٢٠هـ وغزا بلاد ما وراء النهر ، ففتح حصونًا وغنم مغانم كثيرة ، وأقام بمرو ، وقويت الدولة العباسية في أيامه . توفي سنة ١٣١هـ . (الأعلام ٨/ ٢٣) .

(٤) الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ٤/ ٢١١ ـ بتصرف ـ .

سبيل المثال ، لما فتح قتيبة سمرقند صالَحَ غَوْزك على ألفين ومائتي ألف درهم في كل عام ، وعلى أن يُصلّي في المدينة ، فدخلها وقد اتخذ له غوزك طعاماً فأكل وصلى واتخذ مسجداً ، وخلف بها جماعة من المسلمين ، فيهم الضحّاك بن مزاحم صاحب التفسير [١] ، ولا ريب أن هذه الجماعة كانت مهمتها دعوة الناس إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة .

(٦) أثر الأسر العربية التي هاجرت واستقرت في بلاد ما وراء النهر ، فقد كان لتلك الأسر التي صاهرت أبناء تلك البلاد أثر في غرس تعاليم الإسلام ، وتعليم اللغة العربية ، ويذكر محمد عبدالقادر أحمد أنه وبعد فتح تلك البلاد رحلت خمسون ألف أسرة عربية من البصرة والكوفة واستوطنت بلاد ما وراء النهر [٢] .

---

(١) البلاذري (فتوح البلدان) ، ٥٩٢ .

(٢) د محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ط : مكتبة النهضة المصرية ، ٢٠ ـ بتصرف ـ .

* الحكم الإسلامي والحضارة في التركستان :

بعد الفتح الإسلامي المظفر لبلاد ما وراء النهر ، وبعد دخول الناس في دين الله أفواجاً ، جاءت مرحلة الحكم الإسلامي التي تميزت بالحضارة والعلم ، وامتدت هذه المرحلة من أواخر القرن الأول ، إلى أوائل القرن السابع الهجري تقريباً ، عندما اجتاحت قوات جنكيز خان [1] بلاد المسلمين وأسقطت الدولة الخوارزمية ـ أكبر الدول الإسلامية التي قامت في بلاد ما وراء النهر ـ . فخلال تلك المرحلة الطويلة ـ التي زادت عن خمسة قرون ـ كان لمنطقة التركستان أثر كبير ومميز في رسم معالم الحضارة الإسلامية الزاخرة ، في وقت كانت فيه أمم الدنيا تتقلب في ظلمات الجهل والتخلف .

اتسمت الخلافة العباسية ـ بعد حوالي قرن من قيامها ـ ببعض مظاهر الضعف [2] ـ مما ساعد بعض حكام الأقاليم على الإعلان عن الاستقلال الجزئي عن الخلافة العباسية في مشرق العالم الإسلامي ومغربه ، وتكوين دويلات شبه مستقلة يأتي في مقدمتها الدولة الطاهرية والتي تأسست في خراسان وما وراء النهر ، واستمرت من عام ٢٠٥ إلى ٢٥٩هـ حيث كان سقوطها على يد « يعقوب بن الليث الصفار » ـ مؤسس الدولة الصفارية ـ .

---

(١) جنكيز خان : ملك التتار وسلطانهم الأول الذي خرب البلاد وأفنى العباد ، واستولى على الممالك ، وليس للتتار ذكر قبله . لم يكن يتقيد بدين الإسلام ولا بغيره ، وقتل المسلم أهون عنده من قتل البرغوث . له شجاعه مفرطة وعقل وافر ودهاء ومكر . وأول ظهوره كان سنة ٥٩٩هـ . (الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ٢٢/ ٢٤٣) .

(٢) انظر : الطبري (تاريخ الأمم والملوك) ٩/ ٢٢٧ ومابعدها .

كان للطاهريين أثر عظيم في ازدهار النهضة العلمية والزراعية والعمرانية التي شهدتها بلاد ما وراء النهر ، كما كان الطاهريون يتصفون بالحكمة وتشجيع العلم وحب العلماء ، وازدهرت التجارة خلال حكمهم ، وأقيمت كثير من مشاريع الري [١] .

وقامت بعد ذلك الدولة السامانية في الفترة من عام ٢٦١ إلى ٣٨٩ هـ .

أبدى آل سامان مهارة وحنكة في الحكم واستتب الأمن في عهدهم ، وازدهرت العلوم ، ونمت التجارة ، واهتموا بالزراعة والصناعة ، وبلغت بخارى في عهدهم شأواً بعيداً في الرقى حتى صارت مثابة للعلوم كلها ، يقول المستشرق فامبري في كتابه (تاريخ بخارى) : « إن عدد المدارس الجامعة ببخارى في عهد إسماعيل الساماني يزيد على نظائره في كل مدن آسيا » [٢]

وكان لآل سامان ـ وخاصة إسماعيل ـ فضلٌ كبير ـ بعد فضل الله ـ في نشر الإسلام في كثير من مناطق ما وراء النهر ومناطق الأتراك الشرقيين ، والبلغار ، على ضفاف نهر الفولغا ، إذ كانوا يبثون الدعوة إلى دين الله .

وفي أواخر عهد الدولة السامانية ظهرت بوادر تنامي قوة الدولة الغزنوية ، وكان من أشهر أمراء الدولة الغزنوية « سُبكتكين » [٣] الذي فتح

(١) د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ، ١/ ٢٨١ ، ٢٨٢ ـ بتصرف ـ .

(٢) المرجع السابق : ١/ ٢٨٤ ـ ٢٨٧ ـ بتصرف ـ .

(٣) سُبكتكين : صاحب بلخ وغزنه وغير ذلك . مات في شعبان سنة سبع وثمانين ومئة . كانت دولته نحواً من عشرين سنة ، وكان فيها عدل وشجاعة ونبل مع عسف . (الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ١٦/ ٥٠٠) .

أجزاءً من الهند في غزوات متتالية ابتداءً من عام ٣٦٦هـ (٩٧٦م) إلى عام ٣٨٧هـ (٩٩٧م) ، واستمرت الدولة الغزنوية تسيطر على خراسان ومعظم بلاد ما وراء النهر وأفغانستان وأجزاء واسعة من شبه القارة الهندية لما يزيد عن قرن من الزمن، ثم تقلص سلطانُها بسبب الخلافات الداخلية ، والحروب التي كانت تقوم بين أمرائها حتى ظهرت دولة السلاجقة [١] .

وقبل أن نطوي صفحة هذه الدولة ، تحسن الإشارة إلى بعض جوانب الحضارة التي تميزت بها ، إذ « بموت الأمير مسعود ـ الغزنوي ـ طويت صفحة حاكم مسلم نابه ، رعى العلم والعلماء ، والتفت التفاتاً كبيراً إلى الإنشاء والتعمير ، حتى غصت بلاده بالكثير من المدارس والمساجد والرباطات التي أقامها ، كما ازدهرت الصناعة بأنواعها المختلفة ، وانتعشت الزراعة والتجارة بشقيها الداخلي والخارجي » [٢] .

ظهرت بعد ذلك دولة السلاجقة ، وتوالى حكمهم عندما استولى السلطان السلجوقي « ألب أرسلان » [٣] على خراسان وجميع بلاد ما وراء

---

(١) السلاجقة : تنتسب إلى سلجوق ، مقدم عشيرة الغز التركية . ظهر السلاجقة في إيران في القرن العاشر ، واعتنقوا الإسلام على المذهب السني ، ولم يلبثوا أن سيطروا على خوارزم وإيران، بعد أن قضوا على الدولة البويهية بفارس .
(محمد شفيق غربال ـ الموسوعة العربية الميسرة ـ ط : دار إحياء التراث العربي ـ ١/ ٩٩٣).

(٢) د. أحمد محمد عدوان (موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي) ط : دار عالم الكتب ، ١٤٣ ، ١٤٤ ـ باختصار ـ نقلاً عن الساداتي في كتابه (تاريخ الدول الإسلامية بآسيا وحضارتها) .

(٣) ألب أرسلان : السلطان الكبير العادل ، عضد الدولة ، أبو شجاع ، ألب أرسلان ، محمد بن السلطان جفربيك ، داوود بن سلجوق التركماني الغزي . مات في رجب سنة إحدى وخمسين وأربع مائة (الذهبي ـ سير أعلام النبلاء ـ ٨٠/ ٤١٤) .

النهر وأفغانستان ، وامتد سلطانه إلى ديار بكر والشام ، وبلغت الدولة السلجوقية أقصى مداها على يد ملكشاه بن ألب أرسلان [١] .

أما فيما يتعلق بمعالم الحضارة الإسلامية ، فلابد أن نشير إلى ازدهار الحياة العلمية في ظل دولة السلاجقة ، حيث اهتم السلاطين برعاية العلوم والفنون والأدب ، فكثرت المدارس ، وكان الطلاب يجوبون البلاد لتلقي العلم على يد مجموعة من العلماء المسلمين ، الذين برزوا في مختلف العلوم [٢] .

استمر السلاجقة يحكمون خراسان وبلاد ما وراء النهر فترة من الزمن ، يتفقون حيناً فيما بينهم ، ويختلفون حيناً آخر ، حتى ظهرت الدولة الخوارزمية في خوارزم ، وامتد سلطانها ليشمل معظم بلاد ما وراء النهر وخراسان وشمال أفغانستان ، وكان مقر دولتها الجرجانية [٣] التي بلغت شأواً بعيداً في عهدها .

---

(١) انظر : د. محمد على البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ، ١/ ٢٨٩ ومابعدها .

(٢) انظر : د. أحمد محمد عدوان (موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي) ، ١٩٢ .

(٣) الجرجانية : اسم لقصبة إقليم خوارزم ، مدينة عظيمة على شاطئ ، جيحون وأهل خوارزم يسمونها بلسانهم (كركانج) فعربت إلى الجرجانية ، قال ياقوت الحموي : وكنت رأيتها في سنة ٦١٦هـ قبل استيلاء التتر عليها وتخريبهم إياها ، فلا أعلم أني رأيت أعظم منها مدينة ولا أكثر أموالاً وأحسن أحوالاً فاستحال ذلك كله بتخريب التتر إياها حتى لم يبق فيما بلغني إلا معالم (انظر : معجم البلدان ٢ / ١٢٢ ـ ١٢٣) .

أصيبت الدولة الخوارزمية بالترف ، كما أنها أصيبت بداء الصراع على السلطة مع منافسيها من الأيغور والسلاجقة وغيرهم ، مما أضعف دولتهم وجعلها لقمة سائغة لجيوش جنكيزخان عندما اجتاحها عام ٦١٨هـ (١٢٢١م) .

وقد كان لشاهات خوارزم أثر عظيم في نشر الإسلام في تركستان الشرقية وعند بلغار الفولغا ، وقاموا بدور هام في الحفاظ على الثقافة الإسلامية وتشجيع العلماء والدعاة ونشر الدعوة الإسلامية بين تلك الشعوب مما أدى إلى دخول كثير من القبائل التركية وقبائل بلغار الفولغا الإسلام[1] .

(١) د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ، ١/ ٢٩٢ ـ بتصرف ـ .

* الغزو المغولي لبلاد التركستان ، ثم دخولهم الإسلام :

كانت للمغول إمارة صغيرة في منغوليا [١] ، وآلت السلطة - في تلك الإمارة الصغيرة - إلى « تيموجين » بالوراثة ، ولم يكن هو إذ ذاك قد ناهز الثالثة عشر من عمره ، ولكن الفتى استطاع أن يصبح زعيماً لقبيلته قبل أن يبلغ العشرين من العمر ، واستطاع أن ينشر نفوذه بين جميع القبائل في شرق منغوليا سنة ٦٠١هـ (١٢٠٣م) .

ثم عقد تيموجين مؤتمراً عظيماً [٢] اجتمع فيه جميع زعماء القبائل ورؤسائها ، وأعلن « الشامان » - قسيس الديانة الشامانية - في هذا المؤتمر : (أن السماء قد خلعت على تيموجين لقب « جنكيزخان ») وكان عمره حينئذ قد بلغ الثانية والأربعين [٣] .

استطاع جنكيز خان في مدة قصيرة أن يؤسس جيشاً قوياً مدرباً أحسن تدريب ، وجلب من الأويغوريين ، والأتراك المسلمين ، ومن الصين أسلحة جديدة ومعدات حربية ليغزو بها العالم .

---

(١) منغوليا : هي أراضي شاسعة تقع في أواسط آسيا ، تحدها غرباً وجنوباً وشرقاً الصين ، وشمالاً روسيا . (انظر : الموسوعة العربية الميسرة ، ٢ / ١٧٦١) .

(٢) اسمه (مؤتمر قورولتاي) وهو مجلس الشورى المغولي . (رشيد الدين - جامع التواريخ ، ط : دار النهضة العربية - ٦) .

(٣) عبدالعزيز جنكيزخان (تركستان . . قلب أسيا) ط : الجمعية الخيرية التركستانية ، ٧٤ - ٧٥ - باختصار - .

بدأ جنكيزخان الهجوم على الصين ، فاستولى على عاصمتها «بكين» ؛ ولما فرغ من السيطرة على تلك البلاد الواسعة ، وجه قواته نحو التركستان ، حيث عبر نهر سيحون - بجميع عساكره الجرارة - حتى أتى بخارى ، فدخل هو وجنوده المدينة فدكوها دكاً سنة ٦١٦هـ ، ثم ساروا نحو سمرقند ودخلوها عنوة ، وقتلوا بها من قتلوا ، ثم سار جنكيز خان وعبر نهر جيحون ، وفرّ شاه خوارزم أمام مطارديه .

ويكفي - لإعطاء فكرة عن حجم الدمار الذي حل ببلاد ما وراء النهر - أن نذكر ما قاله ابن بطوطة[1] : (إنه كانت تمتد بين عاصمة خوارزم (أركنج)[2] وبخارى مفازةٌ ليس بها من العمارة سوى نقطة واحدة هي مدينة كاث الصغيرة) وقد كانت هذه المنطقة - أي قبل الغزو المغولي - ممتدة الخضرة والعمران[3] .

سقطت جرجانية - عاصمة خوارزم - في يد جوجي بعد قتال مرير ، واستولى جنكيز خان على ترمذ ثم بلخ ، وتولى ابنه السيطرة على بقية خراسان[4] ، وصار جوجي بن جنكيزخان أميراً على خوارزم وخراسان

---

(١) ابن بطوطه : هو محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم الطنجي ، أبو عبدالله ، ابن بطوطة ، الرحالة ، المؤرخ ، طاف البلاد ، وسجّل رحلاته شرقاً وغرباً في كتاب (تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار) ترجم إلى اللغات العالمية ، مات ابن بطوطة في مراكش عام ٧٧٩هـ (انظر الأعلام ٦/ ٢٣٥ - ٢٣٦) .

(٢) تُسمى أركنج وتسمى أيضًا الجرجانية .

(٣) د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ط : دار الشروق بجده ، ١/ ٢٩٤ - بتصرف - .

(٤) انظر : رشيد الدين الهمذاني (جامع التواريخ) ط : دار النهضة العربية ، ١٦٧ .

ومازندران ، ثم حاول الاستقلال بمملكته عن الإمبراطورية ؛ وكان ذلك سبباً لما وقع من النزاع بينه وبين أبيه ، وبسبب إنكاره مادرج عليه المغول من سياسة التدمير والتخريب والقتل ، فضلاً عن ميله إلى الاتفاق مع المسلمين، كل ذلك أثار حفيظة جنكيزخان ، فدس له السم فمات .

بعد موت جنكيز خان عام ٦٢٥هـ (١٢٢٧م) نهض حفيده باتو في جيش كبير لغزو شرق أوربا ، ونجح في ذلك ، ثم بدأ هولاكو حملته المخربة على العالم الإسلامي بتحريض من البابوية الصليبية ، وقد انضم إليه في حملته على بلاد الإسلام بعض الرؤساء من بلاد فارس ، فاتجه بكل قواته نحو دولة الخلافة ، وفي التاسع من صفر سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) سقطت بغداد في يده ، وأنزل المغول بها مذبحة رهيبة ، وقتل هولاكو الخليفة المستعصم [١] ـ آخر خلفاء بني العباس في بغداد ـ واستسلم أمراء الشام ، فتقدم هولاكو واحتل حلب ودمشق ، وقد أصاب المسلمين ما أصابهم من الشر والبلاء ، ولكن مماليك مصر [٢] هزموا جيش المغول الذي كان يقوده

---

(١) الخليفة المستعصم : عبدالله (المستعصم) بن منصور (المستنصر) بن محمد (الظاهر) ابن أحمد (الناصر) ، من سلالة هارون الرشيد العباسي ، آخر خلفاء الدولة العباسية في العراق، قتله هولاكو بعد استيلائه على بغداد سنة ٦٥٦هـ (الأعلام ٤/ ١٤) .

(٢) مماليك مصر : جمع مملوك ؛ لأنهم في الأصل كانوا أرقاء ويقال : إن أحمد بن طولون أول من استخدمهم . ثم صاروا ملوكًا وأمراء ، وتمتد فترتهم من انقضاء عهد الأيوبيين عام ٦٤٨هـ إلى فتح الأتراك العثمانيين عام ٩٢٣هـ ، ومن أشهر ملوكهم الظاهر بيبرس ، وهو تركي الأصل (انظر كتاب : عصر سلاطين المماليك ونتاجه العلمي والأدبي ـ محمود رزق سليم ١/ ١٣ ـ ٢٢ ط . ١٣٦٦هـ ، ١٩٤٧م ، مطبعة التوكل بمصر) .

كتبغا خليفة هولاكو ، وكانت تلك الهزيمة عند عين جالوت [١] حيث تجمعت مع المسلمين عشرات الألوف من المتطوعين والمجاهدين .

ويذكر أن لمحمود يلواج الخوارزمي ، ومنْ بعده ابنُه مسعود ـ واللَّذان حكما بلاد ما وراء النهر كوزيرين عن أوكداي [٢] دوراً عظيمًا في تجنيب المسلمين ويلات المغول .

ظهر بعد ذلك بركة خان بن جوجي ليغير اتجاه المغول ، فقد اعتنق بركة خان الإسلام ، وتولى أمر تركستان وأواسط آسيا ، حيث استمر حكمه من عام ٦٥٤هـ إلى عام ٦٦٥هـ ؛ فانتشر الإسلام انتشاراً واسعاً في عهده ـ وخاصة في القبيلة الذهبية ـ وبلغ من حسن إسلامه أن حارب ابن عمه هولاكو [٣] الذي كان شديد العداء للإسلام بسبب التيارات النصرانية التي أثرت فيه [٤] .

امتد سلطان القبيلة الذهبية في روسيا ، وأصبح حوض نهر الفولغا إسلامياً (قازان ـ استراخان ـ شبه جزيرة القرم) ، وعلى يد هؤلاء التتر دخلت في الإسلام بلاد البشكير ، وشبه جزيرة القرم ، وسيبيريا الغربية ،

---

(١) عين جالوت : موضع بفلسطين ، بالقرب من بيسان ، هزم عندها التتار (المغول) على يد السلطان قطز ، والقائد بيبرس ، في معركة حاسمة (٣ سبتمبر ١٢٦٠) ، أوقفت تقدم التتار في المشرق الإسلامي نهائياً . (الموسوعة العربية الميسرة : ٢/١٢٤٨) .

(٢) رشيد الدين الهمذاني (جامع التواريخ) ، ١٨٤ .

(٣) المرجع السابق ، ١٢٤ .

(٤) انظر تفصيل ذلك في : بارتولد : (تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي) ط : المجلس الوطني للثقافة بالكويت ـ ٧٠٢ .

وأصبحت مدينة « سيبر » مدينة إسلامية في القرن السابع الهجري ؛ وعلى يد الدعاة والتجار انتشر الإسلام شمال وشرق آسيا .

وعلى يد هؤلاء التتر المسلمين صار نصف بلاد منغوليا مسلمين ، وحكموا موسكو ، وأقاموا مدينة قازان ـ القريبة من موسكو ـ والتي اشتهرت بمدارسها ومساجدها ، كما أقاموا مدينة استراخان شمالي بحر قزوين ، وبذلك خضعت للمسلمين كل البلاد التي يحكمها الاتحاد السوفيتي السابق بما في ذلك بولندا ، وذلك في أيام تيمورلنك ، الذي جعل من سمرقند قاعدة لمملكته حيث بلغت في عهده ذروة مجدها .

لكن أولاد تيمورلنك لم يحسنوا المحافظة على مملكتهم ، فالإمبراطورية التيمورية في بلاد ما وراء النهر قضت عليها الأسرة الشيبانية[1] ، بعد أن حكم التيموريون ما وراء النهر ـ بعد وفاة تيمورلنك ـ لمدة قرن من الزمن تقريباً ـ كثرت فيها الحروب بينهم[2] ، وظهر منهم « ألغ بك » المحب للعلوم ومؤسس المدارس المشهورة في بخارى وسمرقند[3] .

حكم الشيبانيون ماوراء النهر وكانت عاصمتهم بخارى من عام ٩٠٦هـ إلى ١٠٠٦هـ ثم انتقل الحكم بعد ذلك إلى « جان بن يار الاستراخاني » الذي

---

(١) الأسرة الشيبانية : نسبة إلى شيبان بن جوجي بن جنكيزخان (محمود شاكر ـ التاريخ الإسلامي ، ٨/ ٣٧٤) .

(٢) المصدر السابق ٨/ ٣٧٤ ـ باختصار ـ .

(٣) د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ١/ ٣٠٩ ـ ٣١١ ـ باختصار ـ .

فرّ من استراخان بعد استيلاء الروس عليها ، وقد دام حكم الاستراخانيين [١] من سنة ١٠٠٦ إلى سنة ١٠٩٩هـ .

استمرت الحروب في عهد الاستراخانيين بين بخارى والدولة الصفوية الشيعية في إيران ، مما أضعف المسلمين وجعلهم لقمة سائغة للغزاة الروس في تلك المناطق .

انقسمت تركستان في تلك الحقبة من الزمن إلى عدة إمارات ، وقد توالى أبناء وأحفاد معصوم المنغيتي على حكم إمارة بخارى ، ثم بدأت تضعف الدولة مع مطلع القرن الرابع عشر الهجري ، نتيجة الحروب المتواصلة مع جيرانها ، وسرعان ما انهارت الدولة عند الغزو الروسي [٢] .

(١) الاستراخانيون من نسل جوجي بن جنكيزخان مثل أقاربهم الشيبانيين .

(٢) محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ، ٨/ ٣٧٦ـ بتصرف ـ .

* التوسع والاحتلال الروسي القيصري :

كان الروس أمة وثنية ، ثم بدأ دخولهم في النصرانية عام ٣٧٨ هـ (٩٨٨م) ، وعندما فتحت القسطنطينية على يد محمد الفاتح عام ٨٥٧هـ (١٤٥٣م) أصبح الروس ممثلي الكنيسة الشرقية وحملة لواء الصليبية ضد المسلمين [١] .

وظهر القيصر إيفان الثالث عام ٨٨٥هـ (١٤٨٠م) فبدأ حروبه ضد المسلمين التتار وأبعد موسكو عن سلطانهم ، ورفض دفع الجزية لسلطان قازان أحمد خان ، ثم جاء حفيده إيفان الرهيب الذي تميز بالدهاء والقوة العسكرية وشدة الحقد على الإسلام ، وبدأ حرباً رهيبة ضد المسلمين ، واستطاع أن يكتسح قازان سنة ٩٦٠هـ (١٥٥٢م) ثم اكتسح استراخان بعد خمس سنين ، وأصبح حوض الفولغا خاضعاً لإيفان ، الذي فرض النصرانية على التتار المسلمين أو النزوح عن البلاد .

احتل إيفان الرهيب بعد ذلك بلاد البشكير وفرض على أهلها النصرانية أو الهجرة ، ولكن هؤلاء ظلوا مسلمين سراً مايزيد على ثلاثة قرون ، فلما أعطيت الحريات الدينية في روسيا سنة ١٩٠٥م [٢] عاد الأحفاد إلى الإسلام فأرهب ذلك روسيا القيصرية .

---

(١) انظر : محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ط : المكتب الإسلامي ٢١/ ٢٣ - ٣٤ ، د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ١/ ٣٩ .

(٢) ملاحظة : استعمال الباحث للتاريخ الميلادي وحده اضطرار في بعض مواضع الرسالة ، إذا لم تتوفر معلومات عن التاريخ الهجري .

ثم اغتصب الروس سيبريا من المسلمين عام ٩٨٨هـ (١٥٨٠م) ثم توجهوا إلى القوقاز التي كانت تارة تحت السيطرة العثمانية ، وتارة تحت السيطرة الإيرانية ، وكان الخلاف بين الدولتين سبباً في إضعافهما وعجزهما عن حماية القوقاز من الاحتلال الروسي [١] .

وفي عام ١٨١٣م اعترف نادر شاه ملك إيران بسيطرة الروس على القفقاس ، ولكن المسلمين القفقاس رفعوا رايات الجهاد ضد الروس - وكانوا من الداغستان الذين يتكلمون ويكتبون بالعربية - واستمرت المقاومة من عام ١٧٢٢ - إلى ١٨٥٩م ، وظلت روسيا تحاربهم ١٣٧ سنة حتى تمكنت من إخضاع القفقاس لسلطانها ، ثم واصل الروس توسعهم في آسيا . بعد أن رأوا أن أطماعهم في أوربا تصطدم بأطماع الدول الغربية ، فرفع وزير الخارجية الروسي إلى القيصر « اسكندر الثاني » عام ١٢٧٣هـ (١٨٥٦م) تقريراً يوضح فيه أن مستقبل روسيا التوسعي ليس في أوربا بل في آسيا ، فوافق القيصر على هذه السياسة ، واتجهت الجيوش الروسية بعد إخضاع القوقاز عام ١٢٧٦هـ (١٨٥٩م) إلى آسيا الوسطى [٢] .

بدأ الروس احتلال التركستان باحتلال طشقند عام ١٢٨٢هـ (١٨٦٥م) وتكوين إدارة التركستان العسكرية ، ثم توالى سقوط المدن والخانيات [٣]

---

(١) د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ١/ ٤٣ - ٤٥ - باختصار -

(٢) انظر : محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ٢١/ ٦٤ - ٧١ ، د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ١/ ٤٧ ، ٤٨ .

(٣) الخانيات : جمع خانية ، وهي الإمارة الصغيرة ، وورد في المعجم الوسيط : الخان : هو الحاكم والأمير . (المعجم الوسيط ١/ ٢٦٣) .

التركستانية ، حيث سقطت سمرقند بعد طشقند بثلاث سنين، ثم سقطت إمارة بخارى عام ١٢٩٠هـ ـ ١٨٧٣م حيث أصبحت حامية روسية ، وفي السنة التالية سقطت إمارة خوارزم .

توجهت القوات الروسية ـ بعد ذلك ـ إلى إمارة خوقند ، وواجه الروسَ مقاومةٌ شعبية شديدة ، فدكوا المدينة وأبادوا غالبية أهلها ثم أحرقوها [1] عام ١٢٩٣هـ (١٨٧٦م) .

ثم سقطت « مرو » ومناطق التركمان في حروب دامت من ١٨٧٣ إلى ١٨٨٤م ظهرت خلالها مقاومةٌ عنيفة من التركمان .

وقد أتم الروس السيطرة على تركستان سنة ١٩٠٠م وأصبحت تحت الإدارة العسكرية الروسية ، وأقامت ستارًا حديدياً حولها لعزلها عن العالم الإسلامي ، واتبع الروس سياسة إفقار الشعوب الإسلامية التي أحكموا سيطرتهم عليها ، وحاولت روسيا تنصير بعض المسلمين [2] .

إن من يتتبع تاريخ الحملات الروسية على مناطق المسلمين في تركستان، لابد أن يلحظ السرعة الكبيرة التي استطاع بها الروس إخضاع مناطق واسعة من بلاد المسلمين لسيطرتهم ، بالرغم من المقاومة الباسلة التي

---

(١) تحقق الباحث من صحة هذه المعلومة عندما زار المنطقة والتقى بالعديد من العلماء وكبار السن الذين عاصروا تلك الأحداث .

(٢) انظر : محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ٢١/ ٧٦، ٧٧ . د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ١/ ٤٨ .
الكسندر بينيغسن ، شانتال لوميرييه (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) ترجمة : عبدالقادر ضللي ط : دار الفكر المعاصر ، الطبعة الأولى ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٩م، بيروت : ١٦، ٢٤، ٢٥ .

كان المسلمون يقومون بها لصد ذلك الغزو الظالم ؛ وترجع أهم أسباب ذلك إلى تفرق المسلمين إلى دويلات متناحرة ، وجهل الكثير منهم بتعاليم دينهم الحنيف الذي يوجب عليهم عدم التفرق والاختلاف والتنازع .

وفي هذا السياق يقول محمد سراي [١] : « واكتشف الروس بعد بضع حملات صغيرة ضد شعوب السهول ضعف معارضيهم من حيث الأسلحة الأقل تفوقاً ، والتفكك والنزاعات المستمرة ، واستغل الروس بسهولة نقاط الضعف هذه وبسطوا نفوذهم ، وأدخلوا بهذه الطريقة شعوب السهول تحت سيطرتهم دون صعوبة تُذكر » [٢] .

كما أن أسباب التوسع السريع ونجاح الحملات الروسية على بلاد المسلمين في التركستان يعود إلى نجاحهم في احتلال إقليم الفولغا وإقليم القوقاز ، فقد كان ذلك بمثابة بوابة الدخول إلى تلك البلاد [٣] .

أضف إلى ذلك ضعف العالم الإسلامي ، وترهل الدولة العثمانية التي لم تفعل شيئاً ذا شأن عندما استنجد بها مسلمو التركستان ، ولاشك في أن انتصارات روسيا المتلاحقة على الإمبراطورية العثمانية كان لها أثر في تقليص قوة الدعم العثماني .

---

(١) د. محمد سراي : أستاذ بجامعة اسطنبول متخصص في شؤون آسيا الوسطى ، وقد التقى به الباحث في شهر أغسطس من عام ١٩٩٥م ، وتحاور معه حول أوضاع المسلمين هناك .

(٢) د. محمد سراي (ما نتائج حملة روسيا الحضارية في أراضي المسلمين التركستان ؟) ضمن أبحاث المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، جمادى الأولى ١٤٠٦هـ ، الموافق يناير ١٩٨٦م ، بعنوان (الأقليات المسلمة في العالم) ٤٩٢ .

(٣) المرجع السابق ٤٩١ ـ باختصار ـ .

* تركستان تحت الحكم الروسي القيصري :

كانت السياسة العامة المطبقة على تركستان أنموذجًا استعماريًا صرْفًا، فلم تجر أية محاولة لدمج السكان ـ كما في بلاد التتر ـ وسعت السلَطات العسكرية عبثاً إلى عزل تركستان تماماً وتجنيبها كل تأثير تحديثي، وبحسب أمنيات الجنرال كاوفمان ـ أول حاكم عام لتركستان ـ : « كان يجب أن تظل آسيا الوسطى في جمود القرون الوسطى ـ على حد قوله ـ ، مما يحول حتماً دون إمكانية أية مقاومة وطنية منظمة »[1] .

لقد وجد مسلمو تركستان ـ بعد الخراب الذي لحق بهم نتيجة غزو أعدائهم ـ أنهم وقعوا في أيدي إداريين فاسدين ، حين بدأ الضباط الروس يشاركون في إدارة تركستان ، وأصبح سوء الإدارة والفساد من السمات البارزة في صفوف الإداريين الروس ، واضطرت الحكومة الروسية التحقيق في الأمر ، وتم اختيار عضومجلس الشيوخ « الكونت كي كي بالن » للقيام بتلك المهمة ؛ وأمضى الكونت بالن ـ الذي مُنح سلطات واسعة ، وساعده عشرون من الموظفين ـ مايزيد على السنة في عمليات فحص دقيق لجميع جوانب الشئون الحكومية والاقتصادية في المنطقة ، وتم القبض على عشرات المسؤولين ومحاكمتهم وإدانتهم ، ولكن في نهاية الأمر تم اتباع الأسلوب المألوف ، إذ لم يتم القيام بشيء من جانب السلطات الروسية ، وطبعت تقارير بعثة بالن في مجلدات ضخمة ، ثم طواها النسيان مثل العديد من تقارير البعثات السابقة[2] .

---

(١) الكسندر بينيغسن ، شانتال لوميرييه (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) ٢٥ .

(٢) د. محمد سراي (ما نتائج حملة روسيا . .) ضمن أبحاث مؤتمر الندوة العالمية (الأقليات المسلمة في العالم . .) ٤٩٦ ـ ٤٩٧ ـ باختصار ـ .
ونشير هنا إلى أن الحديث سيتواصل عن التركستان وأوزبكستان في المبحث الأول من الفصل الأول ، إذ سيكون الحديث منصباً على الحكم الشيوعي لها .

* ثانيًا : نظرة عامة لواقع جمهوريات آسيا الوسطى عامة ، وأوزبكستان خاصة:

إن إلقاء الضوء على الواقع العام لجمهوريات آسيا الوسطى يستلزم إعطاء فكرة عن مكونات الاتحاد السوفيتي السابق ، والجمهوريات والأقاليم التي تتبع له ، ونسبة المسلمين فيها ، ثم نعرج إلى الحديث عن واقع الجمهوريات في آسيا الوسطى بشكل موجز ، ونتحدث عن واقع جمهورية أوزبكستان ـ موضوع الدراسة ـ .

ـ أولاً : مكونات الاتحاد السوفيتي السابق :

كان الاتحاد السوفيتي يتكون من خمس عشرة جمهورية ، لكل منها دستورها الذي تبدو فيه سماتها الخاصة، ولها هيئاتها في الحكم وتشكيلاتها العسكرية الخاصة ، ونشيدها الوطني وعلَمها وشعارها وعاصمتها ، وهي تتمتع بحق الانفصال عن الاتحاد السوفيتي بمقتضى ما يقرره الدستور ـ رغم صعوبة تطبيق ذلك في الواقع ـ كما أن لها حق الدخول في علاقات مباشرة مع الدول الأجنبية وإبرام الاتفاقيات وتبادل التمثيل الدبلوماسي والقنصلي معها ؛ أي أنها تمارس في داخل أراضيها بل وخارجها بصورة ما سلطات الدولة المستقلة ، وقد يتبع بعض هذه الجمهوريات جمهوريات أو أقاليم ذات حكم ذاتي .

وبلغ عدد سكان الاتحاد السوفيتي السابق (٢٨٥ , ٦٨٨ , ٩٦٥)

نسمة (٧٠ مليوناً منهم من المسلمين) ، وكانت مساحته الإجمالية (٢٢) مليون كم٢ .

وعاصمة الاتحاد السوفيتي السابق مدينة موسكو التي يقطنها (١٠) ملايين نسمة [١] ، وهي لا تزال عاصمة الاتحاد الروسي بعد تفكك الاتحاد السوفيتي .

والجمهوريات الخمس عشرة هي :

١ ـ **جمهورية روسيا الاتحادية** : وهي أكبر الجمهوريات وعاصمتها موسكو ومساحتها الإجمالية (١٠,٦٠٧,٨١) كم٢ ، وعدد سكانها (١٤٣,٠٩٠,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها بين ١٠ ـ ٢٥٪ من مجموع السكان ، ويتبع هذه الجمهورية سبع جمهوريات تقع في حوض الفولغا هي :

جمهورية باشكيريا : وعاصمتها (أوفا) وعدد سكانها (٤,٣٢٠,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٥٦٪ .

جمهورية تتارستان : وعاصمتها (قازان) وعدد سكانها (٤,٢٥٠,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٥٠٪ .

جمهورية الجوفاش : وعاصمتها (شبوقساري) ويقطنها (١,٨٢٩,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها ٥٨٪ .

---

(١) د. محمد عبده يماني (روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى ومحنة الانفتاح الجديد) ط : دار البلاد ، ٢٢ ـ بتصرف ـ .

جمهورية موردفيا : وعاصمتها (شارانسك) ويقطنها (١,١٥٠,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٥٥٪ .

جمهورية ماري : وعاصمتها (يوشكارا أولا) ويسكنها (٩٥٨,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين فيها إلى مجموع السكان نحو ٥٢٪ .

جمهورية أورنبرغ : وعاصمتها (الورنبرغ شكالوف) ويقطنها (٢٥٠,٠٠٠)، وتبلغ نسبة المسلمين فيها نحو ٥٠٪ .

جمهورية أدمورت : وعاصمتها (اجنسك) ، ويقطنها (١,٨٥٠,٠٠٠) ، وتصل نسبة المسلمين فيها إلى ٥٢٪ من مجموع السكان .

كما يتبع جمهورية روسيا الاتحادية خمس جمهوريات ذات حكم ذاتي، وولاية ذات حكم ذاتي ، تقع جميعها في شمال القفقاس ، بالإضافة إلى إقليم سيبيريا ، وذلك على الترتيب الآتي :

جمهورية الداغستان : وعاصمتها (محج قلعة) وعدد سكانها (٢,٣٥٠,٠٠٠) وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٦٠٪ .

جمهورية كبارداي بلكار : وعاصمتها (نالجيك) وعدد سكانها (٧٦٢,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٥٥٪ .

جمهورية قاراشاي شركس : كانت ولاية ذات حكم ذاتي وأصبحت جمهورية في عام ١٩٩٠م ، وعاصمتها (شركسك) ، وعدد سكانها

(٤٥٠,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٦٠٪ .

جمهورية أوستينا الشمالية : وعاصمتها (اردجو نيكيرزي) ، وعدد سكانها (٩١٩,٠٠٠) نسمة وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٥٥٪ .

جمهورية شاشان أنجوش : وعاصمتها (كروزني) وعدد سكانها (١,٧٣٥,٠٠٠) وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٦٦٪ .

ولاية الأديجا : وعاصمتها (ماي كوب) وعدد سكانها (٥٤٠,٠٠٠) ، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٥٠٪ .

إقليم سيبريا : وعاصمته (اومسك) وعدد سكانه (٢٥,٠٠٠,٠٠٠) وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٢٥٪ .

٢ ـ **جمهورية روسيا البيضاء** : وعاصمتها (منسك) وعدد سكانها (٩,٩٤٢,٠٠٠) نسمة .

٣ ـ **جمهورية أوكرانيا** : وعاصمتها (كييف) وعدد سكانها (٥٠,٨٤٠,٠٠٠) بما في ذلك سكان ولاية القرم والتي يقطنها (٧,٠٠٠,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٧١٪ ، وعاصمة هذه الولاية (سنتروبل) .

٤ ـ **جمهورية لاتفيا** : عاصمتها (فيلنوس) وعدد سكانها (٢,٦٠٤,٠٠٠) نسمة .

٥ ـ **جمهورية أستونيا** : عاصمتها (نازلين) وعدد سكانها (١,٥٣٠,٠٠٠) نسمة .

٦ ـ **جمهورية مولدافيا** : عاصمتها (كشينوف) وعدد سكانها (٤,١١١,٠٠٠) نسمة ، يعيش بينهم حوالي ٢٥٠,٠٠٠ مسلم .

٧ ـ **جمهورية لتوانيا** : عاصمتها (ريجا) ، وعدد سكانها (٣,٥٩٠,٠٠٠) نسمة ، يعيش بينهم حوالي ١٨,٠٠٠ مسلم .

٨ ـ **جمهورية أرمينيا** : عاصمتها (باريفان) ، وعدد سكانها (٣,٣١٧,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ١٧٪ ، ويتبعها جمهورية (نخجيفان) ذات الحكم الذاتي ، وعدد سكانها (٢٩٧,٠٠٠) نسمة تبلغ نسبة المسلمين فيها ٩٥٪ وعاصمتها (ناجوان) .

٩ ـ **جمهورية جورجيا** : عاصمتها (تفليس) ، وعدد سكانها (٣,٥٠٠,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ١٩٪ ، ويتبع هذه الجمهورية كل من :

جمهورية أبخازيا وعاصمتها (سوقوم) ، وعدد سكانها (٧٥٠,٠٠٠) نسمة ، نسبة المسلمين بينهم ٣٠٪ .

ـ جمهورية أجاريا وعاصمتها (باطوم) ، وعدد سكانها (٤٥٠,٠٠٠) نسمة ، نسبة المسلمين فيها ٤٠٪ .

١٠ ـ **جمهورية أذربيجان** : عاصمتها (باكو) ، وعدد سكانها (٧,٢٧٠,٠٠٠) نسمة ، تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٨٢٪ ، وتتبعها مقاطعة (ناغورنو قره باغ) ، وعاصمتها (ستيافكرت)، ومساحتها ٤٤٠٠كم٢ ، وعدد سكانها (٢٧٨,٠٠٠) نسمة ، نسبة المسلمين بينهم ٣٠٪ .

١١ ـ جمهورية أوزبكستان : وسيأتي الحديث عنها لاحقاً بالتفصيل[١] .

١٢ ـ جمهورية طاجيكستان : عاصمتها (دوشنبه) ، وعدد سكانها (٥,٤٩٠,٠٠٠) نسمة ، تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٨٠٪ .

١٣ ـ جمهورية قرغيزستان : عاصمتها (بتشكيك) ، وعدد سكانها (٤,٥٩٠,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين ٧٣٪ ، وتتبعها مقاطعة ذاتية الحكم ، هي (غورنو ربخشان) ، وعاصمتها (خوروغ) ، وعدد سكانها (١٨٠,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين بينهم ٨٥٪ .

١٤ ـ جمهورية تركمانستان : عاصمتها (عشق أباد) ، وعدد سكانها (٣,٧٨٩,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين بها ٨٦٪ .

١٥ ـ جمهورية قازاخستان : وعاصمتها (المآآتا) ، وعدد سكانها (١٦,٧٨٢,٠٠٠) نسمة ، وتبلغ نسبة المسلمين بها ٥٢٪[٢] .

وجدير بالذكر أن الجمهوريات الأربع عشرة ذات الحكم الذات ـ التي لا تتبع جمهورية روسيا الاتحادية ـ قد استقلت ، وذلك بعد أن تبنى رئيس الاتحاد السوفيتي السابق «ميخائيل غورباتشوف» سياسة الانفتاح وإعادة البناء ، والتي أطلق عليها مسمى « البرسترويكا» ، وكانت تصطدم في كثير من منطلقاتها بمبادئ ماركس ولينين التي أورثت الجوع والفقر للبلاد ،

---

(١) انظر : ص ٦٣ .

(٢) انظر : محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ٢١ / ١٦٩ ـ ١٧١ ، د. محمد عبده يماني (روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى . .) ٢٣ ـ ٢٨ .

فتحركت على إثر ذلك التخلي عن المبادئ الشيوعية بعض الوحدات العسكرية بتاريخ ١٨ ـ ٢٠ / ٨/ ١٩٩١م لمحاولة الانقلاب العسكري على حكم غوربا تشوف ، إلا أنها فشلت ، وكان نتيجة ذلك أن تفكك الاتحاد السوفيتي ، واستقلت الجمهوريات ، عدا تلك التي تتبع جمهوريات روسيا الاتحادية [١] .

ويتركز المسلمون في عدة أقاليم وجمهوريات استقل بعضها عن الاتحاد السوفيتي السابق ، والبعض الآخر لا يزال تحت قبضة الاتحاد الروسي، فإقليم التركستان قد استقل بكامله ، أما إقليم القوقاز فقد استقلت منه أذربيجان ، وبقيت الداغستان ، وبلاد الشركس والأنجوش وغيرها ، بالإضافة إلى بلاد الشاشان التي تقاوم لنيل الاستقلال .

كما لا يزال إقليم وادي الفوغا المسلم الذي يضم بشكيريا وتتاريا والجوفاش في قبضة الروس .

ـ ثانياً : نظرة عامة لواقع جمهوريات آسيا الوسطى :

الجمهوريات الإسلامية في آسيا الوسطى ـ التي استقلت حديثا عن الاتحاد السوفيتي السابق ـ تقع في منطقة التركستان الغربية ؛ وجدير بالذكر أن كلمة « تركستان » تعني : بلاد الترك ، حيث كانت تنتقل فيها قبائلٌ كثيرة يعود معظمها إلى العرق التركي [٢] ؛ وهي تشمل تركستان الشرقية

(١) د. محمد سراى (تاريخ الأتراك الأوزبك) ، مترجم عن التركية ، ٧٨ ـ بتصرف ـ .

(٢) انظر : محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ٢١ / ٧٣ .

وتركستان الغربية [١] . وتخضع تركستان الشرقية - والتي من أهم مدنها كاشغر [٢] ذات المجد والتاريخ الإسلامي - لحكم الصين التي أسمتها «سينكيانج» أي : المستعمرة الجديدة، وتبلغ مساحتها (٧٤٥,٧١٠,١كم٢)، ويقدر عدد سكانها بـ (١٥) مليون نسمة ، غالبيتهم من المسلمين [٣] .

أما تركستان الغربية فتبلغ مساحتها (٠٠٠,١٠٦,٤كم٢) ، وهي تشمل اليوم خمس جمهوريات مستقلة هي أوزبكستان ، وقازقستان ، وقيرغيزستان ، وتركمانستان ، وطاجكستان ، وقد تطرقتُ آنفاً لبعض المعلومات المتعلقة بها في مجمل حديثي عن مكونات الاتحاد السوفيتي السابق [٤] .

تعتبر أوزبكستان وطاجكستان من أكثر دول آسيا الوسطى ارتباطاً بالإسلام ، فتاريخ مدن أوزبكستان يزخر بالعلم والمعرفة ، وهي - بحق - قلب آسيا الوسطى النابض إلى يومنا الحاضر .

أما قازقستان التي تحيط بالجمهوريات الإسلامية التركستانية (أوزبكستان، تركمانيا ، قرغيزيا) من الجنوب ، كما تحدها جمهورية روسيا الاتحادية من الشمال ، وتجاورها الصين من الشرق ، فإن ارتباطها بالإسلام ضعيف جداً ، إذ تبلغ نسبة الروس فيها ٢٠,٤٣٪ من مجموع السكان ،

---

(١) انظر الخريطة ص ٦٦ .

(٢) مدينة كاشغر أسماها الصينيون اليوم « ستوفو » .

(٣) د. محمد علي البار (التركستان مساهمات وكفاح) ط : الدار السعودية ، ١٣ ، - باختصار- .

(٤) انظر : ص ٥٧ .

والقازاق ٦,٣٢٪ ، والأوكرانيون ٢,٧٪ ، والتتار ٢,٢٪ ، إلى جانب فئات أخرى ، ويتكلم القازاق لغة تركية ، بجانب اللغة الروسية الرسمية ، أما نسبة المسلمين فتقدر بـ ٥٢٪ .

وأكبر مدن قازاقستان عاصمتها المآتا (أبو التفاح) وتقع على سفوح منطقة جبلية تغطيها أشجار الصنوبر ، وفي وسط منطقة زراعية فيها المياه وتصلح تربتها للزراعة وتكثر فيها بساتين الفواكه . ومن المدن المهمة الأخرى مدينة كراجندا وسيمبلا تسنك وتشيمكنت واكمولنسك وجامبول .

ويقوم اقتصاد قازاقستان على دعائم من الزراعة والرعي والصناعة معاً، ويرأس الإدارة الدينية في هذه الجمهوريات المفتي / راتب بك بن بنسان بيه [1] .

وتقع قرغيزيا في الجزء الشرقي من آسيا الوسطى ، وتحيط بها قازخستان من الشمال ، وأوزبكستان من الغرب ، وطاجيكستان من الغرب والجنوب ، والصين من الجنوب الشرقي ، وتبلغ مساحة جمهورية قرغيزيا (١٩٨,٥٠٠) كم٢ ، وبلغ عدد سكانها عام ١٩٨٩م (٤,٥٩٠,٠٠٠) نسمة ، ونسبة المسلمين بينهم ٧٣٪ . وعاصمة هذه الجمهورية (بتشكيك) ومن المدن الأخرى (اوش) على حدود وادي فرغانة وبرز بفالك ، وكيزكيا، وجلال آباد ، وتشتمل قرغيزيا على ١٥ مدينة و ٣٩ مركزاً حضرياً .

والقرغيز من أصل تركي ، ويمثل القرغيز ٤٣,٨٪ من سكان

---

(١) د. محمد عبده يماني (روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى . .) ٤٤ ـ بتصرف ـ .

قرغيزيا، ونسبة الروس فيها ٢,٢٩٪ ، والأوزبك ٦,١٠٪ بينما يمثل الأوكرانيون ١,٤٪ ، والتتار ٤,٢٪ ، وتتقاسم النسبة الباقية عناصر صغيرة أخرى . وكان اقتصاد قرغيزيا من قبل رعويًا بالدرجة الأولى ، ويذكر أنه قد أصبح اليوم يجمع بين الرعي والزراعة والصناعة ، وتشتهر قرغيزيا بثروتها الحيوانية التي تربى على المراعي الطبيعية بصفة أساسية .

وتتوافر عدة معادن في قرغيزيا مثل البترول والغاز الطبيعي والفحم والرصاص والزئبق والأنيتموني ، وتمتلىء قرغيزيا بمئات المصانع ؛ ويرأس الشئون الدينية الإسلامية في هذه الجمهورية القاضي / صادق كمال الدين[1] .

طاجكستان ـ آخر الجمهوريات التي نتحدث عنها ، وتبلغ مساحتها (١٤٣,١٠٠) كم٢ ، ويحدها من الشرق إقليم التركستان الشرقية ، ومن الشمال جمهورية قرغيزيا ، ومن الغرب والشمال جمهورية أوزبكستان ، ويمثل المجرى الأعلى لنهر جيحون (امودايا) الحد الفاصل بين طاجكستان وأفغانستان ، ويقدر عدد سكانها في الوقت الحاضر بحوالي (٥,٥٠٠,٠٠٠) نسمة ، تبلغ نسبة المسلمين بينهم ٩٠٪ .

والطاجيك أكبر العناصر السكانية في البلاد ، إذ يمثلون ٥٦,٢٪ من مجموع السكان ، وينتمي الطاجيك من الناحية العرقية إلى سلالات خليطة من الإيرانيين والترك ، ويتكلمون لغة هي خليط من التركية والفارسية ، وتنتشر عناصر الطاجيك في عدة أقطار في المنطقة ، فبالإضافة إلى طاجيك

(١) المرجع السابق : ٤٣ ـ باختصار ـ .

الاتحاد السوفيتي السابق يوجد طاجيك التركستان الشرقية ، كما يوجد طاجيك أفغانستان ، ويسكن معظمهم في الجزء الشمالي الغربي من البلاد ، أما الروس فهم يزيدون على عُشر السكان (٩ , ١١٪) ، ويتركز معظمهم في المدن .

ويبلغ التتار (٤ , ٢٪) من السكان ، ويتركز معظمهم في الجزء الشرقي من البامير ، وثمة عناصر أخرى تؤلف بقية السكان أهمها الأكرانيون والقرغيز ، وعاصمة جمهورية طاجيكستان هي (دوشانبه) وتقع على نهر سورخان داريا في غربي البلاد ، وهي مدينة حديثة النشأة عمرها أقل من نصف قرن ، وكانت حتى فترة قريبة تعرف باسم ستالين أباد (أي مدينة ستالين) ، ويحيط بالعاصمة إقليم زراعي وصناعي إذ يزرع القطن في الأودية التي حولها ، كما يزرع قصب السكر والفواكه ، وقد قامت فيها صناعات مختلفة .

ومن مدن الجمهورية الهامة مدينة لينين أباد ، وهناك مدن أخرى أهمها كولياب ، ثم مدينة خوروج وهي عاصمة إقليم جورنو باداخشان المستقل ذاتياً والتابع لطاجيكستان .

وتدل الإحصاءات الرسمية على أن نسبة الذين يعرفون القراءة والكتابة بين سكان البلاد الذين يتراوح سنهم بين ١٩ و٤١ سنة تبلغ ٩٩,٦٪ . وتوجد في أنحاء البلاد ١٠٥٥ مكتبة تحتوي على ٩,٨٦٢,٠٠٠ كتاب ، وتنتشر في البلاد ٦٠ صحيفة منها ٥٠ تصدر بلغة الطاجيك ، كما تنتشر ٤٨ دورية متنوعة منها ١٦ بلغة الطاجيك .

وتقوم في طاجكستان أعلى محطة أرصاد في العالم تعتلي جبال البارمير .

ويرأس القضاء والشئون الإسلامية في هذه الجمهورية القاضي أكبر توره جان [1] ، ويذكر أن الشعور بالانتماء للإسلام قوي بشكل واضح في طاجكستان بعد الاستقلال ، وطالبت الأوساط الشعبية بضرورة إجراء انتخابات نزيه ، وتحالفت القوى الإسلامية مع بعض الأحزاب القومية في الانتخابات التي جرت عام ١٤١٢هـ (١٩٩٢م) والتي فاز فيها المسلمون ، وعلى أثر ذلك تدخلت روسيا - بشكل سافر - وبعض الدول المجاورة عسكريا لدعم الحزب الشيوعي الحاكم ، وأحدثت مجزرة رهيبة في الشعب الأعزل ، وخلفت دماراً في الحرث والنسل ، كما خلفت عشرات الآلاف من اللاجئين الفارين من سعير الحرب التي لا تزال قائمة [2] .

- ثالثاً : نظرة عامة لواقع جمهورية أوزبكستان :

أنشأ الاتحاد السوفيتي السابق جمهورية أوزبكستان الحالية على أنقاض الإمارات الصغيرة التي احتلها الحكم القيصري خلال توسعه وبسط نفوذه على بلاد المسلمين في التركستان في النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي ، وقد أصبحت أوزبكستان جمهورية اتحادية عام ١٣٤١هـ (١٩٢٤م) ، وتبلغ مساحتها (٤٤٧,٤٠٠كم٢)، وتضم أوزبكستان حاليا عدة محافظات هي : انديجان ، بخارى ، جيزاك ، سمرقند ،

---

(١) د. محمد عبده يماني (روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى . .): ٣٤ ، ٣٧ - باختصار - .

(٢) انظر : د. جناي فوكسو أوزدوغان (الاستقلال أول سنواته) مترجم عن التركية ، ٩٥ .

كاشكودايا، نامنجان ، سوخندريا ، سريدريا ، طشقند ، فرغانة ، خوارزم، نوائي ، بالإضافة إلى جمهورية قارا قلباقستان ذات الحكم الذتي[١] .

وتعتبر أوزبكستان دولة ذات كثافة سكانية عالية ، إذ أنها أكبر جمهوريات آسيا الوسطى من حيث عدد السكان ، ففي إحصاء عام ١٤١٣هـ (١٩٩٣م) بلغ عدد السكان (٢١) مليوناً و (٧٥٧) ألف نسمة ، نسبة المسلمين منهم ٨٨٪ من أهل السنة ، أما نسبة العرق الأوزبكي من مجموع السكان فتقدر بـ ٧٠٪ و ١٠٪ ـ تقريبا ـ من الروس ، والبقية من الأعراق الأخرى كالطاجيك والقازاق والقرغير والأويغور وغيرهم[٢] .

وللروس إسهام متميز في إدارة شئون البلاد ، وقد بدأ توافدهم بشكل هجرات جماعية ـ كجزء من السياسة البلشفية في تذويب هوية الشعب المسلم ـ مع بداية الحكم الشيوعي ، وبلغت أعلى نسبة لهم عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٩م) ، إذ بلغت ٥ , ١٣٪ ، في حين أنها لم تكن تتجاوز ٧ , ٤٪ عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٦م)[٣][٤] ، وهم ينتشرون حالياً في معظم المدن ، وبخاصة العاصمة طشقند .

---

(١) انظر : دستور جمهورية أوزبكستان ، الملحق رقم (١) ، ص ٤١٤ .

(٢) انظر : نهال إنجي أوغلو (الاستقلال أول سنواته) ، ١٣٤ ، وهو كتاب باللغة التركية يضم عدة بحوث لأساتذة متخصصين في شئون آسيا الوسطى ، وقدتُرجمت بعض أجزائه ـ المتعلقة بالبحث ـ الباحث ـ . وانظر : د. محمد عبده يماني (روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى . .) ٣٩ .

(٣) انظر : شيرين أكنر (المسلمون السوفييت) ٢٣٧ .

(٤) انظر : إحصائية تكوينات الشعب الأوزبكي العرقية ، (شيرين اكنر ـ المسلمون السوفييت ، ٢٣٧) .

وتتألف أوزبكستان من منطقتين :

الأولى : بادية وسهوب تقع في الغرب وتحيط ببحيرة خوارزم (بحر أورال) ، والثانية : في الشرق وهي منطقة جبلية تنحدر منها المياه لغزارة أمطارها النسبية بسبب ارتفاعها ، ومن هذه المياه تتشكل أنهار سيحون وجيحون إضافة إلى النهر الذي ينتهي في مدينة بخارى ، وهو نهر زرافشان[1] .

أما الحدود فإلى الشمال منها تقع قازقستان ، وفي الشرق تجاورها قيرغزيا، وتقع طاجستان في جنوبها ، وتركمانيا في جنوبها الغربي[2] .

ويتكلم الأوزبك لغة تركية قريبة من لغة الترك العثمانيين ولغة الترك الأذربيجانيين، وهي اللغة الرسمية للجمهورية ، وتنتشر إلى جانبها اللغة الروسية ، بينما تتكلم باقي الفئات باللغات الخاصة بها .

وجميع الأوزبك مسلمون سُنّة ، غالبيتهم العظمى على المذهب الحنفي ، وطشقند هي مقر الإدارة الدينية التي تشرف على شئون المسلمين في جمهوريات آسيا الوسطى وقازقستان .

أما أهم المدن فهي العاصمة طشقند التي زاد عدد سكانها من مليون نسمة في عام ١٣٨٣هـ (١٩٦٣م) إلى(٢,٥) مليون نسمة في الوقت الحاضر وتقع طشقند على رافد لنهر سيحون بالقرب من حدود قازقستان، ولها أهميتها التاريخية كمركز للثقافة الإسلامية ، فضلاً عن أنها ظلت لفترة

---

(١) محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ط : المكتب الإسلامي ، ٢١/ ٢٣١ ـ باختصار ـ .

(٢) انظر الخريطة ص ٦٦ .

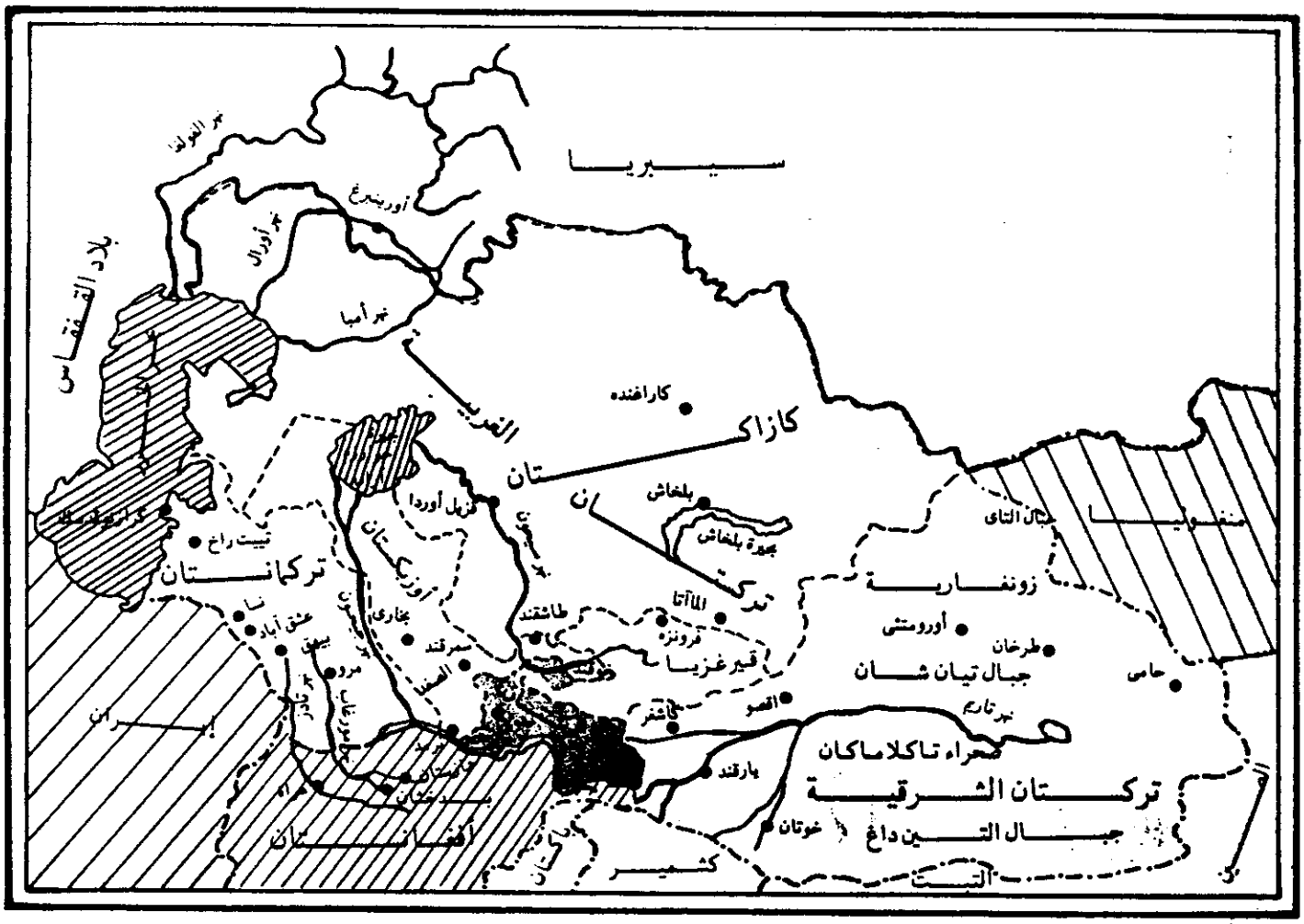

(خارطة رقم ٢) توضح موقع أوزبكستان ، وتركستان الشرقية والغربية

(المصدر : د. البار ـ المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ ١ / ٣٢٠)

طويلة خلال العصور الوسطى محطة على طريق التجارة بين الصين والعالم الغربي ، وقد امتلأت أسواقها ببضائع الشرق ، وازدهرت المدينة لمناشطها المتعددة من إدارية وتجارية وثقافية وزراعية وغير ذلك [1] .

وطشقند المعاصرة ذات مبانٍ شاهقة ومنتزهات جميلة ، وتقع وسط إقليم زراعي كما أنها مركز صناعيٌ هام تقوم فيه صناعات ثقيلة مستحدثة ، بالإضافة إلى الصناعات الخفيفة المتطورة ، ، ففيها مثلا أكبر مصنع للنسيج في الاتحاد السوفيتي السابق ، كما أنها تنتج الآلات الزراعية والحفارات ومعدات المناجم وآلات التنقيب عن المعادن وأجهزته ، وإلى جانب ذلك تقوم صناعات الدقيق واللحوم المعلبة ومنتجات الجوت وتجميع السيارات والشاحنات، وهكذا اشتملت طشقند على أكبر مجمع صناعي في آسيا الوسطى ، إلى جانب كونها واحة زراعة تنتج القطن والأرز والفواكه، ويتوافد عليها الزائرون لمشاهدة الأماكن التاريخية الإسلامية والمناظر الطبيعية الجميلة .

أما مدينة سمرقند فتقع على نهر زرافشان ـ رافد جيحون ـ وقد كانت عاصمة لتيمورلنك ، وتعود إلى القرنين الثامن والتاسع للهجرة مبانيها التاريخية ، وتتجلى فيها مميزات العمارة الإسلامية ، وتبدو مدينة سمرقند القديمة وكأنها لم تتغير ، لكن أطرافها وضواحيها قد تغيرت بما استحدث من منطقة صناعية ومبان سكنية على النمط الروسي ، وأهم صناعاتها « السوبر فوسفات » وأجهزة الأفلام الناطقة والصناعات المعدنية .

---

(١) د. محمد عبده يماني (روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى . .) ، ٣٩ ـ باختصار ـ ، وانظر أيضًا : د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ٢ / ٥١١ ـ ٥١٦ .

وقد شهدت مدينة سمرقند تاريخاً علمياً زاهراً في عهودها الإسلامية، وهي تضم الآن مراكز للبحث العلمي ومعاهد علمية ، ويتجاوز عدد سكانها نصف مليون نسمة .

وفي المدينة معهد طبي لدراسة أمراض المناطق الحارة، ومعهد تجاري للدراسة والبحث في شئون التجارة السوفيتي ، ويذكر أن نسبة الأمية في المدينة هي الآن أقل من ١٪ بينما كانت ٩٨٪ في أوائل القرن الحالي [١] .

وتقع مدينة بخارى في واحة جميلة يمر بها نهر زرافشان ـ أحد روافد جيحون ـ ، ولقد كانت طشقند وسمرقند وبخارى جميعها محطات القوافل التجارية في العصور الوسطى ، ومحضن العلماء والفقهاء في العصور الإسلامية الزاهرة .

ويشهد بروعة العمارة والفنون الإسلامية مساجد بخارى ذات القباب والمآذن العالية ، ومدارسها الإسلامية القديمة ، وهكذا كان للمدينة أهميتها الدينية والثقافية والاقتصادية في التاريخ ، وقد ظلت بخارى لمئات السنين مركزاً إسلامياً هاماً في اجتذاب الراغبين في التزود من علوم الإسلام ، ومضى على المدينة حين من الدهر كانت تزخر فيه بنحو ١٩٧ مسجداً و١٦٧ مدرسة ، وشرعت بخارى تأخذ خلال السنوات الماضية طابع غيرها من المدن السوفيتية ، فهي تضم الآن المباني العصرية على النمط الروسي ،

(١) د. محمد عبده يماني (روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى . .) ٤٠ ـ بتصرف ـ . ومما يؤكد تلك المعلومة ما ذكره الأستاذ شيرين أكنر في كتابه المسلمون السوفييت، أذ أورد إحصائية في ص ٢٣٩ تبين أن نسبة من يعرف الكتابة والقراءة في أوزبكستان عام (١٩٢٦م) قد بلغت ٣,٨٪، ثم قفزت هذه النسبة عام (١٩٧٠م) لتصل إلى ٩٩٪ .

وفيها مصانع لإنتاج واجهات البيوت الجاهزة الأسمنتية . وقد ازدهر الإنتاج الصناعي في بخارى باكتشاف الغاز الطبيعي بمنطقتها الذي تعتمد عليه محطة القوة الكهربائية الضخمة التي أقيمت . كذلك قامت صناعة البتروكيماويات معتمدة على البترول والغاز ، وأقبل آلاف المهندسين والفنيين الروس على سكناها مع عائلاتهم حيث يعملون هناك . أما الأوزبك والطاجيك فإنهم يتركزون بكثرة في نواة المدينة الداخلية ، ويتوسط المدينة إقليم زراعي ينتج الأرز والقطن إلى جانب إنتاجه لمختلف الصناعات الزراعية .

وتشير الإحصاءات إلى أن نسبة المتعلمين بين الذين تبلغ أعمارهم من ٩ إلى ٤٩ سنة تبلغ ٩٩,٧٪ ، وإلى أن ٥٣,٨٪ من سكان أوزبكستان يحملون شهادة المرحلة الثانوية أو الشهادة الجامعية .

ويصدر في البلاد ٢٣٠ صحيفة ، منها ١٤٤ صحيفة تنشر باللغة الأوزبكية ، كما ينشر ١٢٤ من الدوريات المتنوعة ، منها ٣١ باللغة الأوزبكية[1] .

رئيس الدولة في جمهورية أوزبكستان هو إسلام كريموف[2] ، وقد

---

(١) د. محمد عبده يماني (روسيا والمسلمون في آسيا الوسطى . .) ٤٠ ، ٤١ ـ باختصار ـ ، وانظر : د . محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ٢/ ٤١٥ ـ ٤٢٦ .

(٢) إسلام كريموف : أنهى تعليمه الجامعي في الهندسة الميكانيكية ، وعمل لمدة طويلة في المصانع ، ثم عمل في هيئة تنظيم الدولة ، إلى حين اختياره من قبل الرئيس غورباتشوف ليكون سكرتيراً أولاً للحزب الشيوعي الأوزبكي . (انظر : نهال انجي أوغلو « الاستقلال أول سنواته » ١٠٨ ، ملاحظة : هذا الكتاب يحتوي على بحوث لمؤلفين عدة .

عُيِّن عام ١٤٠٩هـ (١٩٨٩م) سكرتيراً أوّل للحزب الشيوعي في أوزبكستان من قبل غورباتشوف ـ آخر رئيس للاتحاد السوفيتي ـ .

وبعد الانقلاب العسكري الفاشل ـ الذي نظمه الشيوعيون ـ في موسكو والذي رُفع على إثره احتكار الحزب الشيوعي للسلطة ، ونالت جمهوريات آسيا الوسطى استقلالها ، تغير ـ على إثر ذلك ـ مسمى الحزب الشيوعي الأوزبكي إلى مسمى « حزب الشعب الديمقراطي » ، وأجريت انتخابات في شهر جمادى الأولى ١٤١٢هـ (ديسمبر من عام ١٩٩١م) ، انتخب فيها كريموف رئيساً للجمهورية [١] .

ودخلت أوزبكستان مرحلة جديدة من تاريخها الحديث بعد نيلها الاستقلال ، حيث بدأت تتضح فيها معالم الدولة المستقلة ، وتمت المصادقة على الدستور الجديد من قبل البرلمان في شهر جمادى الآخرة من عام ١٤١٣هـ (٨/ ١٢/ ١٩٩٢م) [٢] .

وتتضح بعض الخطوط الرئيسة لسياسة الدولة وتوجهاتها من خلال ما كتبه رئيس الدولة ، إذ يقول :

ـ « . . والأهداف التي يتوجب تحقيقها : تأمين ظروف حياة وعمل لائقة للشعب ، وإعادة الاعتبار لقيم الأمة وأخلاقياتها . . . فقد حظيت بعناية خاصة ، وتفكير معمق » [٣] .

---

(١) انظر : نهال إنجي أوغلو (الاستقلال أول سنواته) ١٠٨ .

(٢) انظر : فصول من الدستور الجديد لجمهورية أوزبكستان في الملحق رقم (١) ص ٤١١ .

(٣) إسلام كريموف (أوزبكستان على طريق تعميق الإصلاحات الاقتصادية) ط : ١٩٩٦م ، شركة المطبوعات ـ بيروت ـ ، ٤ .

- ويقول : « فالإصلاح الاقتصادي ينجح فقط في حال تمكنت أمتنا من إنجاز تحررها بشكل كامل »[١] .

- ثم يجلّي موقف الدولة من الإسلام فيقول : « إن سياستنا الهادفة إلى تجديد هويتنا . . . وإلي اتخاذ موقف إيجابي من ماضينا ومن تقاليدنا الوطنية والدينية المباركة »[٢] .

- ويؤكد على علمنة الدولة[٣] بجانب حرية المعتقد ، فيقول : «ويشهد الدور الروحي لدين أجدادنا ، أي الإسلام ، في حياة الفرد والعائلة نهضة كبرى ، فالأخلاق والإحسان ، يتوافقان مع علمنة الدولة وحرية المعتقد»[٤] .

- ويحدد الهدف النهائي لسياسة الجمهورية بشكل واضح فيقول : «فالهدف النهائي هو بناء دولة قانون ديمقراطية وقوية ، ومجتمع علماني ، مع اقتصاد سوق اجتماعي مستقر وسياسة خارجية منفتحة »[٥] .

وبالرغم من أن دستور الجمهورية الجديد يؤكد في المادة رقم (٣٢) من الباب الثامن - الفصل الثاني -[٦] على الحريات السياسية إلا أن الأحزاب الإسلامية التي تطمح إلى التغيير بأساليب سلمية هي أحزاب محظورة ، وأهم تلك الأحزاب : حزب العدالة ، وحزب النهضة الإسلامي[٧] .

---

(١) إسلام كريموف (أوزبكستان على طريق تعميق الإصلاحات الإقتصادية) ٤ .

(٢) المصدر السابق : ١١٥ .

(٣) علمنة الدولة : أي جعل النظام فيها علمانيا . جاء في المعجم الوسيط : « العَلْماني : نسبة إلى العلم بمعنى العالم، وهو خلاف الديني أو الكهنوتي » . (المعجم الوسيط ٢/ ٦٢٤) .

(٤) إسلام كريموف (أوزبكستان على طريق تعميق الإصلاحات الاقتصادية) ، ١٢٣ .

(٥) المصدر السابق : ٩ .

(٦) انظر : الملحق رقم (١) ص ٤١٥ .

(٧) انظر : جُناي قوكسو أوزدوغان (الاستقلال أول سنواته) ٨٩ .

الفصل الأول

الدعوة الإسلامية في جمهورية « أوزبكستان » خلال السيطرة الشيوعية عليها

ويشتمل على ثلاثة مباحث ، كما يلي :

- **المبحث الأول :** قيام الثورة البلشفية وسيطرتها على جمهورية أوزبكستان .

- **المبحث الثاني :** وسائل الشيوعيين وأساليبهم لطمس الهوية الإسلامية .

- **المبحث الثالث :** وسائل المسلمين وأساليبهم للحفاظ على دينهم .

المبحث الأول

قيام الثورة الشيوعية وسيطرتها على جمهورية أوزبكستان

بعد احتلال القياصرة الروس لتركستان ووضعها تحت إشراف إدارة عسكرية تخضع لها حكومة عموم تركستان ، بقيت إمارتان هما : بخارى ، وخوارزم (خيوه) كمحميتين تتمتعان بالحكم الذاتي ، وكانت السياسة القيصرية حينئذ تتمثل في إعفاء السكان من الخدمة العسكرية ، وتركهم لقوانينهم وتقاليدهم ، وعزلهم عن التتر وسكان حوض نهر الفولغا عامة ، غير أن التمييز كان واضحاً بينهم وبين مستعمريهم ، كما أن استغلالهم كان بيّناً أيضاً ، ومن هنا كان الكره للروس المستعمرين جلياً ، وتمسكهم بالإسلام غير خافٍ .

وتشكل في إمارة بخارى « حزب الشباب البخاري » عام ١٣٢٧هـ ، كما تأسس بعده بعدة أعوام في مدينة طاشقند « حزب الشورى الإسلامية» وقد كانا يتبنّيان الإسلام ، ويعملان على الانفصال عن الإمبراطورية الروسية .

لقد كان المسلمون في الإمبراطورية الروسية في هذه المرحلة أصحابَ عاطفة إسلامية ، يعتزون بدينهم ويفخرون بعقيدتهم ، ويؤدّون شعائرهم ، غير أنهم كانوا على جهل بالإسلام ، ففي الوقت الذي كانوا يدعون فيه

إلى الإسلام ، ويستعلون بإيمانهم لم يكن عندهم مانع من الدعوة إلى تطبيق منهج اجتماعي أو اقتصادي مُغاير للإسلام ، إذ لم يكن مفهوم الإسلام عندهم ليتجاوز مجموعة من العبادات على المسلم أن يؤدّيها [١] .

*** مرحلة الاضطراب في أواخر العهد القيصري :**

مرت على الإمبراطورية الروسية في أواخر أيام قياصرتها مرحلة من الفوضى والاضطراب ، دامت مايقرب من ربع قرن (١٣٢٣ ـ ١٣٤٧هـ) (١٩٠٥ ـ ١٩٢٨م) ، وقد حكم هذه المرحلة ثلاثة أنواع من الحكومات وهي : الحكم القيصري (١٣٢٣ ـ ١٣٣٥هـ) ، وحكومة مؤقتة لم تلبث إلا قليلاً (١٣٣٥ ـ ١٣٣٦هـ) وكان أقرب ماتكون إلى الجمهورية ، ثم جاء الحكم الشيوعي .

قامت حركة عنف في روسيا عام ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) بسبب تردي الأوضاع وسوء تصرف المسؤولين ، وقد دامت عدة أشهر ونتج عنها منحُ الحرية الدينية للشعب ، ووافق القيصر على النظام النيابي عام ١٣٢٤هـ وقد انتخب المجلس (الدوما) [٢] ، وكان يضم خمسة وعشرين عضواً من المسلمين .

ونتيجة لقيام المجلس النيابي فقد حدثت عدة أزمات وزارية بين

(١) محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ط : المكتب الإسلامي ، ٢١/ ١٢٧ ـ باختصار ـ .

(٢) المجلس أو (الدوما) : هيئة نيابية روسية (مجلس النواب) ، نشأت عام ١٩٠٦م نتيجة لثورة ١٩٠٥م . (الموسوعة العربية الميسرة ، ط : دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١/ ٨٢١) .

١٣٢٤ و ١٣٣٢هـ بسبب الخلاف بين المجلس النيابي والحكومة . وتكونت معارضة ممن أطلقوا على أنفسهم اسم الأحرار ، وتألفت منهم كتلة ضمّت أنصار النظام النيابي . وبدأوا يطالبون بتشكيل وزارة تنال ثقة المجلس النيابي ، غير أن الإمبراطور كان يرفض دائماً هذا المطلب .

أما المعارضة الاشتراكية فقد كانت تتمثل في فئات ثلاث وهي :

الاشتراكية الثورية : وهي أكثر الفئات الثلاث اعتدالاً .

المانشفيك : وهي مجموعة ماركسية ، ولكنها لاترى انتزاع السلطة بالقوة .

البلشفيك : وهي مجموعة ماركسية أيضاً ، وتعمل على استلام السلطة بالقوة ، ويرأسها لينين[1] .

شجعت هزيمة روسيا أمام اليابان عام ١٣٢٢هـ (١٩٠٤م) الحركات المناوئة للسلطة الروسية ، فبعد أن كانت تبدو في أعين المعارضة قوية إذا بها تنهار في نظرهم .

ومع الطغيان ، وكثرة المفاسد تحركت ثورة ١٣٢٣هـ (١٩٠٥م) ، واشترك فيها بعض المسلمين في بعض الأقاليم ، سواء أكان ذلك عفوياً أم عن سابق تصميم .

---

(١) محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ، ٢١ / ١٣٠ ـ ١٣١ ـ باختصار ـ.

واستمرت الفوضى في الحكم ، واندلعت نار الحرب العالمية الأولى[1]، والوضع غير مُستقر ، ومعارضة الحكم والقيصر على أشدها ، وباشتراك روسيا في الحرب زادت الأمور سوءاً .

بدأت ثورة ١٣٣٥هـ (١٩١٧م) عندما غادر العمال المعامل في بتروغراد يوم ١٥ جمادى الأولى عام ١٣٣٥هـ (٨ آذار ١٩١٧م) وتظاهروا في الشوارع نتيجة المفاسد القائمة فاصطدموا مع الشرطة ، فاستدعت الحكومة الجيش فرفض قادته التدخل ، إذ ادّعوا أنهم في شغلٍ بالحرب ، فقدمت الحكومة استقالتها ، وأعطى القيصر نيقولا الثاني بصفته القائد الأعلى للجيوش الأمر لجنوده بالزحف على بتروغراد يوم ٢٠ جمادى الأولى (١٣ آذار) ، فأبوا وكان هو يُرابط في رئاسة الأركان بسبب ظروف الحرب .

تشكلت حكومة مؤقتة يوم ٢١ جمادى الأولى برئاسة الاشتراكي كيرنيسكي ، واشترك فيها الاشتراكيون والحزب الديمقراطي الدستوري . وتنازل القيصر عن العرش لأخيه الأكبر ميخائيل يوم ٢٣ جمادى الأولى (١٦ آذار) فجاء ميخائيل إلى بتروغراد فوجد أن الاحتفاظ بالحكم أمر مستحيل فتنازل عنه يوم ٢٤ جمادى الأولى ، وخوّل الحكومة المؤقتة

---

(١) الحرب العالمية الأولى : قامت هذه الحرب من سنة ١٩١٤ إلى ١٩١٨م ، بين : ألمانيا والنمسا والمجر والإمبراطورية العثمانية من جهة ، والحلفاء : فرنسا وانكلترا وروسيا وبلجيكا واليابان والولايات المتحدة في المرحلة الأخيرة ، من جهة ثانية ، ومن أهم أسبابها حروب البلقان بسبب اغتيال ولي عهد النمسا في (سراييفو) عاصمة البوسنة والهرسك بيد أحد المواطنين الصرب (انظر المنجد في الأعلام ص ٢١٦) .

تسيير شؤون البلاد ، وأعلن أن اختيار نوع نظام الحكم في روسيا إنما يعود إلى الجمعية التأسيسية ، وريثما تتكوّن فإن السلطات كافة إنما تتولاها الحكومة المؤقتة [1] .

*** بداية تسلم لينين السلطة :**

عاد لينين إلى روسيا في جمادى الآخرة ١٣٣٥ هـ (آذار ١٩١٧م) وكان يقيم في سويسرا ، وأخذ يُنادي بمبدأ تقرير المصير للأقليات ، وهذا ماجعل بعض المسلمين ينضمون إلى البلشفيك على أن هذه المناداة وعد منهم إذا ما تسلموا السلطة ، فأصبح كثير من المسلمين يتمنون أن ينجح البلشفيك في مهمتهم لينال المسلمون حقوقهم ، فاتجه المسلمون بذلك نحو الاشتراكية بدافع كره الروس ، والنظام القائم ، ورغبة في أن يُحقق ذلك مصالح للمسلمين ، وهذا ماتم في معظم الأقاليم الإسلامية عدا بلاد داغستان ، كما اعتمد البلشفيك في دعايتهم على إنهاء الحرب مباشرة وإجراء الصلح ، وتقسيم الأراضي بين الفلاحين ، وتسليم السلطات لمجلس العمال والجنود ـ الذي تشكل بصورة عفوية في بتروغراد (سوفيت بتروغراد) ـ وهكذا بدأ البلشفيك يقوى مركزهم إذ أخذ العمال والفقراء والمسلمون يتجهون نحوهم أملاً بالفرج ومن غير علم بما يكون ، وفي الوقت نفسه كانت الحكومة المؤقتة يزداد موقفها ضعفاً .

---

(١) محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ، ٢١ / ١٣٢ ـ ١٣٣ ـ باختصار ـ .

*** محاولات المسلمين للوحدة والمطالبة بحقوقهم :**

وعقد الأعضاء المسلمون في المجلس النيابي (الدوما) الرابع مؤتمراً في بيتروغراد ، ودعوا أناساً من غير النواب ، وقرروا إنشاء مكتب مؤقت للمسلمين في الإمبراطورية الروسية ، وتولى إدارته أحمد تساليكون القفقاسي المنشفيكي ، كما قرروا عدم التعاون مع الأحزاب الروسية ، وفي طليعتها الحزب الديمقراطي الدستوري لخيانته المسلمين ؛ وبجهود هذا المؤتمر تَمَّ عقد مؤتمر موسكو في ٨ رجب ١٣٣٥هـ (١ آيار ١٩١٧م) .

عقد مؤتمر موسكو ، وكان مؤتمراً إسلامياً كبيراً حضره تسعمائة مندوب من جميع الأقاليم الإسلامية ، حاولوا فيه التوفيق بين الإسلام والاشتراكية .

أما مطالب المؤتمر للحكومة المؤقتة فقد تمثلت فيما يلي :

المساواة في الحقوق المدنية مع الروس ، والاستقلال بالأمور الدينية ، وأن يكون المفتي منتخباً من قبل المسلمين وليس مُعيَّناً من قبل الحكومة ، وحصر الأراضي بالسكان الأصليين ، كما كان من جملة مقرراته ، أن يكون أسبوع العمل (٤٨) ساعة أي (٨) ساعات يومياً ، وإلغاء الملكية الخاصة ، ومصادرة أملاك الدولة وأديرة الكنائس ، ومساواة المرأة بالرجل ، ومنع تعدد الزوجات ، وإنشاء مديرية للشؤون الإسلامية في مدينة أوفا ، والمحافظة على الوحدة التركية . والوحدة الإسلامية .

وانقسم المؤتمرون فريقين يرى أحدهما الاتحاد مع روسيا ، على حين يرى الآخر الاستقلال عنها . كما تقرّر إنشاء المجلس الوطني المركزي

الإسلامي (ملّي شورى) ، وأن يكون مقرّه موسكو ، وتُمثله لجنة تنفيذية في بتروغراد . ولكن لم يكن لهذه المجالس أيّة سلطات ، وكان المسلمون في كل إقليم يواجهون أعداءهم الروس ، ويواجهون المشكلات ، وكل إقليم يحلّ مشكلته بنفسه [1] . « وفي شهر تموز من عام ١٩١٧م عقد في مدينة قازان المؤتمر الإسلامي الثاني ولم يحضره ـ في هذه المرة ـ غير التتر والبشكيريين والقرميين ، ولم يستطع الأذريون والتركمان ـ أو لم يشاؤوا ـ حضور المؤتمر بسبب الفوضى التي كانت تسود البلاد .

أسقط مؤتمر قازان قرارات الأول من آيار ، ورفض فكرة الاتحاد الفيديرالي [2] ونادى بالوحدة الثقافية والسياسية لمسلمي روسيا ، وكانت خطب المندوبين ثوريه بكل صراحة وفي الوقت ذاته أشدَّ دعوة للرابطة الإسلامية ، ولقد تدعمت الإدارة الإسلامية المركزية بإحداث (مجلس عسكري) ومقره في قازان ، فبدأ هذا المجلس منذ تموز من عام ١٩١٧م بتجنيد جيش إسلامي بقيادة ضباط تتريين وبشكيريين ، وأنشئت أيضاً إدارة قومية إسلامية مقرها في أوفا ، كُلّفت بالإعداد للدعوة لاجتماع مجلس وطني يُعقد في أوفا في (٢٠ تشرين الثاني ١٩١٧م) ، وعليه بدوره أن يقرر

---

(١) انظر : محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ٢١/ ١٣٦ ، وأيضاً الكسندربينيغسن وشانتال لوميريه (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) ٣٧ .

(٢) الاتحاد المركزي أو الفيدراليّ ، من أقوى أنواع الاتحادات ، إذ تكون السيادة الخارجية وحق التمثيل الدبلوماسي والدفاع لدولة الاتحاد ، ولاتكون للدويلات المكونّة للاتحاد غير صلاحيات محدودة مع الاحتفاظ بسيادتها الداخلية في معظم شؤنها ، فيكون لكل منها دستورها وحكومتها وبرلمانها وقضاؤها ، ومن الأمثلة : سويسرا والولايات المتحدة الأمريكية ، و كندا وألمانيا الاتحادية . (انظر كتاب : (الأنظمة السياسية والدستورية في لبنان وسائر البلدان العربية)، تأليف حسن الحسن ، ص ٢٤ ـ ٢٥، ط : بيروت عام : ١٩٦٧م).

المصير المقبل لمسلمي روسيا .

وهكذا أخفقت التجربة الثانية للرابطة الإسلامية عشية ثورة أكتوبر ؛ وحين انفجرت الثورة استقبلها المجتمع الإسلامي في روسيا على نحو مشتت ومتباين [١] .

أعطى لينين أوامره لجماعته البلاشفة فتسلموا السلطة دون مقاومة ، ولم يدعم الحكومة السابقة سوى الطلاب والضباط في الكلية الحربية والذين قُتلوا جميعاً ، وفي اليوم الثاني تشكلت حكومة جديدة برئاسة لينين، وفرّ رئيس الحكومة المؤقتة كيرينسكي .

وفي اليوم الثاني لتشكيل الحكومة البلشفية تم تأميم الأراضي التابعة للكنيسة وللأغنياء ، ثم انعقدت الجمعية التأسيسية فكانت أكثرية أعضائها بجانب أنصار كيرينسكي فصدر قرار بحلها يوم ٥ ربيع الثاني ١٣٣٦هـ (١٩ كانون الثاني ١٩١٨م) ، ثم صدر قرار بتأميم الأراضي جميعها وإلغاء المُلكية الخاصة ؛ وفي مطلع شهر رمضان من العام نفسه حصر حق الانتخاب في السوفييت [٢] .

لم يستطع المسلمون التأثير الفاعل في مجريات الأحداث وقتئذ ، ويذكر محمد عبدالقادر أحمد أحد أسباب ذلك فيقول : « ومن المؤسف فإن الأحزاب الإسلامية التي قامت عند التتار أو الأذربيجانيين أو التركستانيين في العهد القيصري لم تعش طويلاً لقلة تنظيمها ، لذا عجزت عن الوقوف

---

(١) الكسندربينيغسن ، شانتال لوميرييه . (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) ، ٣٨ - بتصرف - .

(٢) محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ، ٢١/ ١٣٧ - بتصرف - .

في وجه الأحزاب السياسية التي كانت تتميز بالتنظيم وتعتمد على الدقة والوضوح في رؤية الأهداف ، ونتج عن ذلك انفراط الأحزاب بمجرد قيام ثورة أكتوبر ١٩١٧م »[١] .

*** خداع لينين للمسلمين :**

شعرت الحكومة المركزية منذ أن تسلمت السلطة بضرورة كسب ود المسلمين ، فوجهت نداءً خاصاً إلى جميع العمال المسلمين في روسيا وفي الشرق ، تعدهم باحترام معتقداتهم وعاداتهم ، وتدعوهم إلى تنظيم حياتهم بحرية تامة ، وكانت الغاية من هذا النداء ـ الذي وقعه كل من لينين وستالين ـ إثارة الحماسة لدى الشعوب الإسلامية لمناصرة الثورة البلشفية في مهدها ، ومما جاء في ذلك النداء :

« يا مسلمي روسيا ، وياتتر الفولغا والقرم ، أيها القرغيز وسكان سيبريا وتركستان ، ياسكان القوقاس الأبطال وقبائل الشاشان وسكان الجبال الأشداء ، أنتم يامن هُدّمت مساجدكم وحطمت معابدكم ، ومَزَّق القياصرة الطغاة قرآنكم وحاربوا دينكم ، وأبادوا ثقافتكم وعاداتكم ولغاتكم ، ثوروا من أجل دينكم وقرآنكم وحريتكم في العبادة ، إننا هنا نعلق احترامنا لدينكم ومساجدكم ، وإن عاداتكم وتقاليدكم حرة لايمكن المساس بها ، ابنوا حياتكم الحرة الكريمة المستقلة دون أي معوقات ، ولكم كل الحق في ذلك ، واعلموا أن جميع حقوقكم الدينية والمدنية مصونة بقوة الثورة ، ورجالها

---

(١) د. محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ، ٩٦ .

والعمال والفلاحين والجنود وممثليهم ، لهذا نطلب منكم تأييد الثورة ومساندتها ؛ لأنها تقوم من أجلكم ومن أجل حريتكم الدينية والمدنية .

يامسلمي الشرق . . يامسلمي إيران وتركيا وبلاد العرب والهند . . أنتم يامن تاجر مصاصو الدماء الأوربيون المستعمرون بحياتكم وأوطانكم وحرياتكم لعدة قرون من الزمان ، أنتم يامن يتآمر عليكم هؤلاء اللصوص الذين يتقاسمون أرضكم ويشعلون نار الحرب لتكونوا أتونها ثم يستلبون بعد ذلك أرضكم وثرواتكم .

أما نحن فنعلن بأعلى صوتنا أن الاتفاقيات السرية التي أبرمت بين روسيا القيصرية ، وبين فرنسا وبريطانيا الاستعماريتين ، والتي بموجبها اقتسموا أراضيكم ـ أيها المسلمون ـ واستلبوا ثرواتكم ونهبوا خيراتكم ، نعلن أنها باطلة ، ونعلن أن خطط القيصر المخلوع وحكومة كيرنسكي التي أزاحها الشعب للاستيلاء على القسطنطينية (عاصمة الخلافة الإسلامية) باطلة ولاغية .

إن حكومة جمهورية روسيا الثورية ومجلس الشعب الأعلى فيها يعلنون أنهم ضد احتلال أراضي الغير بالقوة ، ونعلن أن القسطنطينية ينبغي أن تبقى بيد المسلمين . .

كما نعلن أن الاتفاقية السرية بين بريطانيا وروسيا القيصرية لاقتسام إيران بينهما لاغية وباطلة ، ونعلن أننا سنسحب قواتنا من إيران بمجرد انتهاء العمليات العسكرية ، ونضمن استقلال إيران الكامل . وإننا نعلن أيضاً أننا ضد تقسيم تركيا واقتطاع أرمينية منها ، وأن هذه الاتفاقيات السرية

باطلة ولاغية .

ليس من روسيا ـ أيها المسلمون ـ سيأتي استعبادكم بل من الدول الأوربية الاستعمارية . . من هؤلاء اللصوص مصاصي الدماء الذين استعمروا أرضكم واستلبوا ثرواتكم وزجوا بأبنائكم في أتون حرب لايأتيكم منها إلا الدمار ، وفي مقابل ذلك كله يقتسمون مابقي من أرضكم وثرواتكم وكأنكم وبلادكم غنائم الحرب المنتظرة .

ثوروا ضد هؤلاء الطغاة الكفرة الذين سرقوا ثروات بلادكم واستعبدوا أوطانكم . . نعم ثوروا الآن في هذا الوقت الذي تشتعل فيه الثورة ، وينهدم فيه بنيان الطغيان والاستبداد ، ويتقوض فيه نظام الاستعمار . . ثوروا فإن أي شرارة الآن ستكون حريقاً يلتهم بنيان الطغيان والاستبداد والاستعمار . إن الهنود المسلمين الذين ذاقوا الذل والاستعباد لقرون طويلة يثورون الآن ضد بريطانيا العظمى ، ويرفضون أن يُبقوا حول أعناقهم الأغلال التي غلتهم بها بريطانيا لعدة قرون من الزمان .

اليوم لايمكن السكوت على هذا الظلم وعلى هذا الاستعباد ، إنه وقت الثورة ضد المستعمرين الانجليز الغاصبين لأوطانكم ، المحاربين لدينكم ، المستبيحين لمقدساتكم ، الناهبين لثرواتكم . . الآن ياأيها الرفاق والأخوة هو الوقت المناسب للثورة ولصنع مستقبلكم الحر الباسم بأيديكم . تقدموا أيها المسلمون لتحرير أوطانكم وارفعوا أعلام ثورتكم ، فإن أعلامنا وبنودنا قد رفعت من أجل حرية المستعبدين والمظلومين . يامسلمي روسيا ، يامسلمي الشرق هلموا إلينا إلى طريق الحرية والعدالة لنبني هذا العالم من

جديد على أسس الحق والخير والعدل » .

التوقيع : جوزيف ستالين / فلاديمير لينين[١]

لقد خُدع عدد كبير من المسلمين وصدقوا وعود لينين ، وساروا في ركابه ، يقول أحد أولئك المخدوعين من مسلمي التركستان : « إن نشر هذا النداء يشهد بحد ذاته على فهم لينين العميق لمدى صعوبة وتعقد الوضع في آسيا الوسطى وما وراء القوقاز والقرم وحروض نهر الفولغا . ولقد انطلقت السلطة السوفييتية في توجيه ندائها إلى المسلمين بالذات من أن الانتماء الديني هنا كان أكثر أهمية من الانتماء الجنسي السلالي ، وإن ممثلي كافة الأقوام كانوا يقرون بأنهم مسلمون في المقام الأول . وفي الوقت نفسه راعت السلطة السوفييتية درجة عدم تطور الوعي الذاتي الطبقي، فلم تجعل النداء موجهاً إلى المسلمين بوجه عام، وإنما إلى المسلمين الكادحين»[٢] .

وإمعاناً في خداع المسلمين اتخذ لينين بعض القرارات التي تعبّر عن إعطاء المسلمين بعض الحرية الدينية ومن ذلك :

(١) إعادة مصحف عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ بعد أن نقله أحد جنرالات الجيش القيصري من سمرقند إلى بطرسبورغ ، فأصدر لينين أمراً بتسليم المصحف إلى المسلمين[٣] .

---

(١) د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ، ١/ ٥٧ ـ ٦٠ . نقلاً عن كتاب : The Soviet Union and the Muslim World

(٢) شوكت برهانوف ، وآخرون (السلطة السوفيتية والإسلام) ، ١٤ .

(٣) انظر : المرجع السابق : ١٠ .

(٢) قام بتسليم عدد كبير من الوثائق التاريخية والآثار الإسلامية الهامة التي كان قد استولى عليها القياصرة ، وأعادها إلى مسلمي القرم والقوقاس والتركستان .

(٣) أعاد مساجد كارفان ساريا في أورنبرغ وبرج سومبكي في قازان إلى المسلمين ، بعد أن كان القياصرة قد صادروها في السابق[١] .

* ومن الواضح الجلي ـ عند الدراسة المتأنية لبيانات لينين وستالين الموجهة إلى المسلمين ـ أن ثورة أكتوبر البلشفية كانت ترى أنها لكي تنجح لابد أن تستغل المسلمين وتجعلهم في صفها حتى تنتصر على قوات روسيا البيضاء التي تساندها بقوة قواتُ انجلترا والحلفاء ، كما أن إثارة القلاقل لبريطانيا في الهند وإيران والعراق وتركيا أمر له أهمية بالغة بالنسبة لأمن الثورة في مراحلها الأولى[٢] .

استمر لينين يصدر البيان تلو البيان الموجه إلى المسلمين في روسيا وفي العالم كي يساندوا ثورته ، ويقوموا في وجه أعدائه في الداخل والخارج ، ومن آخر تلك البيانات بيانه الصادر عام ١٣٣٨هـ (١٩١٩م) وجاء فيه : « يامسلمي العالم الذاهبين ضحايا الاستعمار استيقظوا استيقظوا إن روسيا قد أقلعت عن سياسة الحكومة القيصرية ، تلك السياسة الضارة الخبيثة التي كانت تسير عليها حكومتنا السابقة ، إن روسيا اليوم تمد

---

(١) انظر : د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ، ١/ ٦١ .

(٢) المرجع السابق : ١/ ٦١ ـ بتصرف ـ .

يدها إليكم لتعينكم وتنصركم على تحطيم أغلال الاستعباد والاستبداد البريطاني!

إن روسيا تطلق لكم الحرية الدينية وتعترف بحدود بلادكم المعروفة ولن توافق على إعطاء رقعة من البلاد التركية إلى الأرمن، وتُبقي مضايق البوسفور والدردنيل في أيديكم، وتظل القسطنطينية (اسطمبول) عاصمة العالم الإسلامي، ويُمنحُ المسلمون في روسيا الاستقلال التام.

إن مانطلبه منكم لقاء هذا هو قيامكم لمقاتلة المستعمرين الغاشمين الذين دأبهم ومبتغاهم استنزاف بلادكم واستلاب ثرواتكم واستعباد أوطانكم»[1].

*** المقاومة في أوزبكستان:**

كانت الاستجابة لزعماء البلاشفة وتحقيق رغباتهم تتفاوت من مكان إلى آخر، ومن زعيم إسلامي إلى ثانٍ، ففي أوزبكستان ـ وبعد الانقلاب البلشفي بشهر ـ أعلن مجلس الشعب الإسلامي في مدينة خوقند استقلال تركستان الذاتي؛ فسار إليها سوفييت طاشقند في ٢٢ ربيع الثاني ١٣٣٦هـ (٥ شباط ١٩١٨م)، فاقتحموا المدينة، ونهبوها، واستمرت أعمال السلب والذبح ثلاثة أيام، ثم هُدمت المدينة، وأضرمت فيها النار فذهب خلق كثير من أهل خوقند قتلاً[2]، والتحق من نجا من أعضاء الحكومة بفرق

(١) د. محمد علي البار (المسلمين في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ)، ١/ ٦٣.

(٢) ملاحظة: تذكر بعض المراجع أعداد من ذهبوا في تلك المجزرة الدموية وغيرها قد يكون في بعضها مبالغة، لذا حرص الباحث على التحقق منها ـ قدر الإمكان ـ.

المجاهدين [١] ، التي يُطلق عليها اسم (البصمتشية) [٢] .

لكن بعضاً من المسلمين في التركستان وغيرها صدقوا وعود لينين وخداعه وساروا في ركابه ، بل إن البعض منهم أخذ يورد الأدلة على عناية لينين بالمسلمين [٣] !! .

*** الثورة الأهلية ضد البلاشفة [٤] :**

حدثت بعد ذلك الثورة الأهلية وذلك عندما ثار الأسرى التشيكوسلوفاكيون الذين كانوا على طول خط حديد سيبيريا ، وكانت حركتهم يوم ١٢ شعبان ١٣٣٦هـ (٢٥ آيار ١٩١٨م) واستغلت هذه الحركة كل العناصر المعادية للسلطة الجديدة البلشفية ، وشكل خصوم البلاشفة حكومة (كوموتش) ، وبدأ هجومهم فاستولوا على الأورال ، واضطر الجيش الأحمر إلى إخلاء مدينة أوفا ، وحدثت فوضى واضطرابات في

(١) محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ٢١/ ١٤٦ ـ بتصرف ـ ، وتجدر الإشارة إلى أن العديد من الثقات الذين التقاهم الباحث من أهل خوقند وغيرها قد أكدوا ذلك وذكر بعضهم أن الروس أضرموا النار في سوق المدينة ومزارعها وكثير من البيوت فيها ، كما أعملوا القتل واستباحوا المدينة .

(٢) إن لفظ (باسماتش) مشتق من الفعل التركي (باسماك) الذي يعني : يلاحق ، أو يضطهد ، أو يغتصب (برهانوف ـ السلطة السوفيتية والإسلام ـ ١٧) . وقد أطلق الشيوعيون هذا المسمى على المجاهدين لتشويه صورتهم ، فأصبح المجاهدون يفتخرون بهذا اللفظ لأن مفهومه عند المسلمين صار يعني : الجهاد ، والسعي في طلب الحق ونصرة المظلوم . (د. محمد عبدالقادر أحمد : الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر ١٢٦) .

(٣) انظر ماكتبه : المفتي شمس الدين خان في كتابه : (ضياء الدين خان وتراثه الفكري) ٩ ، وماكتبه أيضاً : عبدالله وهابوف (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) ، ١٠ . ملاحظة : الكتابان من إصدار حكومة طشقند التي تمثل البلاشفة الروس .

(٤) انظر تفصيل الحديث في حركة الجهاد في أوزبكستان ضد العدو البلشفي في الفصل الأول ، المبحث الثالث ، الوسيلة الأولى : المقاومة المسلحة للغزاة الروس ص ١٥٢ .

الجيش الأحمر إلى إخلاء مدينة أوفا ، وحدثت فوضى واضطرابات في أغلب المدن السوفييت .

سيطر المجاهدون ممن يطلق عليهم الروس اسم (البصمتشية) على وادي فرغانه عام ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) ، وأعلن الروس المسالمة فحدث هدوء ، ثم عاد القتال وتوسع نطاق عملياتهم حتى كان لهم دورهم في كل أنحاء المنطقة بما فيها إمارة بخارى ، وقد وصل إليهم أنور باشا ـ وزير خارجية الدولة العثمانية سابقاً ، وأحمد زكي وليد ـ رئيس حكومة باشكيريا سابقاً ـ واستمرت المعارك حتى عام ١٣٤٧هـ ، وقتل أنور باشا . ولم يبق للبلاشفة في المناطق الإسلامية سوى مدينة طاشقند وماحولها حيث يسيطر عليها سوفييت طاشقند ويدعمهم مرتزقة الجيش الأحمر .

*** انتصار البلاشفة :**

أمام هذا المأزق الحرج الذي وقع فيه البلاشفة لم يجدوا لديهم سلاحاً أفضل مما يعدونه من إعطاء المسلمين وباقي القوميات حقوقهم ، وقد أصدروا أوامرهم للمنظمات البلشفية يُجبرونها فيها على اتخاذ مواقف أكثر مرونة وأحسن معاملة وأقرب مُسالمة للمسلمين ، وأمام هذا التصرف اتجه عدد من زعماء المسلمين إلى إعادة النظر في مواقفهم السياسية تجاه البلاشفة ، وقد ساعد زعماء المسلمين على تغيير مواقفهم أن الأميرال كولتشاك ـ وزير حربية الحكومة السيبيرية ـ عندما قام بانقلاب على حكومته وتفرد بالسلطة في شهر صفر من عام ١٣٣٧هـ (تشرين ثاني ١٩١٨م) أعلن وأكد أنه لن يبالي بمطالب المسلمين في موضوع الاستقلال الذاتي ، بل

لايُعير قضاياهم اهتماماً . وكذلك فإن الجنرال دينيكين في منطقة أوكرانيا كان يُظهر عداءً للمسلمين أكثر من كولتشاك ، إذ قضى على كثيرين من تتار القرم .

ومما ساعد البلاشفة على تحقيق النصر انقسام خصومهم ، كما أنهم فطنوا إلى قوة المسلمين ، فمنوهم بمعسول الكلام ، وطيب الأماني ضمن مخطط مرحلي ، حتى إذا تمكنوا طبقوا سياستهم التي أضمروها للمسلمين[1] .

استمرت حركة المجاهدين في التركستان تقاتل بسبب الظلم الذي لحق السكان من سوفييت طاشقند ، وقوي أمر هذه الحركة ، وبلغت من القوة حتى حسب كثير من الناس أن الإمبراطورية الروسية قد أفل نجمها على الأقل من منطقة تركستان ، ولكن منذ أن استطاعت الجيوش الحمراء شق طريقها إلى طاشقند في ربيع الأول من عام ١٣٣٨هـ (تشرين الثاني ١٩١٩م) **دعماً** لسوفييت طاشقند ، بدأت الكفة ترجح لصالح السوفييت ، ويضعف أمر حركة المجاهدين ، وأرسل لينين لجنة إلى طاشقند عرفت باسم (لجنة تركستان) ، أغدقت الوعود للمسلمين ، فصدقتها بعض النفوس وقبلت وعود السوفييت ، ولم يكن المسلمون على تلك الدرجة من الوعي ، الأمر الذي أضعف حركة المجاهدين ـ وإن استمرت حتى عام ١٣٤٧هـ إلا أن السوفييت قد تمكنوا في المنطقة ، إذ انضّم إليهم عدد من أبناء البلاد .

ورغم أن لجنة تركستان قد أعطت السكان وعداً باستقلال المنطقة

---

(١) محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ٢١/ ١٤٦ ـ ١٤٩ ـ باختصار ـ .

استقلالاً ذاتياً ، والإبقاء على مراكزهم الثقافية والتعليمية والدينية ، إلاّ أن هذه الوعود كانت مرحلية ، فما أن قوي أمر الروس الحمر في تركستان حتى اتجهوا نحو إمارة بخارى وخوارزم واستولوا عليهما ، وغدت تركستان كلها تحت سلطان الروس ، وإن أبقوا لبخارى وخوارزم شيئاً من الاستقلال تحت الإشراف الشيوعي [١] .

وما إن جاء شهر ربيع الثاني من عام ٣٣٩هـ (نهاية عام ١٩٢٠م) حتى انتهت الحرب الأهلية ، وألقى الناس السلاح من وجه الشيوعيين الذين صفا لهم الجوُّ وتفرغوا لتنفيذ مخططاتهم .

وأخيراً وبعد أن تخلص زعماء البلشفيك من خطر الانقلاب على الثورة ، وقبل أن تميل كفة النصر النهائي إلى جانب الجيش الأحمر ، أقر المسلمون في المؤتمر الإسلامي الذي عقد في موسكو الاقتراح الذي قدمه ستالين والذي يجبر المسلمين على دمج الحزب الشيوعي (البلشفي) الإسلامي [٢] في الحزب البلشفي الروسي [٣] .

*** الانضمام إلى الحزب الشيوعي :**

بعد هذا النصر الذي أحرزه الشيوعيون بدأت التنظيمات والأفراد في المناطق الإسلامية ـ ولاسيما التركستان ـ تنضم إلى الحزب الشيوعي خوفًا وتسترًا أو مصلحةً وهوىً ، فلقد انضم إليهم تجمع شباب بخارى ، وتجمع

(١) محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ٢١/ ١٥٢ ـ بتصرف ـ .

(٢) إن وجود حزب شيوعي إسلامي ، ليدل على مدى جهل المسلمين وانحرافهم ، مما مكن عدوهم وجعلهم يسيرون في ركابه حيث أراد .

(٣) تعريب د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) ١٦٢ ـ بتصرف ـ .

شباب خيوه ، وحزب « الجديد » التركستاني ، وكل العناصر التي تسمي نفسها ثورية ، أو تدعي ذلك ، وهي لاتعرف ماتعني هذه الكلمة ، وتكفي هذه الدعوى الشيوعيين إذ تعني ـ عندهم ـ أن العنصر مستعد للسير بالشكل الذي يراد له ، وبالعقيدة التي تُطلب منه [١] .

لقد اعتنق كثير من مسلمي روسيا الشيوعية مصدقين دعوة الشيوعيين لهم بإمكانية التوفيق بين الشيوعية والإسلام . وقد دامت هذه الشيوعية الإسلامية حوالي عشر سنين ابتداء من عام ١٩١٨ إلى ١٩٢٨م ، وقد اشتغل بعضهم في موسكو مساعدين ، وحاول الشيوعيون المسلمون خلال تلك الفترة أن يكيفوا الماركسية اللينينية الروسية مع ثقافة الإسلام ، لكنهم فشلوا، وفي الختام صفاهم ستالين جسدياً كلهم تقريباً بين أعوام ١٩٢٨ ـ ١٩٣٨م [٢]، ولم يستثن الشيوعيون أحداً من المسلمين المخلصين لهم ، والذين كانوا عوناً لهم حتى على بقية إخوانهم من المسلمين ، والذين وطدوا لهم أركان حكمهم الاستعماري في المناطق الإسلامية ، فقد كان الهلاك مصير الجميع .

واستمرت سياسة لينين في عهد ستالين [٣] بصورة أشد بطشاً وأكثر

(١) محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ، ٢١ / ١٥٤ ـ بتصرف ـ .

(٢) الكسندر بينيغسن ، شانتال لوميرييه (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) ، ٤٨ ـ بتصرف ـ .

(٣) هو جوزيف ستالين ، سياسي روسي من رجال الثورة . أمين عام الحزب الشيوعي عام ١٩٢٢م . خلف لينين في زعامة الحزب والدولة السوفياتية عام ١٩٢٤م حتى وفاته . أبعد تروتسكي عام ١٩٢٧م وقضى على مناوئيه في محاكمات صورية واستبدّ بالسلطة . من أكابر قادة الحلفاء في الحرب العالمية الثانية . أطلق الحرب الباردة في مطلع الخمسينات ضد الدول الرأسمالية . عاش في الفترة من ١٨٧٩ إلى ١٩٥٣م . (انظر : المنجد في الأعلام واللغة، ص ٢٩٦) .

العالمية الثانية (١٩٣٢ ـ ١٩٣٨م) ، فظروف الحرب وضرورة تماسك الجبهة الداخلية لم تسمح بمزيد من الاضطهاد للمسلمين في الداخل ، كما أن كثيراً من المسلمين قاتلوا ببسالة ضد الألمان وغيرهم إلى جانب الاتحاد السوفييتي ، وفي ذلك يقول المفتي ضياء الدين خان ـ الذي عينته السلطات البلشفية مفتياً للتركستان ـ .

« لقد كانت هذه الحرب اختباراً جديًا لصلابة الصداقة والأخوة بين شعوب وطننا المتعدد القوميات والفسيح الأرجاء ، التي هبت كمعسكر موحد دفاعاً عن مكتسباته التاريخية . وفي السنوات القاسية للمحن العصيبة التي ابتُلي بها السوفيتيون ، أظهروا مرة أخرى بالنار والسيف أمام العالم أجمع ، إخلاصهم غير المتناهي إلى تلك الأهداف والمهام التي قامت من أجلها ثورة أكتوبر الاشتراكية العظمى في عام ١٩١٧م »[1] .

* إنشاء الإدارة الدينية بطشقند لخدمة الأهداف السوفيتية العليا :

وإبان تلك الفترة تم إنشاء الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان ، وكان الهدف من إنشائها دعم موقف الاتحاد السوفيتي من خلال التعبئة المعنوية ضد خصومه في الحرب العالمية الثانية ، وفي ذلك يقول المفتي ضياء الدين خان : « كان الشيخ إيشان خان وابنه ضياء الدين ، يدركان بأن التشتت البالغ والرابطة الضعيفة بين الطوائف الإسلامية الصغيرة والقليلة القدرة في المنطقة ، يضعفان بشكل خطير تحقيق التعبئة الفعالة إلى

(١) شمس الدين خان (المفتي ضياء الدين خان وتراثه الفكري) ٢٩ ـ ٣٠ .

أقصى حد لكافة قوى المسلمين للنضال المقدس ضد العدو الفاشستي البغيض ، فكانا بين المبادرين الرئيسيين لعملية استحداث توحيد جميع مسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان ، تحت إدارة مركز ديني مشترك واحد . وقد استحسنت حكومة جمهورية أوزبكستان السوفييتية هذه المبادرة ، واقترحت تشكيل لجنة تحضيرية من أجل بحث التدابير التطبيقية لتأسيس مثل هذا المركز »[1] .

واستطاع استالين أن يستعمل بعض السذج من المسلمين في ضرب أعدائه في الخارج ، ففي عام ١٩٤٣م صادقت الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاخستان التي تأسست لتوها ، على نداء إلى جميع المسلمين السوفييت جاء فيه : « نحن الدعاة وممثلي المؤمنين المسلمين في أوزبكستان وطاجكستان وتركمانيا وقيرغيزيا وقازاخستان نتوجه إليكم أيها الأبناء والأخوة الأعزاء باسم المسلمين كافة ، حاربوا كتفا إلى كتف مع شعب بلادكم أجمع كالأسود المغاوير ضد الغزاة النازيين ، اقضوا على النازيين البغيضين ، كي لا يبقى أحد منهم في كوكبنا .

دافعوا عن كل شبر من الأرض السوفيتية ، وعززوا صفوفكم بالانضباط الحديدي . ندعو المؤمنين كافة إلى الابتهال إلى الله داعين إياه مساعدة جنودنا ، ومنحنا النصر العاجل على العدو »[2] .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل قام أولئك المخدوعون من المسلمين

---

(١) شمس الدين خان (المفتي ضياء الدين خان وتراثه الفكري) .

(٢) المرجع السابق : ٣٣ ـ ٣٤ .

بجمع التبرعات النقدية والعينية لدعم صندوق الدفاع عن الاتحاد السوفيتي، فقد ورد في رد ستالين على رسالة المفتي ضياء الدين خان التي يدعو الله له فيها بطول العمر ! والنصر على عدوه . . ، فيجيبه ستالين برسالة يقول فيها : « أرجو أن تبلغوا تحياتي وامتنان الجيش الأحمر إلى الإدارة الإسلامية والمؤمنين في آسيا الوسطى وقازاخستان الذين جمعوا ٠٠٠ ,٢٨٠ ,١ روبل نقداً ، ٠٠٠ ,١٧ روبل على شكل سندات قرض ، وكذلك الحبوب والماشية من أجل صندوق الدفاع في الاتحاد السوفيتي .

ي . ف ستالين

موسكو ، الكرملين ، عام ١٩٤٤م[١]

إذن كان الهدف من إنشاء الإدارة الدينية خدمة الأهداف العليا للدولة السوفيتية ، وصارت تلك الإدارة بوقاً من أبواق النظام البلشفي ، تبرر جرائمه وتدعي الحرية للمسلمين ، بل وتدعو في بعض الأحيان للنظام الاشتراكي وتدافع عن سياساته ، ومن ذلك ماورد في مجلة « المسلمون في الشرق السوفيتي » ـ الصادرة عن الإدارة الدينية بطشقند ـ تحت عنوان : «حقيقة الواقعية السوفيتية » بقلم : نائب رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان حيث أورد قول الله تعالى : ﴿ **ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك المفلحون** ﴾[٢] .

ثم علق على الآية الكريمة بقوله : « إننا ، مسلمي الاتحاد السوفيتي

---

(١) شمس الدين خان (ضياء الدين خان وتراثه الفكري) ٣٥ .

(٢) من سورة آل عمران ، الآية ١٠٤ .

نشعر بالاعتزاز لكون ما أشار إليه ـ جل جلاله ـ في هذه العبارات المقدسة ـ على حد قوله ـ إنما تتجسد عملياً في حياة بلادنا ، ولكون دولتنا بالذات وبمعية الشعوب المحبة للسلم هي المبادرة دوماً إلى مناقشة المسائل المتعلقة باستتباب السلم العالمي . . »[1] .

* قادة البلاشفة يواصلون الحرب على الإسلام :

واصل خورتشوف[2] حملاته على المسلمين بعد عام ١٩٥٣م تحت شعاره « العودة لتعاليم لينين » فانخفض عدد المساجد وعدد الأئمة وضيق على المسلمين في عيشهم وتوظيفهم واحتلال المناصب القيادية ، كما أطلق العنان للصحافة والإذاعة والتلفاز والسينما والمسرح في بث الدعايات المعادية للإسلام[3] .

والأمر الذي أصبح شائعًا في الإمبراطورية الروسية أنه كلما جاء زعيم جديد للشيوعية انتقد سلفه ليبرُز ؛ فيدعى أن سابقه ، حاد عن المنهج

---

(١) مجلة « المسلمون في الشرق السوفيتي » ، العدد : ٣ ، السنة ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) ، يوسف خان شاكر ـ نائب رئيس الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان ، ٩ .

(٢) خورتشوف : ويُدعى خروتشيف ، رجل دولة سوفياتي ، أمين عام الحزب الشيوعي عام ١٩٥٣م ورئيس الوزارة عام ١٩٥٨ ـ ١٩٦٤ . نهج مسلكًا معاكسًا لنهج ستالين ، وعمل على تبني سياسة الانفتاح والتعايش مع الغرب (المنجد في اللغة والأعلام ، ص ٢٣٠) .

(٣) د . محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ، ٧٥ .

الشيوعي في تساهله الذي أدى أو كاد يؤدي إلى ظهور بورجوازية [١] جديدة، وقوميات وطنية ، فيكيل الضربات التي يكون للمسلمين النصيب الأوفى فيها ، لذا فاضطهاد المسلمين مستمر ومتزايد مع الزمن ووضع المسلمين في تدهور دائم [٢] .

لقد سعى قادة البلاشفة المتعاقبين ابتداءً من لينين ثم ستالين ومروراً بخورتشوف وانتهاء ببرجنيف لطمس هوية المسلمين والقضاء على دينهم بوسائل شتى ، يأتي في مقدمتها التصفيات الجسدية والإبادة الجماعية ، حيث تناقصت أعداد المسلمين خلال تلك الحقبة بشكل يهدد وجودهم ومستقبلهم ، كما سلكوا عدة طرق واستخدموا عدة وسائل من أجل طمس الهوية الإسلامية [٣]، وهذا ما سنستعرضه في المبحث القادم ـ بعون الله ـ .

---

(١) البرجوازية : طبقة نشأت في عصر النهضة الأوربية . . ثم صارت في القرن التاسع عشر الطبقة التي تملك وسائل الإنتاج في النظام الرأسمالي ، وقابلت بهذا طبقة العمال . (انظر : المعجم الوسيط ١/ ٤٧) .

(٢) عبدالحميد الداغستاني (المبين في بعض أحوال الإسلام والمسلمين في الاتحاد السوفيتي) ٢٢ ـ بتصرف ـ .

(٣) انظر : محمود شاكر (التاريخ الإسلامي) ، ٢١/ ١٦٠ .

الفصل الأول

المبحث الثاني

وسائل الشيوعيين لطمس الهوية الإسلامية

* وفيه عشرة وسائل ، كما يلي :

الوسيلة الأولى : الطعن في الإسلام عقيدة وشريعة .

الوسيلة الثانية : قتل العلماء والدعاة وإرهاب الشعب المسلم .

الوسيلة الثالثة : تدمير المساجد ، ومصادرة الأوقاف .

الوسيلة الرابعة : محاربة الشعائر الإسلامية .

الوسيلة الخامسة : إغلاق المدارس الإسلامية ، وإلغاء المحاكم الشرعية .

الوسيلة السادسة : التهجير القسري للمسلمين، ودمج الروس السلافيين بالشعب المسلم .

الوسيلة السابعة : فصل الدين عن الدولة .

الوسيلة الثامنة : توجيه التعليم ووسائل الإعلام إلى الإلحاد .

الوسيلة التاسعة : استهداف الأسرة ، والمرأة المسلمة .

الوسيلة العاشرة : اتخاذ قيادات دينية موالية للحزب الشيوعي .

المبحث الثاني

وسائل الشيوعيين لطمس الهوية الإسلامية

فور سيطرة البلاشفة على بلاد المسلمين في وسط آسيا ، باشر قادة الشيوعية بشتى الوسائل والطرق العمل على طمس الهوية الإسلامية من قلوب المسلمين ، وإطفاء شعلة الإيمان في نفوسهم ، ابتداء بقتل العلماء ، والطعن في الإسلام وعقيدته السمحاء ، ثم التهجير القسري للمسلمين وتوطين الروس ، ومروراً بمحاربة الشعائر الإسلامية ، وإغلاق المحاكم الشرعية ، وتدمير المساجد ومصادرة الأوقاف ، وتوجيه التعليم والإعلام إلى الإلحاد وغيرها ، وأخيراً وليس آخراً استهداف الأسرة والمرأة المسلمة وكذلك اتخاذ قيادات دينية موالية للحزب الشيوعي الماركسي . وسنتناول في هذا المبحث كل وسيلة من تلك الوسائل بشيء من التفصيل والتوضيح والتوثيق ، وذلك كما يلي :

الوسيلة الأولى : الطعن في الإسلام عقيدة وشريعة :

يقوم الفكر الشيوعي على إبعاد الناسِ عن الدين ، فالدين في نظرِ كارل ماركس [١] « أفيونُ » [٢] وهو يرى أن من الأهمية بمكان إبعاد الناس عن هذا الأفيون ، حيث لابد من تغييب الدين ، ثم حدوث فراغ وضياع عند الإنسان ، يتلوهما حلول الشيوعية في فترة الضياع .

إن « كارل ماركس » يرى أن الدين من صنعِ العقل البشري الذي أراد به أن يبني لنفسه عالمًا خاصًا بين غياهب السحب ، ومجالات غير المحسوس ، ثم يشعر العقلُ البشريُ بارتباطه بما خلق ، وعبوديته لما أنتج من دين .

إن الدين عند ماركس ـ كما يراه ـ يتعارضُ مع حكمِ العقل والتفكير الواعي ؛ لأنه خرافات وألغاز يعبد الفردُ خلالها خيالات وهميةً ـ تعالى الله عن ذلك ـ ، كما أن الدين ـ في الفكر الماركسي ـ يحرم الفرد من كرامته وعزة نفسه ، ويحوّله إلى عبد لايصلح للنشاط الثوري ، وما التعاليم الدينية إلا حضٌ على الجبن والانطواء والخضوع . وينفي الفكر الماركسي صفة الألوهية والاعتقاد بالغيب ، كالجنة والنار ويرى أن ذلك أساطير ، كما يتخذ الماركسيون من شخصية الرسول ﷺ وسيرته وتاريخ صحابته محوراً

---

(١) كارل ماركس : عاش مابين عام (١٨١٨ إلى ١٨٨٣م) ، هو فيلسوف ألماني من أصل يهودي، وضع الفكر الشيوعي بالتعاون مع انغلس . (المنجد في الأعلام واللغة، ص ٥١١) .

(٢) أفيون : جاء في المعجم الوسيط : الأفيون : عُصارة الخشخاش ، تُستعمل للتنويم والتخدير . (المعجم الوسيط : ١/ ٢٢) .

لحملات الافتراء والتشكيك ، ويفسرون التاريخ الإسلامي عامة وتاريخ المسلمين في روسيا خاصةً تفسيراً ماديًا ينافي الحقيقة ، فيتهمون الإسلام بالطبقية [١] ، وظلم المرأة ، بحيث يغدو الإسلام وتاريخُه شيئاً مؤسفًا ، والذي لم يتخلّص إلا بثورة أكتوبر [٢] .

لقد عملت كل القيادات السوفيتية على تشويه الإسلام والافتراء عليه ، وجندوا كل مالديهم من طاقات وإمكانات للحط من شأنه ، وهاهو خطيبهم « جعفرُ عباستووج باقروفُ » يخطب في كوبا في شهر رمضان من عام ١٣٦٩هـ (١٧ يوليو ١٩٥٠م) ، بدعوة من الحزب الشيوعي فيقول : « إن الإسلام يسلك مع غير معتنقيه سلوكاً ظالماً ؛ لأنه يقتل مخالفيه ، ويسمي الحرب مع غير المسلمين جهادًا في سبيل الله ، ويدّعون أن معنى الإسلام هو الطاعة ، وأن المسلم : هو المطيع ، وهم يقبلون أن يطيع الضعفاءُ الأقوياءَ ، وبذلك يكون الإسلام وسيلة للأغنياء يخضعون بها الفقراء ويأخذون عرقهم وجهدهم » [٣] .

إن الموقف الرسمي للدولة السوفيتية البلشفية من الإسلام يتضح من خلال « الموسوعة السوفيتية الكبرى » ، المطبوعة عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م) ، حيث تقول تحت لفظ « الإسلام » :

---

(١) الطبقية : نسبة إلى الطبقة ، والطبقة : هي المرتبة والدرجة (المعجم الوسيط ٢/ ٥٥١). والقصد أنهم يتهمون المجتمع الإسلامي بأنه متعدد المراتب والدرجات ، وكل مرتبة تستغل الأخرى ، كما في أوربا في القرون الوسطى .

(٢) د. محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ١٤٢ - ١٤٣ . - باختصار - .

(٣) المرجع السابق ، ١٤٤ .

« لقد مارس الإسلام - كما مارس غيره من الأديان - سلوكاً رجعياً ، على اعتبار أنه سلاح في أيدي الطبقة المستغلة ، وأداة للاضطهاد الروحي للعمال الذين يستعملهم المستعمرون الأجانب لإخضاع شعوب الشرق »[١] .

وإذا كانت جميع الأديان في الاتحاد السوفيتي السابق هدفًا لحملات الطعن والتشويه التي تمارسها السلطات ، فإن نصيب الدين الإسلامي منها كان الأوفر ، والسبب - في رأي الباحث - يعود إلى كون الإسلام نظامًا شاملاً يعطي تفسيرًا للكون والحياة ينسجم مع الفطرة البشرية ، مما يشكل خطرًا مباشرًا على الفكر الماركسي بنظرته المادية وفلسفته الإلحادية .

لقد كان القرآن الكريم ، والنبي ﷺ محور حملاتهم وطعناتهم ، فهذا أحد كتابهم ويُدعى « ملا عباس عبدالله » يكتب في إحدى صحف طشقند [٢] مقالاً بعنوان : « ولماذا تركت الإسلام ؟ » يقول فيه : « كان النبي ﷺ حاكمًا غدارًا - معاذ الله - سعى لسعادة نفسه ، وتسخير العبيد لخدمة الأشراف ، وأدخل في دعوته بعض تعاليم المسيحية . وفي قرآنه شهادةٌ بالتفاوت بين العبد والسيد ، وعدم مساواة بينهما ، وبذلك يكون ظالماً متعديًا »[٣] .

---

(١) تعريب د . إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) ١٢٢ ، نقلاً عن الموسوعة السوفيتية الكبرى، ط : ١٩٥٣م ، ٢٨ / ٥١٦ .

(٢) وهي صحيفة : برافدا فوستوكا ، الصادرة في طشقند بتاريخ ٣١ يوليو عام ١٩٥٩م (عن المصدر السابق ، ص ١٤٥) .

(٣) د . محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ١٤٥ .

ويقول أيضًا في المقال نفسه مستهدفًا عقيدة التوحيد : « لا وجود لله ، إنما يوجد هذا الإله عند المسلمين الذين يخدعون البسطاء ليحصلوا على أموالهم » .

وكثيرًا ما يردد كُتّاب الإلحاد هذه المقولة : إن جاجارين [١] عندما صعد إلى الفضاء الخارجي وطاف حول الأرض لم ير هذا الإله الذي يتحدثون عنه [٢] .

ويتصل بهذا الموضوع ماكتبه « أي زاهدوف » عضو لجنة العلوم العصرية ، والمنشور في جريدة « كيزيل أوزبكستان » ، الصادرة بطشقند في شهر صفر ١٣٦٠هـ (٢٩/ ٣/ ١٩٤١م) ، فيقول مستهزئًا بعقيدة الثواب والعقاب : « يخدع الإسلام أتباعه بأن المطيعين ينجون ، والعاصين يُعذبون ، ويضع الصعوبات أمام كل إصلاح ، ويعطل بل ويمنع أهل تركستان من الارتقاء » [٣] .

ولنا مع ماكتبه عضو لجنة العلوم العصرية وقفةٌ ، حيث لايخلو مقالهُ من مجافاة الحقائق التاريخية ، فتلك الحقائق تؤكد ـ بمالا يدعُ مجالاً للشك ـ أن الارتقاء في مدارج العلم والحضارة لم يعرفه الناس ـ في أواسط آسيا ـ إلا في ظل الإسلام خلال القرون الوسطى ، وما أعلام تلك الحقبة التاريخية

---

(١) جاجارين : هو أحد رواد الفضاء الروس .

(٢) د . محمد عبد القادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ١٥١ .

(٣) المصدر السابق : ١٤٤ .

كالإمام البخاري - صاحب الصحيح - [١] ، والإمام الترمذي - صاحب السنن - [٢] والإمام الشاشي القفال [٣] ، والإمام المرغيناني - صاحب كتاب الهداية - [٤] إلا شواهد على تلك الحضارة الزاهرة .

إن الدارس لدعاوى الشيوعيين المناهضة للدين الإسلامي يمكنه تصنيف تلك الدعاوى والطعون كما يلي :

أولاً : طعون تستهدف أصل الاعتقاد وهو وجود الله تبارك وتعالى ، والاعتقاد بالغيب ، كالجنة والنار والبعث والنشور ، والإيمان بالملائكة والكتاب العزيز ، وكذلك طعون تستهدف النبي الكريم ﷺ .

ثانياً : طعون تستهدف الشعائر الإسلامية ، كالصلاة والزكاة والحج وسُنّة الختان وغيرها . . ، فالصلوات الخمس - في نظرهم - مضرةٌ بالمجتمع وتعطّل إنتاج الجماهير الكادحة ، والصوم يضر بالصحة ، والزكاة يستغلها

---

(١) الإمام البخاري : هو محمد بن إسماعيل ، أبو عبدالله ، البخاري ، نسبة إلى بخارى ، من أعظم مدن بلاد ماوراء النهر ، صاحب الجامع الصحيح المعروف بصحيح البخاري ، توفي في خرتنك من قرى سمرقند عام ٢٥٦هـ . (انظر : وفيات الأعيان لابن خلكان ٤/ ١٨٨ - ١٩١ ، والأعلام للزركلي ٦/ ٣٤) .

(٢) الإمام الترمذي : هو محمد بن عيسى بن سورة بن موسى السلمي البوعي ، الترمذي ، نسبة إلى بلدة ترمذ (على نهر جيحون) ، تتلمذ للبخاري ، وهو صاحب الجامع الكبير أو سنن الترمذي ، مات بترمذ عام ٢٧٩هـ (انظر الأعلام ٦/ ٣٢٢) .

(٣) الإمام الشاشي القفال : هو محمد بن علي بن إسماعيل الشاشي ، نسبة إلى بلدة (الشاش) وراء نهر سيحون ، أبو بكر ، من أكابر علماء عصره بالفقه والحديث واللغة والأدب ، وعنه اشتهر المذهب الشافعي في بلده ، توفي سنة ٣٦٥هـ (الأعلام ٦/ ٢٧٤) .

(٤) الإمام المرغيناني : هو محمود بن أحمد بن عبدالعزيز ، البخاري ، المرغيناني ، برهان الدين ، من أكابر فقهاء الحنفية ، عدّه ابن كمال باشا من المجتهدين في المسائل ، توفي ببخارى سنة ٦١٦هـ ، ومن كتبه (ذخيرة الفتاوى) و (المحيط البرهاني) وغيرهما (انظر الأعلام ٧/ ١٦١) .

البراجوزيون ضد الطبقة الكادحة ، وهكذا . .

ثالثاً : طعون تستهدف الطابع الاجتماعي للإسلام ، فتصفه بالرجعية ، واحتقار المرأة ، وأنه يُخضِع الشبابَ لسطلة ذوي اللحى البيضاء ، والمفرطة في طغيانها . . [1] إلخ .

رابعاً : طعون توجه إلى التاريخ الإسلامي عامة ، فيدعون أن الفاتحين العرب فرضوا الإسلام على أجداد المسلمين السوفييت في آسيا الوسطى بالقوة ، وتابعهم سلاطين الدولة العثمانية في القوقاز ، وقد ظلت هذه الطعون شديدة الرواج حتى نهاية الستينات من هذا القرن ، إلا أنها تكاد تختفي كلياً من التداول في الوقت الحاضر [2] بحمد الله .

(١) انظر : د. محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضر والحاضر) ١٤٨ .

(٢) المرجع السابق ، ١٤٨ ـ بتصرف ـ .

الوسيلة الثانية : قتل العلماء والدعاة وإرهاب الشعب المسلم :

إن قتل العلماء والدعاة كانت السياسة المتبعةفي عهد ستالين من أجل إرهاب الشعب المسلم ، وطمس هويته وقد سمع الباحث مارواه له أحد المهاجرين الأوزبك ، الذي يسكن المدينة المنورة حالياً ـ وهو الشيخ عبدالسلام [1] بن الشيخ شير محمد الخوقندي نقلاً عن والده الذي روى له قصة خروجه من بلده « خوقند » فاراً بدينه بعد أن استحر القتل بالمسلمين ؛ يقول والده : « أردت أن أكتب ما مضى من صعوبات السفر في الهجرة بعد أن زاد ظلم الشيوعيين واستبدادهم ، فقد نُهبت أموالُنا ، وأغلقت مساجدنا ، وسجن الذين أدّوا منا واجباتهم الدينية ، ومُنعت الصلاةُ منعًا باتًا ، وكان الجواسيس يبحثون عمن يصلي ، ومُنع الحجاب عن النساء . . وهكذا كانت تزداد المنكرات يومًا بعد يوم .

لقد كان (البوليس) يطرق باب الرجل المطلوب للإعدام بعد منتصف الليل ويأخذه إلى الزنزانة ، ومن الزنزانة إلى الخندق المملوء بالماء حيث يُرمى ، ثم رأيت أن الهجرة قد وجبت مهما يبلغ ثمنها ويشتد تعبها ، وصرتُ أفكّر . . « طريق الهجرة » : إلى أين ؟ ومتى ؟ وكيف ؟ .

قمتُ أوزّع أثاث بيتي وأبيعه بثمن بخس حتى أستعد للهجرة ، ومرّت عدةُ شهور على ذلك ، ثم انتقلتُ إلى دار أحدٍ أصدقائي خوفًا من طلبي إلى السجن ثم القتل .

(١) التقيت به في موسم الحج من عام ١٤١٥هـ ، وقد توفي والده عام (١٣٩٣هـ) .

في اليوم الثالث من شهر ذي الحجة من عام ١٣٤٩هـ ـ كان الليل قد اقترب من منتصفه ـ جهّزت لوازم سفري ترافقني زوجتي ـ رحمها الله ـ وأولادي : عبدالسلام وعبدالحق ، وابنتي الصغيرة : حنيفة ، التي لايزيد عمرها عن ثلاثين يومًا .

ويستطرد قائلاً : « خرجنا من الدار وتركنا الديار، طلبنا العربة وركبنا، إلى أين ؟ إلى « استاسيون » محطة السكة الحديدية ، وكانت أنوار البلد مضاءةً لكنها ضعيفة لأن الناس كلّهم نائمون . . صرت أودّع وداعًا أخيرًا ، أودع بلدي . . . مدينتي التي ولدت فيها ، وارتويت من مائها ، ونشأت تحت ظل سمائها ، وتربيت على أيدي علمائها . . وهكذا أودعُ أسرتي وأقربائي . . مدرستي وزملائي . . تنهمرُ دموعي وتقطر من نهاية لحيتي ، كأن بلدي تناديني وتقول : إلى أين ؟ يا بني إلى أين ؟ وأجيب : إلى أرض الله الواسعة ؛ هكذا كان وداعنا في قلوبنا ولم نكن قادرين أن نتكلم بألسنتنا » . ثم يضيف الشيخ قائلاً : « وصلنا « استاسيون » وتحرك بنا القطار ؛ كان ركاب القطار ينظرون أمامهم ، لكني كنت أنظر تارةً إلى الأمام وتارةً إلى الخلف لأرى حيطان بلدي وجدار قلعته ، وأشجاره الخضراء وعلى رؤوس أغصانها أزهارها البيضاء بعضها قد تفتحت وبعضها لم تتفتح بعد . . هكذا كنت أفارقها رويدًا رويدًا .

كنا نمر محطات السكة الحديدية واحدة تلو الأخرى حتى وصلنا مدينة « خُجند » في المحطة الخامسة ، فنظرت إليها نظرة عميقة نظرة المودع؛ واصلنا الطريق ليلاً ونهارًا . . وصلنا « سمرقند » ثم «بخارى » المدينة العظيمة ، وتمنيت أن أزور المدرسة التي كنت أدرس فيها

أيام شبابي ، لكن الأمور قد تغيرت والأيام قد أدبرت . . فصرت أودع مدارس بخارى وأنا داخل القطار ؛ وصلنا المحطة العاشرة بعد محطة مدينة «قرشي» فقيل : هاهنا محطة «كركي» ؛ ومدينة « كركي » جميلة تقع على ساحل نهر « جيحون » وكانت مركزًا تجاريًا .

نزلنا مدينة « كركي » وأتينا دار رجل من أهلها بتوصية أحد أصدقائي ؛ استقبلَنا الرجلُ وأكرم وفادتنا ، وهكذا كان أهل بلادنا يكرمون أهل العلم . كان الرجل في خدمتنا لبضعة أيام حتى جهز لنا كل مانحتاجه في السفر ، ثم اشترى لنا تذاكر الباخرة التي ستتجه بنا ـ عبر نهر جيحون ـ إلى بلدة : « سراي كمر » ركبنا الباخرة وودّعنا الرجلَ وسرنا أحد عشر يومًا حتى رستْ بنا في ميناء «سراي كمر» ، ـ وهي مدينة جميلة وصغيرة يوجد فيها مسجدٌ جامع لصلاة الجمعة ـ نزلنا المدينة واستأجرنا دارًا نسكن فيها إلى وقت مناسب للسفر ، وقال لي بعض الأصدقاء : ينبغي أن تتخذ لك صنعة تعمل بها كي لايراقبك الجواسيسُ الروسُ ، فقلت لهم : كنت إمامًا ومدرّسًا للعلوم الدينية والقواعد العربية ، فقالوا : هذا الذي تفتش عنه الحكومة الشيوعية ؛ ينبغي أن تبحث عن حرفة عادية ؛ يقول : فاحْتَرتُ وغلبني الهمُ ثم تذكّرت أيام صغري عندما كنت أنظر إلى جدي وعمي ـ رحمهما الله ـ وهما يصنعان أفران الخبز ، فعزمت أن أجرب ذلك ، ـ وقد كان في خدمتي أحدُ تلاميذي ويُدعى « عبدالرزاق » ـ فأمرته أن يفتش على الطين الأصفر ويأتي به ، فجربت وصنعت فرنًا صغيرًا نجحت في صنعه ثم صنعت أكبر منه وبعته ، وهكذا صرت أصنع الأفران وأبيعها حتى لايشك بأمرى جواسسس الجيشِ الأحمرِ .

وفي ذات يوم من أيام الجمعة أصبحتُ كالمعتاد وذهبت إلى الجامع مبكرًا ، فأذن المؤذن قبل الزوال بنصف ساعة ، وعندما انتهى ناديته وقلت له : إنك أذّنت للصلاة قبل دخول الوقت وهذا لايجوز[1] ، وأمرته أن يؤذّن مرة أخرى عندما يدخل الوقتُ ، ففعل . . وبعد خروجنا من المسجد إذا بأحد المصلين يناديني ، ولما اقتربتُ منه قال لي بصوت منخفض : أنت ماذا فعلت يا شيخ ؟ لقد أظهرت نفسك . . أنت عالمٌ تنصحُ وتوجه ، وهنا في المسجد أكثر من عشرين جاسوسًا ، عليك أن تهرُبَ الآن . يقول الشيخ : لقد احْترتُ في تلك اللحظات . . فإلى أين أهربُ ؟ وكيف أهرب مستعجلاً وأنا غريبٌ أجهلُ الطريق ولا أعرف الضواحي والقرى ؟ فأسرعتُ إلى المنزل وأخذتُ حصاني ـ الذي اشتريته لمواصلة السفر ـ وخرجت لا أدري إلى أين !! فلحقت راكبين يمشيان وسألتهما : من أي قرية أنتما ؟ قالا : من قرية «قزغزقشلاق » فقلت : هل يوجد عندكم دار خالية تصلح للسكنى ؟ قالا : نعم ، دار فلان قد سافر وتركها ! فاستأذنتهما في أن أسكنها ، فقالا : لامانع من ذلكَ : فرأيت الدار ، واستأذنتُ ممن يجاورها وهو رجل أحول يُدعى « ولي باي » ثم رجعت إلى البلد وأخذت العائلة وبعض العفش ، وكذلك العائلة التي رافقتنا في الطريق إلى تلك الدار ، ونشأت بيني وبين جاري محبةٌ خالصةٌ ، فقد كان نعم الجار .

---

(١) هذا الأمر فيه خلاف . يقول ابن قدامة في المغني : « المستحب إقامة الجمعة بعد الزوال ؛ لأن النبي ﷺ كان يفعل ذلك . . . ولأن في ذلك خروجاً من الخلاف ، فإن علماء الأمة اتفقوا على أن ما عبد الزوال وقت للجمعة ، وإنما الخلاف فيما قبله» . (انظر : عبد الله بن أحمد بن قدامه المقدسي : المغني ٣/ ١٥٩ ، ١٦٠ ، ق : د. عبد الله بن عبد المحسن التركي ، و د. عبدالفتاح محمد الحلو ، دار هجر ، ط : الثانية ١٤١٢هـ ـ ١٩٩٢م ، القاهرة .) .

كان في القرية مسجد قد انهدم بفعل الأمطار والسيول ، ولم يرمم ، فاقترحتُ على جاري أن نصلحه فلم يتردد ، وساعدنا بعض أهل القرية في ذلك . . ، ولا زلتُ أذكر يوم أن أذَّنت أول مرة في ذلك المسجد الصغير ، وكان الوقتُ وقتَ صلاة العصر ، فقد أذنت بصوت عال ، وجلست بعد الأذان أنتظر من يأتي ، وبينما أنا كذلك إذ برجلٍ من أهل القَرية طويل القامة أبيض اللّحية ـ ربما يناهز عمرهُ العقدَ السابع ـ إذا به يأتي مهرولاً والدموع تسيل من لحيته البيضاء ، فيخاطبني قائلاً : « الله يجزيك خير الجزاء يا ملا بابا . . منذ عامين لم أكن أسمع صوت الأذان ، لقد كدت أطير فرحًا عندما سمعت صوت التكبير ، وأتيت مسرعًا لأقبّل المؤذن» ـ كما يقول ـ « وصلينا العصر جماعة وصرنا نؤدي الصلوات الخمس جماعة في ذلك المسجد» .

ثم يواصل الشيخ الحديث فيقول : « كنت في إحدى الليالي في مأدبة عشاء دعاني إليها جاري « ولي باي » ، سألني جاري في تلك الليلة قائلاً : ماالذي حملكم أن تتركوا بلدكم وتأتوا إلى هنا ؟! فأجبته قائلاً : إنه سفر الهجرة ! فقال : وفقكم الله . . وفقكم الله ، وعَلم وجهتي في السفر فقال : عندي صديقٌ حميم يعرف مسالك الطريقَ هذا ، سأزوره الليلة وسآتيك بأنباءٍ سارةٍ إن شاء الله !! .

وفي اليوم التالي أخبرني أن المرشدَ « نشان باي » قال له : عليكم بالصبر لأن النهر الذي سنقطعه خلال السفر هائج هذه الأيام ، وينبغي أن ننتظر عشرين يومًا تقريبًا .

كان اليوم الثاني والعشرين من شهر ذي الحجة عام ١٣٤٩هـ حيث كنا

جلوسًا بعد صلاة العشاء ، إذ أتانا المرشدُ « نشان باي » وقال : إن الوقت المناسب للسفرهو بعد غد ليلاً ، فعليكم بالاستعداد ، وقد كانت وجهتُنا «أفغانستانَ» حيث الحرية . عزم جاري أن يسافر معنا ليكون في خدمتنا ، وعندما أدبر نهارُ ذلك اليوم وأقبل الليل بظلامه الدامس كان لكل واحد منا مايكفيه من المتاع ومن الهم والحسرة ، وقد حمل كل منا عفشه وركب مركبه ، فركبتُ أنا وزوجتي وابنتي على فرسنا وركب الأولاد على الحمار ، وربطناهما على ظهر الحمار بالعمامة كي لايسقطا في الطريق الوعِر .

كان معنا رجلٌ يُدعى « عبدالرحمن مخدوم » قد رافقنا في الأيام الأخيرة ، فأوصيناه أن يسوق الحمار وينتبه لأولادنا الصغار ، فمشينا متوكّلين على الله تحت جنح الظلام الدامس بكل هدوء ، فلا يتكلم أحدٌ منا إلا همسًا خوفًا من دوريات الجيش الأحمر .

سرنا قرابةَ ثلاث ساعات ونصف ، حتى وصلنا إلى ضفة الرافد الأول من نهر جيحونَ ، حيث كانَ للنهر ثلاثةُ روافد هناك ، وأخذنا قسطًا من الراحة قبل أن نعبُرَ النهر وكان عبورنا للنهر عن طريق قرَب خاصة قد أحْضرها المرشدُ لهذه المهمة ، وهي من جلود الثيران عبارةٌ عن أربع وعشرين قربة ، قمنا بنفخها ثم ربطها بأربعة عواميد طويلة ، فأصبحتْ كالزورق ، فأنزلتْ على طرف النهر ووُضع عليها العفشُ بشكلٍ متوازن ، ثم أمرنا بالصعود على الزورق ، فصعدنا ، ثم وُضع الحصانُ أمام الزورق ورُبط به والبهائمُ خلف الزورق ، وهكذا صار الحصانَ يعوم في الماء فيسحب الزورق

وخلفنا البهائم تعوم أيضًا ، والرجال يتناوبون ، فبعضهم يعوم والبعض الآخر فوق الزورق ، حتى وصلنا بعد خمسٍ وأربعين دقيقةً إلى الضّفة الأخرى من النهر بسلام ـ والحمد لله ـ ، وبنفس العملية اجتزْنا الرافدَ الثاني من النهر ، وعندها بشَّرَنا المرشدُ أننا قد تجاوزنا حدود الدولة الشيوعية ودخلنا في حدود دولة أفغانستان المسلمة » .

وهكذا كان يُعامَلُ الشعبُ المسلمُ الواقعُ تحت قبضة البلاشفة الحمرِ ، وبهذا الأسلوب الموغل في الفظاعة والبشاعة كان يعامل العلماء من أبناءِ الإسلام على حين غفلة من إخوانهم في العالم الإسلامي ، الغارق حينها في أوحال الجهل والتفكك والضعف .

عندما التقى الباحث بالشيخ « معمور بن منصور » في مدينة سمرقند ، وسأله : كيف استطاع الشيوعيون أن يجعلوا من هؤلاء الشباب أناسًا لا اعتقاد لهم؟ كيف استطاعوا أن يصرفوا الشباب عن الدين الإسلامي ؟ قال الشيخ : لقد حدث هذا بعد أن أعدم العلماءُ والشيوخُ ، مابين الثلاثينات والأربعينات من هذا القرن ، ولم يسلم من ذلك إلا العامةُ الذين لاعلم لهم بالشريعة ، ولقد أعدم الكثير والكثير من أولئك العلماء ، ومنهم ثلاثةٌ من أعمـــام أبي أعدموا جميعًا ؛ لأن عندهم علمًا بالشريعة الإسلامية[1] .

لقد قام البلاشفة الروس بحملات إبادة في أوزبكستان ، وممن قتلوا من علمائها : الشيخ برهان البخاري قاضي القضاة في بخارى ، والشيخ خان

(١) كان ذلك في شهر ربيع الثاني ١٤١٥هـ (أكتوبر ١٩٩٤م) .

مروان خان مفتي بخارى ، والشيخ عبدالمطلب داملا ، والشيخ عبدالأحد دادخان ، والشيخ الحاج ملا يعقوب ، والشيخ ملا عبدالكريم ، وغيرهم كثير . . [1] .

(١) انظر : د. محمد علي البار (المسلمون في الاتحاد السوفيتي عبر التاريخ) ١/ ٣٣٨ .

الوسيلة الثالثة : تدمير المساجد ، ومصادرة الأوقاف :

ليس من نافلة القول أن أذكر ما للمسجد من الأهمية في ديننا الحنيف ، فهو مدرسةٌ إيمانية ، وجامعة تربوية ، وهو ملتقى المسلمين ، ومحضن الدعاة العاملين ؛ لذلك شرع رسول الله ﷺ في بناء المسجد فور وصوله إلى المدينة المنورة .

لقد كان المسلمون في التركستان والقوقاز وبلاد نهر الفولغا سنة ١٣٣١هـ (١٩١٣م) يفتخرون بمساجدهم التي بلغت حينها ٢٦,٢٧٩ مسجداً ، بالإضافة إلى ما كان من مساجد كثيرة جداً في إمارتي بخارى وخيوة ، ولم يبق من تلك المساجد عام ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) ـ كما ورد في الصحيفة الرسمية السوفيتية [١] ـ سوى ١,٣١٢ مسجداً ، مفتحةَ الأبواب للمصلين في عموم جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق ـ هذا إن صدق ذلك دون مبالغة ـ .

وفي سنة ١٣٨١هـ (١٩٦٤م) صدرت نشرةٌ في طشقند باللغة الفرنسية [٢] تقول : إنه يوجد في كل آسيا الوسطى وقازقستان ٢٥٠ مسجداً كبيراً فقط .

لقد كان مصيرُ ذلك العدد الكبير من المساجد الهدم ، وحُول البعض منها إلى مرافقَ عامةٍ ، كمستشفيات ومصانع للنسيج أو مخازن للقطن ،

---

(١) تعريب د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفياتي) ٢٧٢ ، نقلاً عن الصحيفةالرسمية (Soviet Warnews) رقم ٥ الصادرة في ٦ أيار ١٩٤٢م .

(٢) المصدر السابق ص ٢٧٢ ـ بتصرف ـ .

لكن البعض الآخر قد حُول إلى حظائر لتربية الماشية ، أو ملاه ليليّة تُدار فيها الخمور والمحرماتُ ، إمعانًا في إذلال المسلمين [١] ؛ يقول الشيخ يحيى بن عثمان حاجي [٢] : في محلتهم الواقعة شرق طشقند ـ على سبيل المثال ـ صادرت الحكومة الشيوعية مسجدًا جامعاً قبل خمسين عامًا ، وحوّلته إلى مستشفىً ، قد أعيد إلى مسجد ـ بفضل الله ـ ويسمى (مسجد كاخماتاه) .

لقد كانت الأوقاف العامة التي يوقفها المسلمون مصدرَ قوة اقتصادية للعلماء والدعاة ، ذلك أن هذه الأوقاف من أهم مصادر التمويل للمؤسسات الإسلامية ، ومن خلالها يمكنها أن تستقل بذاتها فلا تخضع لضغوط جهة مموِّلة ؛ وقد فطن الأعداء لذلك فقاموا بمصادرتها عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) [٣] .

(١) ذَكر للباحث ذلك الكثيرُ ممن التقى بهم ، ومنهم على سبيل المثال : الشيخ محمد صادق ، المفتي السابق لأوزبكستان ؛ ورأى الباحث بعض المساجد القديمة وهي لاتزال مخازن أو ماشابهه .

(٢) الشيخ يحيى بن عثمان حاجي ، إمام وخطيب جامع الإمام الترمذي في طشقند ، وقد التقى به الباحث في منزله في شهر بيع الأول عام ١٤١٥هـ (سبتمبر ١٩٩٤م) .

(٣) عبدالحميد داغستاني (المبين في أحوال الإسلام والمسلمين . .) ٢١ ، ـ بتصرف ـ .

الوسيلة الرابعة : محاربةُ الشعائرِ الإسلامية :

والمراد بالشعائر الإسلامية هنا : الصلاة ، والزكاة ، والحج ، وبعض الشعائر الأخرى .

لم يُمنع أداءُ الصلوات الخمس في التشريع السوفيتي بشكل عام [١] ، لكن القانون يمنع أداءَ الشعائرِ الدينية في المكاتب الحكومية ، والمدارس ، والمصانع ، كما أن الدعاية المثيرةَ تهاجم شعيرة الصلاة بانتظام ، وتشنع بها على أنها « عادة مضحكة ، وبالية ، وضد المجتمع ، وأنها تعيق العمل والإنتاج » [٢] .

إن لهدم المساجد ـ الذي مارسته السلطات البلشفية بعد الثورة ـ أثرًا كبيرًا في محاربة شعيرة الصلاة ، فبيوت الله ـ عز وجل ـ هي ملتقى المسلمين لأداء الصلوات الخمس جماعةً ، وقد كان عدد المساجد في التركستان وحدها قبل قيام الثورة يُقدر بما يزيد عن أثنى عشر ألف مسجد ، ثم انخفض هذا العدد بشكل مذهل حتى وصل إلى مائتي مسجد فقط في عموم الاتحاد السوفيتي السابق [٣] . إن السلطات الشيوعية تمنع بناء أي

(١) الكسندر بينيغسن ، شانتال لوميرييه (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) ٢١٧ ـ بتصرف ـ .

(٢) المرجع السابق ، ٢١٧ ـ بتصرف ـ .

(٣) أبحاث المؤتمر العالمي للندوة العالمية (الأقليات المسلمة في العالم ، ظروفها المعاصرة ، آلامها وآمالها) المنعقد في الرياض في الفترة من ١٢ ـ ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ ، الموافق ٢٢ ـ ٢٧ يناير ١٩٨٦م ، ١/ ٥٠٢ ـ بتصرف ـ . وقد يلحظ القارئ الكريم عدم التوافق في الأرقام بين المراجع فيما يتعلق بأعداد المساجد ، ويعود ذلك إلى عدم وجود إحصاءات دقيقة موثقة ،

مسجد دون الحصول على تصريح ، وللحصول عليه يجب أن يُقدِّم عشرون مسلمًا ـ على الأقل ـ طلبًا إلى السلطات البلدية لهذا الخصوص ، ولايمكن ذلك إلا بعد أن تتم الموافقةُ على الطلب من مجلس الشؤون الدينية التابع للمكتب الوزاري للاتحاد السوفيتي في موسكو ، ولذلك فإن المسلمين لايسعون إلى تسجيل أنفسهم خوفًا من العواقب الوخيمة المترتبة عليه .

إن السلطات السوفيتية قد وضعت العراقيل لمنع صلاة الجماعة بأساليب لا تخلو من الإرهاب والتخويف ، حيث إنه بمقتضى القانون الدّيني (المادة الرابعة) فإن على المسلمين السّعْيَ لتسجيل أنفسهم إذا مارغبوا في الصلاة معًا في المسجد ، ولذلك فإن كثيراً من المسلمين ـ وخصوصًا الشباب منهم ـ يؤدّون الصلوات الخمس سراً . كما حرصتْ السلطاتُ على منع الأذان جهراً بمكبرات الصوت ، واكتُفي بالأذانَ داخل المساجد ، والتي يُسمح بالصلاة فيها للأجيال الطاعنة في السن [1] .

لقد كان لقتل النخبة من العلماء وطلبة العلم والحفظة لكتاب الله الكريم دورٌ فاعلٌ في محاربة الشعائر عمومًا ، وشعيرة الصلاة بوجه خاص ، فالعلماء هم القدوات والمعلّمون ، وهم الأئمة والخَطباء والمرشدون ، وهم المعظِّمون لشعائر الله ـ تبارك وتعالى ـ .

أما فيما يتعلق بالزكاة ، فإن القانون الديني الشيوعي يلتزم الصمت إزاء مسألة أداء الزكاة ـ وهي الركن الثالث من أركان الإسلام ـ لكن الأمر محظور عمليًا ، إذ أن النظام الاشتراكي يفترض ـ من الناحية النظرية ـ عدم

كما يعود أيضاً إلى الستار الحديدي الذي فرضته سلطات موسكو على المنطقة .

(١) أبحاث المؤتمر العالمي للندوة العالمية (الأقليات المسلمة في العالم، ظروفها المعاصرة، آلامها وآمالها) المنعقد في الرياض في الفترة من ١٢ ـ ١٧ جمادى الأولى ١٤٠٦هـ ، الموافق ٢٢ ـ ٢٧ يناير ١٩٨٦م ، ١/ ٥٠١ ـ بتصرف ـ .

وجود فقراء .

وفي واقع الأمر فإن المسلمين الأوزبك يُقدّمون الزكاة المفروضة إلى المفتي لخدمة الجوامع والإدارة الدينية ، لكنها لاتقدم ألبتة إلى المعسرين من المسلمين إلا خُفية ، ونتيجة لذلك فإن الإسهام المنتظم في أداء الزكاة كان قد اختفى تقريبًا من حياة المسلمين[١] .

وفي لقاء أجراه محمد صفوت السقا[٢] ـ عندما زار مدينة سمرقند لحضور مؤتمر بعنوان : « الإمام البخاري والعصر الحديث » ـ سأل شيخًا عن أداء الزكاة ، قال : الحمد لله أنني أدفع الزكاة والصدقات ، قال محمد السقا : قلت : لمن ؟ قال الشيخ : ندفعها إلى المفتي ضياء الدين بابا خانوف[٣] ، الذي يصرف منها على أحوالنا ، وهناك موظفون يقومون بجمعها منا ، قال محمد السقا : قلت : ألا تدفع الدولةُ رواتبَ المدرّسين والأئمة والخطباء والوعاظ ؟ قال الشيخ : أبدًا هذه لم تحصل ، إننا نتكفل شؤوننا بأنفسنا ـ والحمد لله ـ ثم يضيف : إننا بخير من هذه الناحية .

ثم يقول السقا : « وفي حديث لي مع موظّف في إدارة الشئون

---

(١) المرجع السابق ، ١/ ٥٠٢ ـ بتصرف ـ .

(٢) الأستاذ محمد صفوت السقا أميني هو الأمين العام المساعد الأسبق لرابطة العالم الإسلامي التي مقرها مكة المكرمة .

(٣) المفتي ضياء الدين باباخانوف : هو ضياء الدين خان بن ايشان خان بن عبدالمجيد خان ، انتسب عام ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) إلى مدرسة كوكالداش بطشقند ، وتتلمذ على يد الشيخ شامي داملا والشيخ جمال خواجه داملا ، وعمل إمامًا وخطيبًا في العديد من مساجد طشقند ، وقد كان والده من مؤسسي الإدارة الدينية بطشقند حيث عينه الشيوعيون مفتيًا ، ثم خلفه ابنه ضياء الدين الذي قدم خدمات جليلة للبلاشفة الروس ، وتوفي عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) (انظر : المفتي شمس الدين خان المفتي ضياء الدين خان وتراثه الفكري ، ١٨ ـ ٢٩) .

الإسلامية لآسيا الوسطى ، قال : ما يدفعه المسلم من صدقة وزكاة ، يُسجّل في سجلات خاصة بحسابات وميزانية الشئون الإسلامية ، التي تعتمد اعتمادًا كليًا على هذا المورد فقط . وقال : إن إدارة الشئون الدينية تُنفق على المساجد ، وتدفع رواتب الوُعّاظ والخُباة والخَدَم والمؤذّنين والمنح الجامعية للطلاب المسلمين الذين يبعثونَ للخارج ، كما يدفع منها على إصلاح المساجد والمدارس »[1] .

وفيما يخص الحج إلى بيت الله الحرام ، والذي تهفوا إليه قلوب المسلمين هناك ، انخفض عددُ الحجاج في العهد البلشفي انخفاضًا كبيرًا ، فقبل ثورة عام ١٩١٧م كان يتراوح عدد حجاج كل عام مابين خمسين إلى ستين ألف حاج ـ من عموم الجمهوريات ـ ، وبعد الثورة انخفض هذا العدد بشكل مذهل ليصل إلى مابين تسعة إلى ثمانية عشر حاجًا فقط[2] ! !

ولم يكن السفر الانفرادي مسموحًا به ، فلم يكن يُسمح إلا بالحج الجماعي الذي تنظمه السلطات ، حيث يتم انتقاؤهم بعناية ، وغالباً مايكونون ممن يتقنون اللغة العربية ، وذوي ولاء للحزب الشيوعي ؛ لكي يكون وجودُهم في الديار المقدسة دليلاً على حياة المسلمين في الاتحاد السوفيتي[3] ، وعاملاً من عوامل الدعاية الإيجابية للسوفييت .

إن الهدف من ضرب ذلك الستار الحديدي على المسلمين ، وعدم

---

(١) أ. محمد صفوت السقا (المسلمون في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ٦٧ .

(٢) د. محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ٨٢ ـ بتصرف ـ .

(٣) تعريب د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفياتي) ٢٧٩ ـ بتصرف ـ .

السماح لهم بأداء الركن الخامس من أركان الإسلام ، يكْمُن في منع المسلمين من الاتصال بإخوانهم في العالم الإسلامي ؛ إذ أن التواصل من خلال مدرسة الحج العظيمةُ يُمكِّن المسلمين من تلمس حاجات بعضهم البعض ، والتغلب على مشكلاتهم ، فهم كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائرُ الجسد بالسهر والحمى .

ولم تتوقف محاربةُ البلاشفة للشعائر عند الفرائض فقط ، بل طالت كثيرًا من شعائر الإسلام، ومن ذلك شعيرة الختان [١]، وهي من الشعائر الإسلامية التي حث عليها رسول الله ﷺ بحديث أبي هريرة مرفوعًا : «خمسٌ من الفطرة : الختانُ ، والاستحدادُ ، ونتف الإبط ، وتقليم الأظفار، وقص الشارب » متفق عليه [٢] .

إن غالبية المسلمين ـ كما تشير بذلك المصادر [٣] ـ حتى الملحدين منهم والأعضاء في المناصب العليا في الحزب الشيوعي يمارسون شعيرة الختان ، لكن سعيرَ الدعاية المعادية للدين كان أيضًا ينصب على هذا العرف ، إذ

(١) الختان : لغة : قطع القلفة من الذكر ، والنواة من الأنثى ، كما يطلق الختان على موضع القطع . (الموسوعة الفقهية ١٩/ ٢٦ ط : بيروت ، دار صادر ودار بيروت للطباعة والنشر عام ١٣٨٨هـ ١٩٦٨م) ، (لسان العرب ١٣/ ١٣٧ مادة (ختن) باب النون فصل الخاء المعجمة) .

(٢) أخرجه البخاري (أنظر : صحيح البخاري المطبوع مع فتح الباري ١٠/ ٣٤٧ ، ٣٦١كتاب اللباس . ورواه مسلم ١/ ٢٢١ كتاب الطهارة، باب خصال الفطرة ، رقم (١٦) من حديث أبي هريرة . ق : محب الدين الخطيب ، محمد فؤاد عبدالباقي ، قصى محب الدين الخطيب، ط . دار الريان للتراث بالقاهرة ، ط١ ـ عام ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م .

(٣) الكسندر بينيغسن ، شانتال لوميرييه (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) ٢١٩ ـ بتصرف ـ .

يشَهّر به باعتباره عملاً بربريًا ومضراً بالصحة - بزعمهم - بالرغم من ثبوت كذب هذه الدعاية حيث ثبتتْ فائدتُه الصحية [١] .

ولقد أصبح الختان في أوزبكستان عرفًا قوميًا ، وكثيراً مانسمع عند الأوزبك قولهم : (من ليس مختوناً لا يمكن أن يكون مسلمًا ، ومن ليس مسلماً لايمكن أن يكون أوزبكيًا) .

ولقد أوضحت الباحثة « سوخار يفا » في دراستها : (الإسلام في أوزبكستان) أن الختان منتشر إلى حد واسع عند الأوزبك - المؤمنين وغير المؤمنين - ومن الصعب مكافحة هذه العادة لأن السكان يعتبرونها ملزمة .

وفي تحقيق أجري عام (١٩٦٨م) في ثلاث مناطق من جمهورية أوزبكستان ، دافع عن الختان (٩ , ٨١٪) من الأشخاص الذين سُئلوا حوله ، فقد اعتبروه رمز الانتماء إلى الإسلام [٢] .

---

(١) الكسندر بينيغسن ، شانتال لوميرييه (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) ٢١٩ - بتصرف - .

(٢) المرجع السابق

الوسيلة الخامسة : إغلاق المدارس الإسلامية وإلغاء المحاكم الشرعية :

أدرك الشيوعيون ما للمدارس التي تُعلّم العلومَ الشرعية في التركستان من الأهمية ، فشرعوا في هدمها أو إغلاقها ، أو تحويلها إلى مدارس شيوعية ، فبعد أن كان في بلاد التركستان وحدها (٧,٣٩٠) مدرسةً ابتدائية إسلامية ، يرتادها أكثر من (٧٠,٠٠٠) تلميذ ، و (٣٧٥) مدرسةً ثانوية ، يرتادها (٩٠,٦٠٠) طالب ، صدر مرسوم عن السلطات البلشفية في ٢٣ كانون الثاني عام ١٩١٨م بشأن حرية الضمير للمجتمعات الدينية ، تمنع المادة التاسعة منه التعليم الديني في المدارس[١] .

ولم يأت عام ١٣٤٦هـ (١٩٢٨م) إلا وقد صفيت تلك المدارسُ ، حيث لم يسمح إلا بمدرستين دينيتين في أوزبكستان ، وعموم الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي السابق ، وهما مدرستا « مير عرب » في سمرقند ، و « معهد الإمام البخاري » في طشقند الذي أنشئ عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) .

كذلك صدر مرسوم في ٣١ ديسمبر عام (١٩١٧م) خاص بالأحوال الشخصية يقضي بإحلال التوثيق المدني للزواج محل التوثيق الديني ، ثم ألغيت المحاكمُ الشرعيةُ نهائيًا لأنها تعطي المسلمين سلطةً وتقوِّي من كيانهم[٢] .

---

(١) أبحاث المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية للشباب الإسلامي ، بعنوان (الأقليات المسلمة في العالم ظروفها المعاصرة ، آلامها وآمالها) ١/ ٦٨ ـ بتصرف ـ .

(٢) المرجع السابق ـ بتصرف ـ .

الوسيلة السادسة : التهجير القسري للمسلمين ، ودمج الروس السلافيين بالشعب المسلم :

إن الزائر للمنطقة أوالباحث في شؤونها ليلحظ منذ الوهلة الأولى ذلك الخليطَ القومي المتشعب الذي يكاد يكون موجوداً في كل مناطق ماكان يسمى بالاتحاد السوفيتي ، وما ذلك إلا بسبب سياسة التهجير القسري التي كانت متبعةً خلال ذلك العهد ؛ وللحق فإن نصيب الأسد من ذلك التهجير قد أصاب مسلمي التتر والشيشان ، فلا تكاد تذهب إلى مدينة من مدن التركستان الغربية إلا وتجد فيها أقلية تترية ، ولم يكن مسلمو أوزبكستان بمنأى عن تلك السياسة التي كانت ترمي إلى تذويب الشعوب المسلمة وتفتيت وحدتها ، ومن ثم يسهل السيطرة عليها وغرس مفاهيم الشيوعية والإلحاد في أهلها .

لقد مارست الحكومات الشيوعية المتعاقبة هذا الأسلوب بشكل فردي وبشكل جماعي ، ويروي الشيخ عبدالحكيم مرغلاني ـ الذي زاره الباحث في مدينة « مرغلان » بوادي فرغانة الواقع شرق أوزبكستان [1] ـ أن شيخه نور محمد قاري قد نُفي إلى أوكرانيا عام ١٣٥٠هـ (١٩٣١م) لمدة سنتين بسبب شكّهم في أنه يُعلّم الأولادَ الإسلامَ .

أما توطين الروس السلافيين في أوزبكستان فقد كانت سياسة بلشفية

---

(١) زاره الباحث في شهر ربيع الثاني عام ١٤١٥هـ (أكتوبر ١٩٩٤م) ، وكان عمر الشيخ قد تجاوز الثمانين .

متبعة، فما كاد الروس يستولون على البلاد الإسلامية في التركستان حتى تدفَّق على هذه البلاد سيلٌ من الفلاحين الروس المتعطشين إلى امتلاك الأراضي الشاغرة ، ـ وهي ظاهرة يتميز بها التاريخ الروسي ـ كما تدفّقت أفواجٌ من الفارين من العبودية [١] ؛ وكثيراً ما يستوطن هؤلاء العواصم والمدنَ الهامة ويستأثرون بمواقع إدارية ذات تأثير في تلك العواصم والمدن ، فالدوائر الحكومية في طشقند ، ومواقع الاتصال ، والسكة الحديدية ، وقيادات الجيش ، والاستخبارات ، تعجُ بأولئك المستوطنين الروس، كما أن لهم وجوداً ملحوظًا في سمرقند وبخارى ، في حين أن وجودهم يقلُّ بشكل جلّي في مدن وادي فرغانة والأرياف والقرى ، حيث المستوى المعيشيّ الأقلُ ، وحيث تبدو الروح الإسلامية أكثر تجذراً .

إن من الأهداف الكامنة وراء ذلك التوطين هو تحقيق إدماج السكان الأصليين في مجموعات المستوطنين وصهرهم فيها ، وكان هذا الدمج يخضع لبعض المبادئ العامة التي يمكن تمييزها بسهولة ، ومنها :

ـ محاربة الدين الإسلامي .

ـ انتهاج منهج ثقافي واحد للجماهير [٢] .

ـ إشاعة التقاليد الروسية ، والقضاء على الأعراف والتقاليد الإسلامية، ومنها إشاعة السفور والتعري في الأوساط الإسلامية المحافظة .

ـ ضمان ولاء النخبة القيادية للمبادئ الماركسية .

---

(١) تعريب د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفياتي) ٣٥ ـ بتصرف ـ .

(٢) انظر : المرجع السابق .

لم تكن محاولات دمج وتذويب الشعب المسلم وليدة هذا القرن ، ولم تبدأ مراحلها مع انتصار البلاشفة سنة ١٣٣٨هـ (١٩٢٠م) ، بل هي حركة قديمة - نسبياً - عاناها الشعب الأوزبكي منذ الاحتلال القيصري - أي منذ نهاية القرن الثامن عشر الميلادي - لكن الشعوب المسلمة صارت تخضع خلال فترة العهد الشيوعي لعملية تذويب منظَّمة من خلال حركة تثقيف اجتماعية شديدة الوطأة تشمل العديد من الميادين الثقافية والاجتماعية والسياسية واللغوية وغيرها ، وتهدف - في مراحلها الأولى - إلى تحطيم الشعور القومي والديني ، لتصل في النهاية إلى دمجها وصهرها في قومية سوفيتية واحدة ممسوخة الدين [١] .

لقد سلك الشيوعيون وسائلَ وأساليب متنوعةً من خلال منهجية علمية منظمة تضمن التأثير في كل الميادين - تقريبًا - ، فتأثير الثقافة الروسية القائمة على الفكر الماركسي يعتمد - في الدرجة الأولى - على سهولة الاختلاط بين المجتمعين الروسي والإسلامي [٢] ، إذ لابد أن تغيّرَ المناطقُ الإسلاميةُ في أواسط آسيا طبيعتَها ، ويحوّلَ تاريخُها كلُّه من مجرى إلى مجرى ؛ لذلك صدرت الأوامرُ بتهجير الألوف المؤلّفة من الروس والسلاف إلى تركستان الغربية حتى تضيع هويتها الإسلامية .

ومن وسائل الاتصال والاختلاط بين المجتمعين الروسي والإسلامي : المدارس ، ومؤسسات الدراسات العليا والفنية ، فقد ينتسب بعض المسلمين إلى المدارس الابتدائية أو الثانوية الروسية ، ولكن العكس لايحدث قط ،

---

(١) تقريب د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) ٣٠٩ - باختصار - .

(٢) المرجع السابق : ٣١٠ - بتصرف واختصار - .

وتبدأ الصلات الحقيقية بين الفريقين في آخر مراحل الدراسة في المدارس الثانوية .

ويعتبر الجيشُ أفضلَ وسيلة لـ (ترويس) [١] المسلمين ؛ فمنذ الثلاثينيات لاتُوجد في الاتحاد السوفيتي وحدةٌ عسكريةٌ قائمةٌ على أساس المنطقة أو القومية ، بل يُوزّع الجنود والضبّاط على الوحدات النظامية في الجيش ، فيغرقون في وسط روسي . والخدمة العسكرية بالنسبة إلى بعض الشبان ـ ولاسيما الريفيين منهم ـ هي أول مرحلة مباشرة تصلهم بالقومية الأجنبية بشكل مباشر ، وهي أيضًا المناسبة الوحيدة ـ لبعضهم ـ لكي يتعلموا اللغة الروسية التي كانوا يجهلونها [٢] .

ولم تقتصر وسائلُ التطبيع الماركسي على تلك المؤسسات التعليمية المختلفة ، وعلى الجيش والخدمة العسكرية ، بل امتدت لتشمل المطبوعات بجميع أشكالها ومظاهرها المختلفة كثيرة العدد ، من جرائد يومية ، ومجلات دورية ، وكتب ، كما تشمل أيضًا وسائل الإعلام الحديثة التي تسهم بشكلٍ فعّال في إيصال المعارف إلى أذهان الجماهير ، كالمذياع والتلفاز ودور المسرح ، وكذلك النوادي الثقافية والاجتماعية والمتاحف ، تُضاف إلى هذا كلّه النواحي السياسية والثقافية في جميع المنظمات ، وخاصة مايتصل منها بالأطفال والشباب [٣] .

---

(١) تطلق العديد من المصادر هذه الكلمة على عملية تذويب ودمج المجتمع المسلم في المجتمع الروسي .

(٢) تعريب د . إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفياتي) ، ٣١٣ ـ بتصرف ـ .

(٣) أبحاث المؤتمر العالمي للندوة العالمية (الأقليات المسلمة في العالم) ١/ ٧١ ـ بتصرف ـ .

ويطول بنا الحديث لو ذهبنا نستعرض كيف استُخدمت هذه الأساليب المختلفة، أو حاولنا أن نحلّل المواد التي تتضمنها برامجُ الإذاعة والتلفزة والمسرحيات والقصص والأدب الروائي الذي يقوم جميعه على أساس إلحادي فلسفي يهدف إلى غرس الإلحاد في النفوس ، وتنشئة الأجيال عليه، ويكفي أن نذكر هنا مجال الكلمة المطبوعة فقط ، أن الملايين من النسخ لآلاف الكتب قد أصدرها البلاشفةُ وأغرقوا بها الاتحادَ السوفيتي ، إلى جانب الصحف والمجلات الإلحادية التي صدرت باللغة الروسية واللغات القومية المختلفة ، واختُصّت المناطقُ الإسلامية بعدد كبير منها وكلها تبثُّ الفكرَ الماركسي وتتناول الإسلام بالتشويه والتزييف والتحريف[1] . ولقد تعاونت كل هذه القوى الإعلامية المختلفة ، واستُخدمتْ بذكاء لتذويب هوية الشعب المسلم .

وتؤدي المنظمات الشبابيةُ التي أنشأها الحزبُ الشيوعيُ مهمتها في محاولة الدمج والتطبيع الماركسي ، حيث يُمارِس فيها الطلابُ أنشطةً متعددةً تستهدف تربيتهم تربيةً تقومُ على المنهج الإلحادي الاشتراكي ، فهناك منظمة أبناء أكتوبر ـ نسبة إلى ثورة أكتوبر ١٩١٧م ـ وتضم الأطفال حتى سن العاشرة أو الحادية عشرة وهو سن المدرسة الابتدائية ، كما أن هناك منظمة الرواد وتضم المراهقين من سن العاشرة إلى الخامسة عشرة ، وهو سن المرحلة الأولى من المدرسة الثانوية، أما المراهقون في سن التعليم الثانوي والتعليم العالي فتضمُهم منظمة الكومسومول ، وفي سن الثالثة والعشرين يتم الالتحاق بالمنظمة السياسية الأم (الحزب الشيوعي) .

---

(١) أبحاث المؤتمر العالمي للندوة العالمية (الأقليات المسلمة في العالم) ١/ ٧٢ ـ بتصرف ـ .

ويشجَّع الطلابُ بوسائل عدة للانضمام إلى تلك المنظمات سواء داخل المؤسسات التعليمية أو خارجها ، حتى أصبح الانضمام إلى منظّمتي (أكتوبر) و (الرواد) عامًا ، يشمل كل أفراد المجتمع في هذا السن تقريبًا ، بينما يبلغ عدد المنضمين إلى منظمة الكومسومول ـ وهي الأكثر انتقائية ـ أكثر من نصف عدد من هم في هذا السن من مجموع السكان[١] . أما أعضاء الحزب الشيوعي فقد أعدّوا من خلال المنظمات الشبابية السابقة، ودُرّبوا على أساليب الإقناع الشَفهي التي نُظمت تنظيمًا دقيقًا حتى وصلت آثارهم إلى أبعد القرى وإلى الحدود النائية للاتحاد السوفيتي السابق .

ويعد الحزب الشيوعي ـ من خلال أعضائه ـ قوة قيادية وتوجيهية للمجتمع السوفيتي كله وذلك من خلال سيطرته على كل أجهزة الدولة والمنظمات الجماهيرية ، كالاتحادات التجارية والتعاونية ، وكل منظمات الشباب والرياضة والفنانين والكتاب وغيرها من المنظمات[٢] .

إن من الأساليب الهامة التي سلكها البلاشفة في محاولاتهم الرامية إلى تذويب الشعوب المسلمة ، ودمجها بالشعب الروسي : ضرب اللغة العربية واللغات القومية المحلية ؛ فالمنطقة عرفت اللغة العربية منذ الفتح الإسلام، وظلت بعد ذلك أجيالاً تتحدث وتكتب وتؤلف بها بجانب اللغات المحلية ، بل إن اللغة العربية اقترنت بهالة من الاحترام والتعظيم في تركستان الغربية لأنها لغة القرآن الكريم ، وبعد قيام الثورة البلشفية أدرك لينين وأتباعُه أهميةَ اللغة العربية كمقوّمٍ هامٍ من مقومات فهم الإسلام ، فمنع تدريسها في

(١) أبحاث المؤتمر العالمي للندوة العالمية (الأقليات المسلمة في العالم) ١/ ٧١ .

(٢) المرجع السابق ـ بتصرف ـ .

المدارس والمعاهد والكتاتيب ، وقام بتقسيم المنطقة الإسلامية إلى جمهوريات متعددة ، حيث استَتبعَ إنشاء هذه الجمهوريات إنشاء لغات أدبية جديدة تحل محل اللغة العربية [١] .

أما اللغات القومية في الاتحاد السوفيتي السابق فإنها قد تعرضت لهجومين : داخلي وخارجي ؛ ويرمي الهجوم الداخلي إلى جعل اللغات القومية عصرية ، والقصد من ذلك هو تطهيرها من المصطلحات والكلمات العربية والدينية ، وإدخال مصطلحات جديدةً سياسيةً واقتصاديةً وقانونيةً وفنيةً مأخوذة من اللغة الروسية أو منَ اللغات العالمية وليست منحوتة من أصول اللغة ذاتها كما كان يُفعل فيما مضى ، وتحتفظ هذه المصطلحات الجديدة بصورتها اللفظية كما هي في الأصل ، وتجري في صرفها ونحوها مجرى اللغة الروسية [٢] .

أما الهجوم الخارجي على اللغة القومية المحلية ، فإنه تمثّلَ في جعل اللغة الروسية هي اللغة الثانية لجميع المسلمين ، متأملة بذلك أن تصبح - على مرور الزمن - اللغة الأولى لجميع شعوب روسيا ، تتكلمها كل العناصر المثقَّفة من كل شعوب الاتحاد السوفيتي السابق [٣] .

إن كل تلك المساعي لم تأت بثمرة كبيرة ، حيث لم يتم القضاء على اللغات القومية ، وظل الكثير ممن تعلموا اللغة الروسية يتكلمون اللغتين على اعتبار أن الروسية لغة الأعمال والإدارة ، بينما اللغة القومية هي اللغة

---

(١) د. محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ١٠٤ - باختصار وتصرف - .

(٢) تعريب د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفياتي) ٣١٨ - باختصار وتصرف - .

(٣) المرجع السابق ، ٣١٩ - باختصار - .

التي تستعمل خارج نطاق العمل ، فداخل المنازل وفي الشوارع والمساجد وكل مكان لايتحدث عموم الأوزبك إلا باللغة الأوزبكية ، أما العلماء وطلبة العلم منهم فإنهم يتحدثون العربية عند مدارسة العلم أو الحاجة إلى ذلك[١] .

إن اندماج الأوزبك مع الروس اندماجًا حقيقيًا لم يتحقق - برأي الباحث -، ولعل نتيجة استفتاء سنة (١٩٥٩م) تشير إلى ذلك، كما يلي[٢] :

مجموع عدد الأشخاص الذين يعتبرون اللغة الروسية لغتهم القومية	نسبتهم	مجموع عدد الأشخاص الذين يعتبرون اللغة الأجنبية (أي الأوزبكية) لغتهم القومية	نسبتهم	مجموع عدد السكان الأوزبك
٣٠,١٤٨	٣, ٪	٩٤,١٧١	١٦ ٪	٦,٠١٥,٤١٦

إن هذه النسبة المئوية هي من مجموع سكان الاتحاد السوفيتي السابق، ولاشك أن الفارق كبيرٌ جدًا بين نسبة من يعتبر الروسيه لغته القومية وبين من يعتبر أن الأوزبكيةَ لغتُه القومية ، وهذه النتيجة بعد ما يقرب من أربعين عامًا من الحكم الشيوعي ؛ غير أن هذا المعيار وحده لايكفي للتدليل على مدى تأثير عملية الدمج، حيث أن التأثير نال كل ميادين الحياة تقريبًا .

وخلاصة القول أن محاولات الدمج التي مارسها الشيوعيون لم تكن وليدة ذلك العهد البلشفي ، لكَنها أخذت طابع الاستهداف المنظّم

(١) لاحظ الباحث ذلك خلال زياراته للمنطقة ، حيث دخل العديد من المنازل والأسواق والمساجد في كل من العاصمة طشقند ، وسمرقند ، وبخارى ، ووادي فرغان وغيرها من المدن والقرى .

(٢) تعريب د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفياتي) ٣٢٠ .

والشمولي منذ ثورة ١٩١٧م ، من أجل تحطيم الشعور الديني والقومي، وكانت وسائله وأساليبه تقوم على عدة محاور : منها استهدافُ اللغة العربية واللغات المحلية ، وإنشاءُ منظمات شبابية لشتى المراحل العمري يتلقى فيها أبناء المسلمين مباديء الشيوعية ، كما أن الجيش والخدمة العسكرية الإلزاميةَ كانا محورين رئيسين من محاور محاولات الدمج، بالإضافة إلى وسائل الإعلام والتعليم الحديثة من صحافةٍ وتلفزةٍ وإذاعة ودور نشرٍ ومدارسَ ومعاهد وجامعاتٍ وغير ذلك .

إن تأثير تلك المحاولات قد نال كل ميادين الحياة تقريبًا ، من أدبٍ وفنٍ وثقافة ولغة وغير ذلك ، بيد أنه من الصعب أن نُقدّر ـ بشكل دقيق ـ مدى هذا التأثير ونتائجه القريبة والبعيدة .

الوسيلة السابعة : : فصل الدين عن الدولة :

إن نظرة الشيوعيين إلى الدين الإسلامي تتسم بالتشويه الكبير بسبب أفكارهم المغلوطه عن الإسلام ، يدل على ذلك ما نُقل عن الموسوعة السوفيتية الرسمية الكبرى، المطبوعة سنة ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م)، حيث تقول :

« لقد مارس الإسلام دائمًا ـ كما مارس غيره من الأديان ـ أسلوباً رجعيًا ؛ على اعتبار أنه سلاحٌ في أيدي الطبقة المستغلة ، وأداةٌ للاضطهاد الروحي للعمال الذين يستعملهم المستعمرون الأجانبُ لإخضاع شعوب الشرق »[١] .

ولاشك أن هذه النظرة المشوهة والظالمة إلى الدين الإسلامي ناشئةٌ عن النظرة إلى الدين المسيحي والكنيسة الأرثوذوكسية ، وذلك بسبب انحراف الكنيسة وغلو القائمين عليها ، كما أنها ناشئة أيضًا عن حقد دفين نتيجة عقود من الصراع بين الإسلام وخصومه التقليديين .

لقد كانت سياسةُ موسكو من الإسلام في السنوات الأولى من الثورة البلشفية سياسةً مترددةً ، إذ كانت تسعى إلى كسب وُدّ المسلمين بسبب حاجتها إليهم ليساعدوها على قهر جيوش ألمانيا وحلفائها ، لكنها كانت ـ في الوقت ذاته ـ تقف من الدين الإسلامي موقفًا غير وُدّي[٢] .

---

(١) تعريب د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفياتي) ٢٢١ ، نقلاً عن الموسوعة المشار إليها (انظر ط : الثانية ١٩٥٨م ـ تحت لفظ : إسلام ٢٨/ ٥١٦) .

(٢) المرجع السابق : ٢٢٢ ـ بتصرف ـ .

وفي ٢٣ كانون الثاني من عام ١٩١٨م ، صدر عمن يُطلق عليهم مفوِّضي الشعب في الجمهورية الروسية مرسوم يتضمن النظام الأساسي للمنظمات الدينية ، بشأن حرية الضمير وحرية المجتمع الديني ، وقد أعلن هذا المرسومُ فصَل الدولة عن الكنيسة فصلاً تامًا ، كما أعلن تأميم المنظمات الدينية وضمها وعَهدَ بتطبيق وتنفيذ هذه التدابير إلى الشيوعيين المحليين ـ وخاصة الروس ـ ، ولمّا لم يكن هؤلاء ميّالين لمسايرة عواطف المسلمين ، فإنهم قد أفسحوا المجال للبلاشفة الروس بالاعتداء على المسلمين ، فأهانوا مساجدهم ، وقتلوا علماءهم ؛ ففي سنتي ١٩١٨م و ١٩١٩م قامت الثورة في تركستان على أيدي الروس وحدهم ، حيث ارتكبت السلطات السوفيتية المحلية من أعمال العنف والوحشية ما أثار المسلمين الذين ردّوا على فصائل الفرسان [١] ـ أعداء الدين ـ ، وانضمت جماعاتٌ إلى الثوار البصمتشيين ، فكانت حربًا وطنية ودينية كادت تقضي على النظام الجديد في آسيا الوسطى .

وحينما أعادت حكومة موسكو سلطتها على طشقند في شهر حزيران سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٩م) ، كان همها الأول وضع حد لسياستها المكشوفة التي مارستها ضد المسلمين ، فأعيدت بعض المساجد إلى المنظمات الإسلامية وأعيد فتح المحاكم الشرعية ، كما فتحت بعض المدارس الدينية ، ثم صدر مرسومٌ عن المجلس المركزي التنفيذي لجمهورية أوزبكستان يعلن اعتبار يوم الجمعة يوم عطلة رسمية ، فكانت نتيجة ذلك أن انضم إلى النظام الجديد فريقٌ من المثقفين ، ومن علماء الدين أيضًا [٢] .

(١) فصائل الفرسان : مسمى القوات التي دفعت بها روسيا البلشفية إلى طشقند ضد المسلمين .
(٢) تقريب د . إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) ٢٢٢ ـ بتصرف ـ .

لقد ظل بعض أولئك العلماء الذين انضموا إلى السلطة الماركسية يكرسون مبدأ فصل الدين عن الدولة ، بل ويدافع بعضهم عن سياسة السلطات تجاه الإسلام والمسلمين !! وفي ذلك يقول شمس الدين خان بن ضياء الدين خان بن إيشان باباخان [١] الذي عينته السلطات مفتيًا لأوزبكستان : « . . وفي ٢٣ يناير ١٩١٨م تم اتخاذ المرسوم المصيري حول فصل الكنيسة عن الدولة ، والمدرسة عن الكنيسة ، وبذلك قُضي على احتكار الدين الرسمي في الدولة قضاء تاماً . وقد وفّر المرسومُ الجديد لجميع المواطنين في الدولة الجديدة المتعددة القوميات ، القدرَ الكاملَ من حرية الضمير . إنه قد ألغي ومُنع منعًا قاطعًا كلُّ نوع من التمييز ، والتحريم في الحقوق بسبب الدين » [٢] .

ومن الواضح أن هذا المفتي يبارك للدولة فصلها الدين عن الحياة العامة .

---

(١) شمس الدين بن ضياء الدين خان بن ايشان بابا خان : هو مفتي المسلمين في آسيا الوسطى وقازاقستان ، حيث عينة السلطات البلشفية بعد وفاة والده عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) ، ولد بطشقند سنة (١٩٣٧م) ، وانتسب إلى معهد اللغات الأجنبية في طشقند عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) ، وفي سنة ١٣٨١هـ (١٩٦٢م) واصل دراسته في جامعة الأزهر بالقاهرة ، وعمل مديراً لمعهد الإمام البخاري خلال السنوات من ١٣٩٥هـ إلى ١٤٠٢هـ (١٩٧٥ - ١٩٨٢م) .

(٢) المفتي شمس الدين خان (المفتي ضياء الدين خان وتراثه الفكري) ، ص ٨ .

الوسيلة الثامنة: توجيهُ التعليم ووسائل الإعلام إلى الإلحادِ:

يعتمد الفكرُ الشيوعيُّ على التربية اعتمادًا كبيرًا لتكوين الإنسان على المفاهيم والاتجاهات والعادات الاشتراكية ، وتُسيطر الدولةُ والحزبُ الشيوعي سيطرةً كاملة على شئون التربية ، وهي سيطرة ليس لها نظير في العالم كله ؛ إذ تمتد إلى كل صغيرة وكبيرة تتصل بالعمل المدرسي من حيث المناهج وطرق التدريس والأنشطة المدرسية ، بل وطريقة وقوف الطلاب لأساتذتهم وطريقة تحيتهم لهم برفع غطاء الرأس ثم إعادته ، فضلاً عن الزي المدرسي وطريقة ارتدائه [1] .

إن الأساس النظريَّ الذي بُنيت عليه كلُّ العلوم والمعارف في الاتحاد السوفيتي السابق هو الماركسية اللينينية، ومن ثَمّ فهي (علم العلوم) أي العلم الذي يُفسّر العلومَ الأخرى ، والذي في ضوئه يكون للتاريخ والجغرافيا والأدب واللغة والرياضيات والعلوم وغيرها معنى ، وبدونه تكون هذه العلوم وسيلةً تُسيطر بها البرجوازية على الجماهير الكادحة ـ كما هو الحال في المجتمعات الرأسمالية ـ ، ويتحوّل المجتمعُ من مجتمع مثالي نظيفٍ إلى مجتمع برجوازي استغلالي ـ على حد زعمهم ـ .

وتعرض العلومُ والمعارفُ في شتّى المراحل التعليمية عرضًا إلحاديًا صِرْفًا من أجل تمكين الإلحاد في النفوس، وقد أجرى قسمُ الإلحاد العلمي

---

(١) د. محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ١٣٩ ـ بتصرف ـ .

في « معهد جرتين للتربية » استفتاء مع ١٦١٩ شخصًا في العام الدراسي ٦٧/ ١٩٦٨م ، وكان السؤال الذي وُجّه إليهم هو : أي العلوم في رأيك أكثرُ عونًا على تكوين النظرة الإلحادية لدى الدارسين ؟ وكانت الإجابات كما يلي : علم الفلك : ٣٢١، علم الأحياءُ ١١٤٢ ، علم الاجتماع ٩٨٠ ، علم الكيمياء ٥٠٩ ، علم الطبيعة ٣٢١ ، علم التاريخ ١٦٠ ، علم الأدب ٩٥ ، علم الرياضيات ٣٨ [١] .

ولضمان السلطات السوفيتية تنفيذ سياساتها التعليمية والتربوية فإنها تضع ممثّلاً للحزب الشيوعي في كل وحدة تعليمية ، صغيرة كانت أم كبيرة ، ويعمل هؤلاء الممثلون على التأكد من أن الفلسفة الشيوعية هي السائدة في البرامج والتنظيمات التربوية المختلفة ، وكذلك يقوم المخبرون السياسيون [٢] بدور كبير في هذا المجال ليتأكدوا من مدى ولاء المشتغلين بالإدارة التعليمية والمدرسية للحزب الشيوعي .

إن مناهج التعليم في المدارس في عموم الاتحاد السوفيتي السابق واحدة ، حيث تُلزم المدارسُ بتبني برنامج منهجي واحد ، وذلك بأن تحتذي كلُّ الجمهوريات حذوَ الجمهورية الروسية الاشتراكية الاتحادية فيما تقرره من برامج ، وما تختاره من كتبٍ ، حيث تُترجمُ هذه الكتب والبرامج إلى اللغات المحلية بكل جمهورية [٣] .

وتُشدّد كلياتُ إعداد المعلمين في مناهجها على تأصيل تدريس الإلحاد

(١) انظر : أبحاث المؤتمر العالمي للندوة العالمية (الأقليات المسلمة في العالم . .) ، ١/ ٧٠ .
(٢) عن طريق جهاز المخابرات السرية في الاتحاد السوفيتي السابق والمسمى بـ(كي جي بي) .
(٣) انظر : المرجع السابق ، ١/ ٦٩ .

في كل مقرر من المقررات حتى يَتَبَنَّى المعلّمون عندما يخرجون إلى المدارس تدريسَ هذا الأساس الهام الذي تقوم عليه الشيوعية، فهم لا يدّخرون وسعًا في محاولة إعداد « المعلم الملحد المثالي» . ويكرر المعلمون في بداية تعليمهم الإلحاد في مرحلة رياض الأطفال والمرحلة الابتدائية « درسَ التفاحة » ، وفيه يبدأ المعلم بإخراج تفاحة من حقيبته ويرفعها بيده أمام الأطفال ، ثم يقول لهم : من الذي يعطينا هذه التفاحة ؟ فإذا قال أحد الأطفال : إن الله يعطينا هذه التفاحة . أنّبه المعلم ، ولم يُعطها له . ثم يعاود ويكرر السؤال، فإذا وقف طفل وقال : إن الطبيعة تعطينا هذه التفاحة ، أو قال : إن لينين هو الذي يعطينا هذه التفاحة ، أعطاها له[1] .

ويحرص الحزب الشيوعي على التشكيل التربوي والتعليمي للأطفال منذ الصغر حتى يقعوا تحت التأثير المباشر في الحضانة ، ثم رياض الأطفال ، ثم خلال مرحلة التعليم الإلزامي والتي تمتد عندهم فتشمل المرحلة الابتدائية والثانوية ، ويستمر تعليم الإلحاد فيما يتلو ذلك من مراحل التعليم المختلفة .

إن المدرسة تغرس في نفس الطفل منذ مرحلة الحضانة تعاليم الإلحاد، فإذا تصوّرنا أن الحضانة تقبل الأطفالَ بعد شهور من مولدهم ، ويستمرون بها حتى سنِّ الثالثة أو الرابعة ، وأن رياض الأطفال تقبل أطفالها في سنِّ الثالثة أو الرابعة وحتى سنِّ السادسة أو السابعة ، حيث يبدأ التعليم الإلزامي الموحد ، وإذا عرفنا كذلك أن حوالي ٤٨٪ من عدد النساء اللاتي هن في سن العمل يمارسْن عملاً خارج المنزل ، لو تصورنا ذلك كله لأدركنا مدى

(١) د. محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ١٥٣ ـ بتصرف ـ .

الفرصة الكبيرة التي تتاح للدولة الشيوعية كي تفرض فكرها وفلسفتها على أبناء المسلمين منذ مراحل التنشئة المبكرة جداً [١] .

إن مرحلة التعليم الإلزامي والذي يمتد من سن السابعة إلى السابعة عشرة ، يولي فيها الشيوعيون أهميةً خاصة بالسلوك كي تتأكد السلطة من نجاح عملية غرس المفاهيم الاشتراكية ، ومدى تشرب الفرد لقيم الحزب وأفكاره ، وتَنَالُ درجاتُ السلوك عادة في حياة التلميذ أهمية قد تفوق أهمية الدرجات التي يحصل عليها في المواد الأكاديمية ؛ إذ قد يعيد الطالب العام الدراسي إذا فشل في الحصول على درجة مقبول في السلوك . ثم إن هناك تمثالاً للتلميذ السوفيتي المثالي ممثلاً في طفل وَشَى بوالده الذي يعتنق أفكاراً مناهضة للحزب الشيوعي ، فالوشاية - حتى بالآباء والأصدقاء - هي قمة السلوك الاشتراكي الحسن الذي تطلبه الدولةُ والحزبُ من أطفالها وطلابها [٢] ! ! ولقد تعاونت كل القوى التربوية واستُخدمت بذكاء لنشر الإلحاد ، يدل على ذلك إحصائية أوردها « بابلاكوف » عن ٨١٩ شخصًا ارتدوا عن دينهم ، وكانت المدرسة هي الوسيلة المؤثرة الأولى التي أدت إلى ارتدا د الكثير منهم ، كما يلي :

المدرسة (٣ , ٥٥٪) ، الدعاية الشفهية (١ , ٥٠٪) ، برامج الإذاعة (٣ , ٤٩٪) قراءة الكتب والمجلات (١ , ٣٦٪) ، السينما (٦ , ٢٧٪) ، النشاط الاجتماعي (٩ , ١٦٪) ، الأقرباء الملحدون (٦ , ١٣٪) .

---

(١) د. محمد عبد القادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ١٥٢ - بتصرف - .

(٢) أبحاث المؤتمر العالمي للندوة العالمية (الأقليات المسلمة في العالم . .) ١/ ٧٠- بتصرف - .

ولاريب أن هذه الجهودَ الجبّارةَ في توجيه التعليم إلى الإلحاد لم تأت من فراغ ، حيث ترصد لها الدولة ١٠٪ من مجموع دخلها القومي ، وهذه نسة عالية جدًا قل أن ترصدها دولة في العالم للعملية التعليمية [١] . أما في مجال التعليم العالي ، فتوجد في أوزبكستان الكثيرُ من المعاهد والكليات المتخصصة ، منها جامعة طشقند ومعهد الاستشراق ، حيث تُعتبر مبادئُ الإلحاد والاشتراكية مناهج مهمة تدخل في كثير من المواد [٢] .

ولم يقتصر تعليم الإلحاد على التلاميذ في المدارس ، وإنما شمل العمّالَ في المصانع والمزارعين في الحقول وغير ذلك ، فقد أعَدّتُ « إداراتُ الإلحاد العلمي » ـ كما كانت تسمى ـ التابعةُ للحزب الشيوعيّ ، برامجَ خاصةً لتعليم الإلحاد ، يتم توجيُهها إلى الفنيين والعمال والمزارعين بشكلٍ منتظم ، ويُشرف عليها أعضاءُ من الحزب لمعرفة مدى تأثير الدّعاية الإلحادية على أولئك العمال والمزارعين [٣] .

ويتضح مما سبق مدى الأهمية البالغة التي يوليها الشيوعيون للعملية التعليمية لتكوين الإنسان على المفاهيم والاتجاهات والمعتقدات الاشتراكية والإلحادية .

ولم تقتصر عملية التطبيع الماركسي على تلك المؤسسات التعليمية

---

(١) أبحاث المؤتمر العالمي للندوة العالمية (الأقليات المسلمة في العالم . .) ١/ ٧٢ ـ بتصرف ـ .

(٢) وقد أوضح ذلك الشيخُ عباد الله ، الذي التقى به الباحث في طشقند خلال زيارته الأولى لأوزبكستان في صيف عام ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) ، وهو خريج معهد الاستشراق بطشقند .

(٣) د. محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ١٥٥ ـ بتصرف ـ .

المختلفة، بل امتدت لتشمل المطبوعات ، بجميع أشكالها ومظاهرها المختلفة كثيرة العدد ، من جرائد يومية ومجلات دورية وكتب ، بالإضافة إلى وسائل الإعلام الحديثة كالإذاعة والتلفزة ، فهذه الأجهزة أحادية التلقي ، إذ أنها مصنعة بحيث لاتستقبل سوى الموجات والقنوات المحلية أو تلك التي تُبث من موسكو [١]، كما يدخل تحت مظلة وسائل الإعلام الحديثة مؤسساتُ التسلية والترويح كدور التمثيل ودور السينما والمتاحف والنوادي الثقافية ، والتي تقوم جميعُها على أساس إلحادي فلسفي يهدف إلى غرس الإلحاد في النفوس وتنشئة الأجيال المسلمة عى ذلك .

إن مكافحة الإسلام والعنايةَ بنشر الإلحاد يقعان ـ من حيث المبدأ ـ على عاتق كل منظمات الحزب ، وكذلك على الفروع الإقليمية لمؤسسة ماركس ـ انجل ـ لينين ، وعلى كل وزارات الثقافة في جميع الجمهوريات .

وأنشئَتْ منظمةُ (جمعية نشر المعلومات السياسية) إثر الحرب [٢] ، وصلاحياتها شبيهة بصلاحيات (اتحاد من لا إله لهم) إذ تقوم بحملات الدعاية ضد الإسلام ، وكل الوسائل مجنّدة لخدمة أهدافهم : المذياع ، التلفاز ، السينما ، المتاحف ، المعارض ، الصحافة ، والمحاضرات .

ويبدو أن الجهود التي بذلَتْها هذه المنظمة ـ بهذا الصدد ـ كانت جهوداً عظيمة جداً ، ولاسيما ماكان منها في ميدان المحاضرات العامة ، ومثال

---

(١) حدث الباحث بذلك أكثر من شخص ممن التقى بهم في أوزبكستان ، وتؤكد ذلك المراجع الإعلامية .

(٢) أي الحرب العالمية الثانية (من عام ١٩٤١ ـ ١٩٤٥م) ، والمركز الرئيسي لهذه المنظمة « موسكو » ولها فروع في كل الجمهوريات .

ذلك أنها ألقت في أوزبكستان سنة ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) ، أكثر من عشرة آلاف محاضرة ضد الإسلام[١] !! .

ويبدو أن الجهود المبذولة لمكافحة الإسلام عن طريق النشر هي أعظم بكثير من الجهود الكلامية ، إذ بصرف النظر عن المقالات ـ والتي لا تعد ولا تحصى ـ ، فقد طَبعتْ « جمعيةُ نشر المعلومات السياسية » مابين تاريخ الأول من كانون الثاني عام ١٩٥٥م إلى الأول من آب عام ١٩٥٧م ، (٨٤) كتابًا في (٨٠٠,٠٠٠) نسخة ، وزعتها في المناطق الإسلامية من الاتحاد السوفيتي السابق ، كان منها (٢٠) كتابًا صدر باللغة الأوزبكية .

وبعد موت ستالين اشتدت الحملة على الإسلام إذ ظهر في الاتحاد السوفيتي السابق خلال السنوات من ١٣٧٩هـ إلى ١٣٨١هـ ، (١٩٦٢ ـ ١٩٦٤م) ، (٢١٩) كتابًا ونشرة ضد الإسلام خاصة ، أو موجّهة إلى المسلمين ، منها (٢٦) كتابًا باللغة الأوزبكية[٢] .

على الرغم من هذه الجهود الجبارة وهذا الإحصاء المذهل ، فإن السلطات السوفيتية تعتبر أن تلك الأعمال الجارية في مكافحة الإسلام لم تكن كافية ، فالصحافة كانت تشتكي كثيراً من عدم مبالاة المسلمين ، لا بل ونفرتهم من هذه الأعمال ، كما أن الصحافة كانت تشتكي من انحطاط نوعية الدعاية الإلحادية وعدم جدواها[٣] .

---

(١) انظر : تعريب د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفياتي) ٢٧٦ ، نقلاً عن جريدة « قيزل أوزبكستان » الصادرة في طشقند في ١٣٧١هـ (١٨/ ٣/ ١٩٥٢) .

(٢) المرجع السابق ، ٢٧٧ ـ بتصرف ـ .

(٣) المرجع السابق ، ٢٧٨ ـ بتصرف ـ .

الوسيلة التاسعة : استهداف الأسرة ، والمرأة المسلمة :

لقد كانت الأسرةُ خلال العهد الشيوعي البائد هي المحضن الذي أسهم في حفظ هوية المجتمع المسلم من الذوبان في المحيط الاشتراكي الإلحادي ، ولذلك فقد بذلت السلطات جهوداً كبيرة خلال العهد الشيوعي للقضاء على نظام الأسرة ، ذلك النظام الذي كانت للأب فيه سلطةٌ كبيرةٌ ، ويتمسك أفراد الأسرة فيه بعادات كانت ـ في الغالب ـ تساهم بشكل فعال في الحفاظ على الهوية .

لقد سلكت السلطات في سبيل تحطيم نظام الأسرة خطوات مرحليةً ، كانت ترمي في النهاية إلى كسر السلطة الأبويَّة وإشاعة الإباحيّة تحت مسمى « تحرير المرأة » ؛ كي يستطيع المسلمون اللحاق بإخوانهم الروس اجتماعيًا ـ في زعمهم ـ .

إن نمط الأسرة يختلف تبعًا للوسط ، فالأوساط البدوية تكون محافظة ـ في الغالب ـ على نظام القبيلة والفَخْذ [1] بخلاف الأسرة الحضرية ، وهذا ما يؤكده سنيسايف [2] في دراسة قام بها في خوارزم إذ يقول : إن الكيان الفخذي مازال قائمًا فيها ـ أي خوارزم ـ لم يُمسّ كما كان قبل سنة ١٩١٧م ، ومازالت الأسرة الكبيرة ـ التي يسمونها عائلة ـ هي خلية المجتمع

---

(١) الفَخْذُ والفَخذُ : في العشيرة : إحدى فصائل البطن (المعجم الوسيط ، ٢/ ٦٧٦) والبطن دون القبيلة ، وانظر القاموس المحيط / ص ٤٢٩ باب الذال فصل الفاء .

(٢) أبحاث المؤتمر العالمي للندوة العالمية (الأقليات المسلمة في العالم . .) ٢/ ٢٩٢ ، نقلاً عن . د . إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفياتي) .

الإسلامي ، والأسرة الكبيرة هي جزء من الفخذ . . . وكل أفراد الأسرة الكبيرة ينحدرون من جد واحد يحملون اسمه ويتمسكون بشدة بنسبتهم إلى فخذهم ، وتتألف الأسرة الكبيرة من عشرين إلى أربعين أسرة صغيرة تعيش كلها في قرية واحدة ، وتدفن موتاها في مقبرة عامة واحدة .

إن الأمر يختلف - بعض الشيء - في الحاضرة والمدن ، إذ تتلاشى مظاهرُ التمسك بالفخذ أو القبيلة ، لكن نظام الأسرة الكبيرة لايزال ظاهرةً اجتماعية موجودةً في المدن ، وقد لاحظ الباحث وجودها في مدن وادي فرغانة وفي سمرقند[1] .

إن السبب في حرص السلطات السوفيتية على القضاء على نظام القبيلة والفَخْذ ، يكْمنُ في أن الكيان القبليَّ قد ترك آثارًا ظاهرة - إلى حدٍّ ما - تتمثل في الشعور بالقرابة البعيدة جدًا ، وذلك بالمحافظة بورع على شجرة نسب الأسلاف ، وتَعْتَبرُ السلطاتُ أن ذلك يشكل عائقًا في سبيل بناء الاشتراكية وأنه قد شَلَّ حركةَ الكفَاح الطبقي - في زعمهم - بين أفراد الفَخْذ الواحد ، وهذا بدوره يحُولُ دون ممارسة الاشتراكية[2] . وبإدخال النظام الاشتراكي إلى الريف ضربت السلطاتُ السوفيتية الأسرةَ الكبيرةَ غيرَ المنقسمة ضربةً قاصمة إذ أفقدَتْها كلَّ معاني وجودها الاقتصادي ، ولكن على الرغَم من ذلك فإن هذا النوع من الأسر ظل حيًا بشكل متواضع ، وظل محافظًا على مميزاته التقليدية في المناطق التي كانت - فيما مضى - بدوية ،

(١) كان ذلك في شهر ربيع الثاني من عام ١٤١٥هـ (أكتوبر ١٩٩٤م) ، عندما حل الباحث ضيفًا عند الشيخ معمور بن منصور لبضعة أيام ، وكانت أسرته كبيرة .

(٢) أبحاث المؤتمر العالمي السادس للندوة العالمية (الأقليات المسلمة في العالم . .) ٢/ ٢٩٢ ، نقلاً عن د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) .

حيث مازالت الأسرة الكبيرة غيرُ المنقسمة قائمة على اعتبار أنها وحدةٌ أخلاقية أكثر منها وحدةً عمليةً ، وعلى اعتبار أنها رأسمال مشترك لعادات مازالت حية [١] .

إن سلطةَ الأبِ هي العامل المهم الذي يُسهم في إعاقة صهر المسلمين في المجتمع الاشتراكي والسوفيتي ؛ لأن الأمور التي تفرضها تلك السلطة الأبوية ليست أمورًا عارضة بل هي من صميم حياة الفرد اليومية ، وإذا كانت الجهود التي بذلتها السلطة السوفيتية قد أوصلت كثيرًا من المسلمين إلى مرحلة الأسرة ذات الزوج الواحد ، فإن هذه الأسرة مازالت مطبوعة بمبدأ سلطة الأبوة من حيث كيانها ، ومن حيث تركيب العلاقات بين الجنسين من جهة ، وبين الأولاد من جهة أخرى [٢] .

لم تتوقف جهود السلطات البلشفية على استهداف القبيلة والفَخْذ أو الأسرة الكبيرة أو سلطة الأب ، بل تجاوز ذلك إلى المرأة حيثَ كثيرًا ما حاربت السلطات الزواج المبكر وأسمته « زواج القاصرات » .

إن الزواج المبكّرَ يعكس مظهرًا من مظاهر العفة التي مازالت حيةً في الأسرة المسلمة الأوزبكية ، فالمجتمع الأوزبكي مازال إلى اليوم ـ كما كان في الماضي ـ شديد التمسك بالقيم الأخلاقية وشديدَ المحافظة على عفاف البنت ، لذا فإنه يسعى إلى تزويج بناته بأسرع وقت مستطاع إذا ماتوافر الزوج المناسب ، حفاظًا لهن وصونًا لأعراضهن ؛ على الرغم من أن سن الزواج محدد قانونًا بالثامنة عشرة .

---

(١) أبحاث المؤتمر العالمي للندوة العالمية (الأقليات المسلمة في العالم . .) ٢/ ٢٩٤ ـ بتصرف ـ .

(٢) المرجع السابق، ٢/ ٢٩٤، نقلاً عن : د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفياتي).

إن المرأة المسلمة الأوزبكية كانت لبنةً تعوق بناءَ الاشتراكية اللينينية الحديثة ، وتكمُنُ أهميةُ المرأة في المحافظة على العقيدة الإسلامية للأجيال الناشئة ، إذ أن الدعاية الشيوعية المناهضة للدين كان أثرها قليلاً على المرأة ؛ لكونها تعيش في معظم وقتها داخل بيتها .

إن أعظم مظهر من مظاهر استهداف المرأة المسلمة الأوزبكية يتجلى في محاولات السلطات الشيوعية القضاء على الحجاب والنقاب[1] ، فقد كان الحجاب أمرًا شائعًا في عموم جمهورية أوزبكستان وكذلك النقاب ، لذا فقد شَنّت السلطات السوفيتية منذ سنة ١٣٤٣هـ (١٩٢٥م) حملةً استهدفتْ فيها التقاليدَ الإسلامية عامة والحجابَ الشرعيَّ بشكل خاص وكما تشير بعض المصادر [1] فإنه وبالرغم من أن حركة رفع الحجاب كانت تسير ببُطءٍ نسبي إلا أن نتائج تلك الحملة كانت قاضية على الحجاب في جمهورية أوزبكستان وعموم البلاد الإسلامية القابعة تحت السيطرة الروسية .

لقد قدَّر سائحٌ أجنبي زار طشقند سنة ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م) عدد المحجبات بـ (٥٪) في الجزء الإسلامي من هذه المدينة ، وفي سنة ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) كانت الصحافة السوفيتية تشتكي من وجود بعض المحجبات ليس من نساء الشعب فقط ، بل ومن نساء وجهاء الحزب في الأرياف وفي المدن [2] .

---

(١) انظر : تعريب د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفياتي) ٣٠٠ .

(٢) انظر : المرجع السابق ، ٣٠١ .

وانتهت الحملة على الحجاب عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) بنتيجة جذرية ، إذ أن سائحة غربية زارت في عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) أوزبكستان ، وجابت كلَّ مدن الجمهورية فلم تجد أي امرأة محجبة[1] !! ، وحتى لو كان في ذلك بعضُ المبالغة ، إلا أنه يعكس حجم الهجمة الشرسة على الحجاب والمرأة المسلمة .

أما فيما يتعلق بتعدد الزوجات فقد كان حدوثه قليلاً قبل الثورة وبعدها، وكان الميسورون وحدهم الذين يتزوجون بأكثر من واحدة بعكس عامة الشعب إذ كان الرجل - على الغالب - لا يتزوج غير زوجة واحدة .

وعلى الرغم من أن القوانين السوفيتية قد منعت تعدد الزوجات منعًا باتًا إلا أنه مازال موجودًا - ولو بشكلٍ قليل - إلى اليوم في المجتمع الأوزبكي .

(١) تعريب د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) ٣٠١ .

الوسيلة العاشرة : اتخاذ قيادات دينية موالية للحزب الشيوعي :

بعد انتصار الثورة البلشفية اتخذت السلطاتُ مواقفَ معاديةً للإسلام والمسلمين حيث أعدم العلماءُ وهدمت المساجدُ وهُجر الكثيرُ ؛ لكنها وبعد الحرب العالمية الثانية غيَّرت من تلك السياسة بعضَ الشيء ، فأعادت بعضَ المساجد المسلوبة وسمحتْ بإنشاء إدارة دينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان بعد أن أبدى بعضُ المتعاونين مع البلاشفة إخلاصًا لثورة أكتوبر الاشتراكية ، لكنّ حملات الدعاية المناهضة للدين لم تتوقف أبدًا ، كما أن مصادرةَ الحريات ومطاردةَ العلماء المخلصين والدعاة لم تتوقف أيضًا .

ويذكر المفتي شمسُ الدين قصةَ إنشاء الإدارة الدينية وأسبابَ ذلك ، فيقول : « كان المفتي إيشان خان باباخان بن عبدالمجيد خان والدُ الشيخ ضياء الدين خان يُبيّت منذ أمد بعيد فكرةَ تأسيس المركز الديني الروحي الذي من شأنه أن يجمع شمل المسلمين في آسيا الوسطى وقازاقستان ، ولكن لم يُقدّر لهذه الفكرة أن تتحقق سوى في أعوام السلطة السوفيتية التي أطاحت بالقيصرية البغيضة» . ثم يضيف قائلاً : « وقد أيّد فكرةَ المفتي إيشان باباخان . . ابنُه ضياء الدين الذي أصبح منذ سني فتوته نصيرًا مخلصًا في الرأي ، ومساعدًا أمينًا ومستشارًا ورفيقًا لوالده . وقُدّر لحُلُمهمَا المشترك أن يتحقّق في الأيام العصيبة للحرب الوطنية العظمى في الأعوام ١٩٤١ ـ ١٩٤٥م التي خاضها الشعبُ السوفيتيُّ المتعددُ القوميات كلُه بلا هوادة ضد الغزاة الهتلريين دفاعًا عن شرفه وحريته » . ويقول المفتي ضياء الدين خان بن

إيشان باباخان : « لقد كانت هذه الحرب اختباراً جدياً لصلابة الصداقة والأخوّة بين شعوب وطننا المتعدد القوميات والفسيح الأرجاء ، التي هبت كمعسكر موحد دفاعاً عن مكتسباته التاريخية . وفي السنوات القاسية للمحن العصيبة التي ابتُلي بها السوفيتيون، أظهروا مرة أخرى بالنار والسيف أمام العالم أجمعَ إخلاصهم غير المتناهي لتلك الأهداف والمهام التي قامت من أجلها ثورةُ أكتوبر الاشتراكية العظمى في عام (١٩١٧م)»[١] .

ويضيف بعد ذلك مبيناً الهدف وراء تشكيل الإدارة الدينية ، فيقول : «كان الشيخ إيشان باباخان وابنه ضياء الدين يدركان بأن التشتّتَ البالغَ ، والرابطةَ الضعيفة بين الطوائف الإسلامية الصغيرة ، وقليلة القُدرة في المنطقة يُضْعفان بشكل خطير تحقيق التعبئة الفعّالة إلى أقصى حد لكافة قوى المسلمين للنضال المقدس ضد العدو « الفاشستي » البغيض ، فكانا بين المبادرين الرئيسيين لعملية استحثاث توحيد جميع مسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان تحت إدارة مركز ديني مشترك واحد ، وقد استحسنتْ حكومةُ جمهورية أوزبكستانَ السوفيتية هذه المبادرةَ ، واقترحت تشكيلَ لجنة تحضيرية منَ أجل بحث التدابير التطبيقية لتأسيس مثل هذا المركز »[٢] .

إذن كان الهدف من تأسيسها هو توحيدُ صفوف المسلمين دعماً للمجهود الحربي المساند للدولة السوفيتية البلشفية في حربها ضد الألمان .

يضيف المفتي بعد ذلك مبيناً إجراءات التأسيس ، فيقول : « ضمّت اللجنةُ ـ أي اللجنة التحضيرية ـ دعاة بارزين في أوزبكستان وعلى رأسهم

(١) و (٢) المفتي شمس الدين خان (المفتي ضياء الدين خان وتراثه الفكري) ٢٨ ـ ٣٠ .

الشيخ إيشان باباخان ، وفي قازاقستان برئاسة الشيخ عبدالغفار شمس الدين، وفي طاجكستان برئاسة الشيخ صالح باباكلان ، وفي قرغيزيا برئاسة الشيخ عالم خان تورا شاكر ، وفي تركمانيا برئاسة الشيخ إيشان . .

وقامت اللجنة بتشكيل لجنة تأسيسية ، عُيّن أمينًا مسئولاً لها الشيخُ ضياءُ الدين خان بن ايشان باباخان ، وبعد أعمال تحضيرية مكثفة قررت اللجنة أن يعقد في تشرين الأول (أكتوبر) عام ١٩٤٣م ، مُؤْتَمَرَ العُلماء المسلمين في آسيا الوسطى وقازاقستان . . وافتُتح المؤتمرُ في موعده المقرّر ، وشارك فيه أكثَرُ من (١٦٠) مندوبًا من كافة الجمهوريات الخمس المتحدة التي تضمها المنطقة وهي : أوزبكستان ، وقازاقستان ، وطاجكستان ، وقرغيزستان وتركمانستان .

استغرق المؤتمرُ ثلاثةَ أيام ، واختُتمَ بإصدار قرار يقضي بتأسيس «الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان » ، وانتُخبت هيئةُ رئاسة لها تضمَ أحد عشر شخصًا ولجنةُ رقابة من خمسة أشخاص ؛ وانتُخب رئيساً للإدارة الدينية بالإجماع : الشيخُ ايشانَ باباخان بن عبدالمجيد خان مع منحه المرتبة السامية ، أي : مفتي الجمهوريات المتحدة الخمس بالمنطقة ، وانتُخب الشيخُ مراد خواجه صالحي نائبًا لرئيس الإدارة الدينية ، والشيخُ ضياءُ الدين خان بن إيشان باباخان أمينًا مسئولاً وكان آنذاك قد بلغ الخامسةَ والثلاثين من العمر . وأصدر المؤتمر قرارًا بتأسيس ممثليه للإدارة الدينية في كل من الجمهوريات الخمس في المنطقة . . . »[1].

(١) المفتي شمس الدين خان (المفتي ضياء الدين خان وتراثه الفكري) ٣١ .

إن استمالةَ السلطات السوفيتية لأولئك العلماء يهدف إلى :

* **أولاً** : دعم ومساندة المجهود الحربي للدولة البلشفية في حربها ضد الألمان خلال الحرب العالمية الثانية ، وفي ذلك يقول رئيس الإدارة الدينية : « كان من الطبيعي أن تُركِّز الإدارةُ الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان - التي تأسست في معمعة الحرب الوطنية العظمى - كافة جهودها الأساسية على النضال العام للشعب السوفيتي المتعدد القوميات ضد المحتلين الهتلريين . . »[1] .

* **ثانيًا** : تحسين صورة الاتحاد السوفيتي السابق في الخارج ، حيث يقوم المفتي وأعضاء الإدارة الدينية باستقبال الوفود القادمة من العالم الإسلامي ، وعرض أحوال المسلمين هناك من وجهة نظر رسمية لاتخلو من تزييف الحقائق والتلفيق ، ومثال ذلك ماحدث مع شيخ الأزهر سنة ١٣٩٠هـ (١٩٧٠م) ، حيث قام الشيخ محمد محمد الفحام بزيارة لمدة أسبوعين إلى الاتحاد السوفيتي السابق ، فاستقبله أعضاءُ الإدارة الدينية ، ثم بعد عودته أدلى بحديث صحفي لمراسل مجلة «روزاليوسف» المصرية ، فقال : « أرى أن الإسلام في الاتحاد السوفيتي له مستقبلٌ ، وسوف يتطور ، فالمسلمون هناك يتمتعون بحرية كاملة ، فهم يمارسون أمور دينهم ، ويتمسكون بجميع التعاليم الدينية ؛ ويتجه الحجّاجُ من الاتحاد السوفيتي إلى الديار المقدسة سنوياً . . . »[2] .

* **ثالثًا** : التغطية على جرائم السلطات الشيوعية ، ومصادرتها

---

(١) المفتي شمس الدين خان (المفتي ضياء الدين خان وتراثه الفكري) ٣٢ .

(٢) شوكت برهانوف ، وآخرون (السلطة السوفيتية والإسلام) ٢٩ .

لحريات المسلمين ، وفي ذلك يقول المفتي ضياء الدين خان : « إن مسلمي الاتحاد السوفيتي يُطبّقون التعاليمَ والشعائر الإسلامية بالضبط ، طبقًا لما جاء في القرآن الكريم ؛ ومما يساعد على ذلك حرية المعتقد التي يكفُلها الدستورُ السوفيتي للمسلمين »[1] .

* **رابعًا** : الدفاع عن مباديء الاشتراكية ، والدعوة إليها من خلال أصوات إسلامية ، بل وتمثل القيادة الدينية ، وهذا واضح لكل مُطّلعٍ على ما أصدرته الإدارةُ الدينيةُ لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان ، أو ماكتب ممثلوها ، وفي ذلك يقول المفتي ضياء الدين ، وتحت عنوان « الإسلام والتقدم الاجتماعي » كتب يقول : « عندما نلتقي مع القادمين من الغرب ، نسمع عادة مثلَ هذه الأسئلة : لماذا تقبل المسلمون السوفيت مباديء الاشتراكية بهذه السرعة ؟ . . لكي تكون الأجوبةُ صائبةً ينبغي مقارنة المباديء الأخلاقية الاجتماعية الأساسية للإسلام ، مع مباديء الاشتراكية العلمية ؛ إذ أن هذه المقارنة تؤدي بنا إلى نتيجة أن مباديء الإسلام والاشتراكية العلمية تتشابهُ في كثير من الحالات ، وتتقارب مع بعضها في كثير من المواقف » . ثم يقول بعد ذلك : « وإذا أجرينا مقارنة بين أقوال علماء الدين اعتمادًا على القرآن الكريم وبين أسس التعاليم الاشتراكية فسوف لانجد اختلافات أساسيةً بين الاثنين »[2] .

* **خامسًا** : الدفاع عن سياسات لينين نفسه تجاه المسلمين ، والإشادة به وبمبادئه ، يقول المفتي « ضياء الدين خان » : « لقد لعب فلاديمير ايليتش

(١) المفتي ضياء الدين خان (الإسلام والمسلمون في البلاد السوفييتية) ١٣٤ .
(٢) المصدر السابق ، ١٣٩ ـ ١٤٢ .

لينين دورًا عظيمًا للغاية في إرساء صداقة شعوب بلادنا العظمى ، وصار أصدق صديق لشعوب الشرق »[١] ويضيف « . . وقد اهتم فلاديمير لينين - كاهتماماته الأخرى - بشئون المسلمين في بلادنا بشكل جدّي وبتحقيق آمالهم ، وبادر لمنح كادحي الشرق السوفيتي ومسلمي روسيا حقوقهم الكاملة ، وتلبية مطالبهم ، وإنشاء حكوماتهم القومية ، وإحياء تراثهم وازدهار ثقافتهم » ، ثم يضيف أيضًا : « لقد انتصرت المباديء اللينينة ، وشكلت الشعوب الإسلامية في أوزبكستان وقازاقستان ، وأذربيجان ، وقرغيزيا ، وطاجكستان وتركمانيا ، جمهورياتها المتحدة المتساوية مع الجمهوريات الأخرى في بلادنا ، والتي تتمتع بكامل الحقوق . . . »[٢] .

ويلخص أحد القيادات الدينية المتعاونة مع السلطة السوفيتية مراحل تطور تعاون الفريقين فيقول :

« إن خبرة تعاون رجال الدين[٣] الإسلامي مع السلطة السوفيتية على امتداد خمسة وستين عامًا تُبين أنه مرَّ بعدة مراحل غيرمتساوية في تطوره .

فإذا ما كانت السلطة السوفيتية قد حظيت أساسًا في باديء الأمر بتأييد ذلك الجانب من رجال الدين الإسلامي ، الذي كان قريبًا بوجه خاص من فئات المسلمين الكادحين ، ففي أواخر الثلاثينات فَهم رجالُ الدين الإسلامي السلطةَ السوفيتيةَ وأيَّدوها ، وترسّخ تعاونُ رجال الدين الإسلامي مع السلطة السوفيتية بوجه خاص في سنوات الحرب الوطنية العظمى حيث

---

(١) المفتي شمس الدين خان (الإسلام والمسلمون في البلاد السوفيتية) ١٥٧ ، ١٥٨ .

(٣) هذا التعبير « رجال الدين » دخيل على الإسلام ، حيث لايوجد في الإسلام هذا المسمى ، وإنما يوجد مسمى « العلماء » .

كانت بلادنا كلها تمر بمحنة رهيبة »[١] .

ومن الواضح أن هذا الكاتب لا يعبأ بالحقائق التاريخية ، فهل حظيت السلطة السوفيتية في بادئ الأمر بالتأييد أم المقاومة المسلحة والثورات ، كثورة «البصمتشية » ، وثورة علماء وادي فرغانة وغيرها . .

ثم يضيف الكاتب : « في فترة مابعد الحرب ، نجد أن مواقفَ رجال الدّين الإسلامي وأجهزة الدولة السوفيتية متطابقة تمامًا في كافة المسائل المبدئية الجذرية في وقتنا المَعاصر »[٢] !! .

(١) و (٢) شوكت برهانوف (السلطة السوفيتية والإسلام) ٥٣ .

الفصل الأول

المبحث الثالث

وسائل المسلمين في الحفاظ على دينهم

وفيه خمس وسائل ، كما يلي :

الوسيلة الأولى : المقاومة المسلحة للغزاة الروس .

الوسيلة الثانية : ممارسة التعليم سراً (أسلوب الحجرات) ، والمحافظة على اللغة العربية .

الوسيلة الثالثة : المحافظة على الشعائر الإسلامية .

الوسيلة الرابعة : المحافظة على الأسرة ، والمرأة المسلمة ، وعدم الاندماج مع الروس .

الوسيلة الخامسة : الاستفادة من هامش الحرية الضيق .

الوسيلة الأولى : المقاومة المسلحة :

لم تكن المقاومة الجهادية المسلحة وليدة العهد الشيوعي ، إذ كانت رد فعل طبيعي لحملات الإبادة القيصرية ثم البلشفية ، فقد قامت في التركستان ست عشرة ثورة ابتداءً من عام (١٣٠٥هـ - ١٨٨٥م) ، وكان من أهمها ثورة القبائل الرحل التي انفجرت عام (١٩١٦م) ، إذ كانت الشرارة الأولى للثورة العُظمى التي شملت كل التركستان تقريبًا ، والتي امتدت من سنة ١٣٣٧هـ (١٩١٨م) حتى سنة ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) ، وعرفت باسم « ثورة البصمتشية »[١] .

لقد كان وادي فرغانة هو المحضن والمنطلق لتلك المقاومة الجهادية المسلحة ، فقد وجه قادة المجاهدين نداء « البصماتش » في فرغانة إلى شعب تركستان ، ومما جاء فيه : « . . إذا لم تتخذوا التدابير لإعاقة هذا الدنس ، فسوف ترتدون عن عقيدتكم التي دامت قرونًا طويلة ، وسوف تنسون دينكم وقوميتكم وتاريخكم ، وسوف تكونون مسؤولين أدبيًا عن هذه الجريمة . . »[٢] .

وبالرغم من حملات الشيوعيين لتشويه صورة المجاهدين ، والزعم بأنهم يتلقون مساندة خارجية أمريكية وبريطانية[٣] ، فإن « ثورة البصمتشية »

---

(١) د. محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ١٢٤ - ١٢٥ - باختصار - ، وانظر تعريفًا لهذه الكلمة في ص ٨٧ .

(٢) شوكت برهانوف ، وآخرون (السلطة السوفيتية والإسلام) ١٩ .

(٣) انظر : المرجع السابق ، ١٨ .

قد حققت نجاحات كبيرة في وادي فرغانة وغيره ، وانضم إليهم العلماء وزجال الطرق الصوفية [١] ، والشباب والأشراف والفلاحون ، وكان الفلاحون يزودون المجاهدين بالمواد الغذائية ، والخيل ، والسلاح ، وبأخبار وتحركات القوات السوفيتية [٢] .

ونجح المجاهدون في الاستيلاء على كل منطقة فرغانه ، واستطاعوا في خريف عام (١٩١٩م) تأسيس حكومة للمنطقة ، ووضعوا في كل قرية رئيسًا ، وأقاموا الحكم بين الناس بالعدل فاختفى اللصوص ، وقطاع الطرق [٣] .

وعلى الرغم من شجاعة قواد الثورة ، وحبهم للموت في سبيل الله ، أمثال : « مير عالم خان » ، و « إبراهيم بك » ، إلا أن قلة العدة والعتاد في أيديهم لم تجعل الحرب بينهم وبين القوات الروسية متكافئة ؛ ولقد أبلى «إبراهيم بك » بعد رحيل « مير عالم خان » إلى كابل بلاء عظيمًا في قتال الروس ، لكن القوات الروسية كانت أكثر عددًا وأقوى عدة مما أدى إلى هزيمة المجاهدين .

---

(١) الصوفية : حركة دينية انتشرت في العالم الإسلامي عقب اتساع الفتوحات وازدياد الرخاء الاقتصادي كردة فعل مضادة للإنغماس في الترف الحضاري ، مما حمل بعضهم على الزهد الذي تطور بهم حتى صار لهم طريقة مميزة معروفة باسم « الصوفية » إذ كانوا يتوخون تربية النفس والسمو بها بغية الوصول إلى معرفة الله بالكشف والمشاهدة لا عن طريق التقليد أو الاستدلال ، لكنهم جنحوا في المسار بعد ذلك حتى تداخلت طريقتهم مع فلسفات هندية وفارسية ويونانية مختلفة . (انظر : الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة ، ٣٤١) .

(٢) انظر : د. محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية . .) ١٢٦ .

(٣) المرجع السابق : ١٢٦ ـ بتصرف ـ .

عاود « إبراهيم بك » جمع قواته وتنظيمها مرة أخرى، ثم هاجم القوات الشيوعية بجيش قوامه (١٠,٠٠٠) مجاهد ، وينتصر ويخلص من أيديهم القرى المسلمة التي كانوا قد استولوا عليها ، ثم يتقدم إلى محافظتي « كولاب وبلجران » ويحرر مدن وقرى هاتين المحافظتين ، ثم يتقدم إلى « قرا » ويفتح « اليكتين ودرواز »[1] .

لقد جعلت كل هذه الانتصارات التى أحرزها « إبراهيم بك » أمير بخارى يجهز جيشاً قوامه (١٥,٠٠٠) مجاهد، بقيادة « ملا عبدالقهار » من كابل ، ويبعث به لدعم جيش « إبراهيم بك » ؛ وتعلقت آمال المسلمين في كل آسيا الوسطى بجهاد « البصمتشية » ووقوفهم الصلب في وجه المعتدين الروس .

وعلى الرغم من شجاعة المجاهدين وصمودهم إلا أن صفوفهم كانت تحتاج إلى تنظيم ، وكانوا في حاجة إلى قائد محنك يوحد صفوفهم ، ويصفي الضغائن والأحقاد التي أوجدها جواسيس الشيوعيين بينهم ، فكثيراً ماكانت تحدث بينهم خلافات على مسائل فرعية صغيرة تتطور في بعض الأحيان إلى ثارات عرقية جاهلية ؛ ونتج عن هذه الخلافات والمنازعات أن استقل كل قائد بجيشه وفرقته ، بحيث لايقدم الدعم والعون للجيش الآخر إذا احتاج إليه[2] !

---

(١) د. محمد عبد القادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية . .) ١٢٧ .

(٢) د. محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية . .) ١٢٧ ـ بتصرف ـ .

وتعلقت آمال المسلمين « بأنور باشا »[١] ناظر الحربية في تركيا أثناء الحرب العالمية الأولى ، فنصبوه قائدًا عامًا على المجاهدين وبدأ بإمكاناته البسيطة في تنظيم صفوف المجاهدين ، وبنى مصنعًا لصنع الرصاص ، وسلح المجاهدين بأسلحة جديدة أحدث مما في أيديهم .

وكانت بداية دخول « أنور باشا » إلى « البصمتشية » عن طريق أمير بخارى الذي كتب إلى قواد المجاهدين يقدم لهم أنور باشا ويدعوهم إلى تسليم راية القيادة له ، فقد كتب إلى « إبراهيم باشا » قائد « البصمتشية » يقول : « أبعث إليكم أنور باشا صاحب التدبير الحربي ، والتمرس في فنون القتال ، وعليكم أن تقلدوه القيادة إن كنتم ترغبون في الانتصار على الشيوعيين ، والسعي حقًا لخدمة الملة الإسلامية ، وهو كفيلي في خدمة المسلمين »[٢] .

تولى « أنور باشا » قيادة المجاهدين ، وأسرع في تنظيم صفوفهم ، ونجح في إتمام ذلك في شهرين في مناطق فرغانة وسمرقند وخيوه . وقام بتعليم المجاهدين ، وتدريبهم تدريبًا جيدًا وفقًا للنظم والفنون الحربية الحديثة .

ويصلي « أنور باشا » مع جنوده صلاة العيد ، ويخطب خطبة يحث فيها جنوده على الدفاع عن العرض والوطن والدين ، وتقع الحرب في هذا

(١) أنور باشا : قائد تركي عاش في الفترة (١٨٨٢ - ١٩٢٢م) ، وزير الحربية لعام ١٩١٤هـ شكل مع (طلعت) و (جمال) مثلثا نافذًا في الحكم ، وقاد جيوش القفقاز والدردنيل ، ضد الروس ، اغتيل في سمرقند عام ١٩٢٢ ، (انظر : المنجد في الأعلام واللغة ، ٧٩) .

(٢) د . محمد عبدالقادر أحمد (الجمهوريات الإسلامية في الاتحاد السوفيتي بين الماضي والحاضر) ١٢٩ - بتصرف - .

أقل من (٢٠٪) من مستوى ما قبل الحرب ، وتقلص عدد المنشآت العاملة إلى النصف ، وانخفض تعداد الطبقة العاملة بمقدار (٦٥٪) ، واضطر كثير من العمال إلى ممارسة الحرف اليدوية أو الزراعية ، وتقلصت مساحات الأراضي الزراعية المروية إلى (٦ , ٤٧٪) بالمقارنة إلى مستوى ما قبل الحرب »[1] .

ولما لم تفلح هذه الوسيلة في رد المعتدي الشيوعي ، بسبب التفاوت الكبير في العدد والعتاد ، وبسبب بذور الشقاق والنزاع ، التي زرعها العدو في صفوف المسلمين ، سلك المسلمون طرقًا أخرى من أجل الحفاظ على هويتهم وهوية أبنائهم من الذوبان والضياع .

---

(١) شوكت برهانوف ، وآخرون (السلطة السوفيتية والإسلام) ١٩ .

الوسيلة الثانية : ممارسة التعليم سراً (أسلوب الحجرات) ، والمحافظة على اللغة العربية :

يعود الفضل - بعد توفيق الله تعالى - إلى جهود قلة من العلماء والدعاة والأئمة ، في بقاء جذوة الإسلام متقدة في نفوس الناس إلى اليوم رغم سنوات الشيوعية العجفاء ؛ فقد قاوم أولئك العلماء وسائل طمس الهوية المسلمة بأسلوب عملي ، وهو أسلوب التعليم سراً أو ما يطلقون عليه أسلوب «الحجرات» ؛ والحجرات هي تلك الغرف في المساجد والبيوت ، والبعيدة عن أعين السلطان ، والتي كان يلزمها الطلاب لتلقي العلم الشرعي لعدة شهور أو لعدة سنوات لا يخرجون منها إلا لضرورة .

والشيخ عبدالحكيم مرغلاني [1] من أوائل أولئك العلماء الذين اتبعوا هذا الأسلوب للحفاظ على الهوية ، يقول الشيخ مبينًا بداية العمل بأسلوب الحجرات : « قبل الثلاثينات من هذا القرن كان هناك بعض الحرية في أداء شعائر الدين والعقيدة ، ثم جاء ستالين فأغلقت المدارس ، وقُتل العلماء في عهده . . ، وقد سمعت من بعض العلماء أنهم ابتدؤوا بتعليم الشباب المسلم في الحجرات عام ١٣٥٤هـ (١٩٣٦م) » [2] .

ولقد تعلم كثير من علماء اليوم في الحجرات ، خلال فترة الحكم

(١) انظر ترجمته ص٢١٥ من هذا البحث .

(٢) ذكر الشيخ عبدالحكيم ذلك للباحث عندما زاره في منزله بمدينة مرغلان في شهر ربيع الثاني من عام ١٤١٥هـ (أكتوبر ١٩٩٤م) .

الشيوعي، كالشيخ « عابد خان »، والشيخ « يحيى بن إسماعيل » ، والشيخ « معمور بن منصور » ، والشيخ « عبدالأحد انديجاني » والشيخ « عبدالولي نامنجاني » وغيرهم كثير ، كما أن البعض منهم جمع بين التعليم في « الحجرات » والتعليم الرسمي بمدرسة « مير عرب » و « معهد الإمام البخاري » ، يقول الشيخ « عابد خان » : « درست في الحجرة خلال مرحلة التعليم الثانوي ، فقد كنت أتردد على بيت أستاذي سراً ، نتعلم قراءة القرآن وتجويده ، وبعد أن نحفظ جزأين من القرآن نتجاوزه لدراسة اللغة العربية ، ثم كتب النحو ، ثم الفقه . . لقد درست عند شيخ واحد التزمت معه ، ثم سافرت إلى طشقند حيث التحقت بمعهد الإمام البخاري » .

ولدى سؤال الباحث للشيخ « يحيى إسماعيل بن عثمان » عن الطريقة التي كانوا يعلّمون فيها أبناء المسلمين ، خلال العهد الشيوعي ، أجاب قائلاً : « يتم ذلك بسرية تامة في « الحجرات » وفي البيوت ، وقد كان لأبي عشرة طلاب حفظهم القرآن الكريم سراً ، وهذا ابن أختي أخذ عن أبي، وأخي، وهو يعمل الآن إمامًا في مسجد « أوش » حيث إنه يحفظ القرآن كاملاً » .

ولم يكن التعليم في الحجرات على وتيرة واحدة في عموم جمهورية أوزبكستان ، ففي الوقت الذي كانت فيه الحجرات كثيرة في مدن وادي فرغانه [1] فإنها كانت تقل بشكل واضح في مدن سمرقند وبخارى ، وفي العاصمة طشقند ، ويعود السبب في ذلك إلى التركيز الإعلامي والأمني من قبل السلطات على هذه المدن لأهميتها . يقول الشيخ « معمور بن

(١) مدن وادي فرغانة هي : أنديجان ، ونامانجا ، وميرغنان ، وخوقند ، وفرغانة .

منصور » الذي يسكن سمرقند : « خلال الثمانينيات كان أكثر من عشر حجرات ، أما قبل ذلك فلم تكن عندنا حجرات ـ على حد علمي ـ وكان الطلاب يسافرون إلى وادي فرغانة لأخذ العلم ، ومن الشيوخ الذين يدرسون عندنا مثلاً : الشيخ محمد خان من مدينة شهرسبس وتبعد عن سمرقند (٧٠) كيلو مترًا » .

ويبدو أن المواد العلمية والكتب التي تدرس في الحجرات لم تكن متشابهة دائمًا ، ويعود ذلك إلى المستوى العلمي للشيخ والتلاميذ ، ومايتيسر لديهم من كتب ؛ فكثير من الأحيان يتقاسم مجموعة من الطلاب الكتاب الواحد ؛ لأنهم يجدون صعوبة بالغة في الحصول على الكتب [١] .

ويكشف أحد الطلاب الدارسين في تلك الحجرات بمدينة انديجان شيئًا من التفصيل فيقول : « تكثر الحجرات عندنا هنا ـ ولله الحمد ـ ويقصدها الطلاب من كل بلاد أوزبكستان ؛ لتعلم العلم الشرعي ، والقرآن ، والسنة ، والحديث ، والصرف ، والنحو ، وهذه الحجرات يقفها بعض الناس ، حيث يخصص حجرةً أو اثنتين بجانب منزله ليقوم عليها شيخ بالتعليم ، أو تكون في منزل الشيخ نفسه ، ثم يأتي الطلاب فيسكنون ويتعلمون فيها من خمس إلى ست سنوات ، لايخرجون منها إلا لضرورة ، وفي الصيف يذهبون لزيارة أهلهم ، وبعض الأحيان يكون الشيخ موظفًا للدولة أو تاجرًا ، فيأتي الحجرة قبل الفجر أو بعد العشاء حتى لايشعر به أحد ، وربما نذهب نحن إلى بيته خفية قبل الفجر ، ونأخذ عنه العلم » [٢] .

---

(١) ذكر للباحث ذلك الشيخ « عبدالولي انديجاني » عندما زاره في شهر جمادى الأولى من عام ١٤١٥هـ (نوفمبر ١٩٩٤م) .

(١) ذكر ذلك للباحث بعض طلاب الحجرات في مدينة أنديجان عندما زارها في شهر ربيع الآخرة من عام ١٤١٥هـ (أكتوبر ١٩٩٤م) .

ويعرض أحد الطلاب الذين التقى بهم الباحث صورة يوم في الحجرة فيقول : « عادةً يستيقظ الطلاب قبل الفجر يقرؤون القرآن الكريم إلى الفجر ، ثم يؤدون الصلاة جماعة ويصلي بهم أحفظهم ، ثم يفطرون على الخبز والشاي وبعض الأحيان معه سكر ، بعد ذلك يحضّرون دروسهم ويذاكرون والبعض منهم يقرأ القرآن . وفي الضحى قد ينام بعضهم ساعة أو ساعة ونصف الساعة والبعض الآخر ربما ينظف المكان، وبعد صلاة الظهر يأتي الشيخ ويلقي درسًا ـ وهذا يكون حسب ظروفه ـ لأن الشيخ عادة يعمل في الحكومة ، فإذا انتهى من عمله يمر فيعطيهم درسًا ثم يذهب إلى بيته ؛ وبعد ذلك قد يحضر بعضهم طعام الغداء أو يكون صاحب البيت قد حضّر لهم ذلك ـ على حسب الظروف ـ ، وبعد العصر يمارسون بعض التمارين الرياضية في فناء الحجرة ، ولايخرجون من البيت فهم غرباء ، وغالبًا مايكونون من مدن أخرى غير مدينتهم حتى ينقطعوا للعلم ؛ وبعد المغرب يراجعون دروسهم ، ثم بعد العشاء يعطيهم الشيخ درسًا ثم ينامون مبكرًا كي يستيقظوا مبكرًا جدًا قبل الفجر ، ليذهبوا إلى بيت الشيخ ، وهكذا . . . »[1] .

ولم يكن هؤلاء التلاميذ الصغار بعيدين عن ملاحقة السلطات البلشفية ؛ ولذلك فقد كان الطلاب في حذر دائم ويستخدمون كل وسائل الحيطة المتاحة لهم ، وفي ذلك يقول أحدهم : « كانت مسألة الدخول والخروج من وإلى الحجرة مشكلة بالنسبة لنا ، فإذا أردنا أن نخرج فتحنا الباب ونظرنا في الجانب الأيمن والأيسر ، وإذا ما تأكدنا من خلو الطريق من

(١) ذكر ذلك للباحث بعض طلاب الحجرات في مدينة أنديجان عندما زارها في ربيع الآخرة من عام ١٤١٥ هـ (أكتوبر ١٩٩٤م) .

المارة خرجنا . . ، أما إذا كان في الطريق أحد امتنعنا من الخروج ؛ لقد حدث أن وقع بعض الطلاب في مشاكل مع السلطات ، وكانوا يسألونهم : عند مَنْ تدرسون ؟ لذا فنحن نأخذ بالحيطة دائمًا » ويضيف أيضًا : « إذا طرق البابَ طارق نظرنا من النافذة ، فإذا كان الأستاذ فتحنا ، وإذا كان شخصًا غريبًا هربنا من باب صغير خلفي ، أعددناه لهذه الغاية ، ويأخذ كل منا أمتعته القليلة بسرعة ، وقد حدث مثل ذلك كثيرًا »[1] .

وبالرغم من كل تلك الصعوبات والعوائق ، فإن هؤلاء التلاميذ يصرون على مواصلة التعلم في الحجرات التي لا يأخذون فيها العلم فقط ، بل ويتلقون التربية الإيمانية والأخلاقية أيضًا ويتعلمون الصبر والإيثار والمودة ، فلقد كانت الحجرات ـ ولاتزال ـ مدرسة إيمانية ، تربوية ، علمية .

أما المحافظة على اللغة العربية ، فإن منطقة التركستان قد عرفت العربية منذ الفتح الإسلامي ، وبعد أن دخل الناس في دين الله أفواجًا ، حيث نشط الدعاة في تعليم الناس لغة القرآن ، وظلت العربية لغة العلم والبيان ، تكتب بها الكتب وتؤلف بها المؤلفات ، بجانب بعض اللغات المحلية ، وما إن قامت ثورة البلاشفة وسيطرت على المنطقة حتى منعت تدريس اللغة العربية أو التحدث بها باعتبارها وسيلة من وسائل محاربة الدين الإسلامي ، إذ أن العربية مفتاح فهم القرآن وعلوم الشريعة الأخرى .

وعلى الرغم من تضييق الخناق على لغة القرآن فإن البلاشفة لم يستطيعوا القضاء عليها في المجتمع الأوزبكي ، حيث ظل كثير من الناس يتعلمونها من خلال التعليم السري (الحجرات) . يقول الشيخ عابد

(١) ذكر ذلك للباحث بعض طلاب الحجرات في مدينة أنديجان عندما زارها في ربيع الآخرة من عام ١٤١٥ هـ (أكتوبر ١٩٩٤م) .

خان [١] : « خلال المرحلة الثانوية ـ وقد كنت في المدرسة الحكومية ـ كنت أتردد على بيت شيخي « محمد خان » ـ رحمه الله ـ ، وبعد أن حفظت جزءين من القرآن ، تجاوزت ذلك لدراسة اللغة العربية ، فدرست أولاً كتب « الشفاهية » [٢] ثم النحو وكتب اللغة الأخرى . . » .

كما أسهمت مدرسة « مير عرب » التي تشرف عليها الإدارة الدينية في الحفاظ على لغة القرآن ، ولدى سؤال مدير المدرسة السابق [٣] عن المواد العلمية التي كانت تدرس بالمدرسة ، أوضح الشيخ أن تعليم اللغة العربية يأتي في طليعة تلك المواد .

---

(١) التقى به الباحث في مسجده بمدينة طشقند في شهر ربيع الآخره ١٤١٥هـ (سبتمبر ١٩٩٤م).

(٢) وهي كتب يتعلمون من خلالها طريقة نطق الحروف العربية .

(٣) وهو الشيخ عوض خان بن حيدر .

الوسيلة الثالثة : المحافظة على الشعائر الإسلامية :

لاشك أن المحافظة على الهوية الإسلامية لا تتأتى إلا من خلال الحفاظ على شعائر الإسلام من الصلاة والصيام والزكاة والحج لمن استطاع إليه سبيلاً، لأنها الأركان التي بني عليها الإسلام [١] ، والصلاة أهمها وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة [٢] ، وقد أدرك الشيوعيون ذلك فقاموا بهدم المساجد فور سيطرتهم على بلاد المسلمين ، كما أنهم قد سخروا كل إمكاناتهم في محاربة شعائر الإسلام الأخرى والسخرية منها ، ومنعوا أداءها في المكاتب الحكومية ، والمدارس ، والمصانع ، وجميع المرافق[٣] .

وصار كثير من المسلمين يمارسون شعائر دينهم بشكل سري في منازلهم، وكان البعض منهم يجاهر بها بالرغم من العقوبات التي كان ينالها من البلاشفة ، ومن أولئك الشيخ « فولاذ » الذي كان يسكن في محلة آركوت بالقرب من سمرقند . يقول أحد تلاميذه وهو الشيخ محمد بن

---

(١) انظر حديث (بني الإسلام على خمس : شهادة أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، والحج ، وصوم رمضان) رواه البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري لابن حجر (١/ ٦٤ ، كتاب الإيمان الحديث رقم ٢ من حديث ابن عمر) .

(٢) ففي الحديث (إن أول ما يحاسب عليه العبدُ يوم القيامة من عمله صلاتُه . فإن صلحت فقد أفلح وأنجح ، وإن فسدت فقد خاب وخسر . . .) رواه الترمذي في سننه (٢/ ٢٦٩ ـ ٢٧٠ باب رقم ١٨٨) ورواه النسائي في سننه .

(٣) انظر تفصيل ذلك في المبحث الثاني من الفصل الأول (الوسيلة الرابعة : محاربة الشعائر الإسلامية) ص ١١٣ من هذا البحث .

طارونات [1] : « كان شيخي - أي الشيخ فولاذ - من المتأثرين بالثقافة الإسلامية ، ولم يكن ذا علم غزير لكن نشاطه كان قوياً جداً ، فقد وضع تحت التعذيب مراراً بسبب ذلك النشاط ، ففي إحدى المرات جهر بالأذان مناديا لصلاة الجمعة فاعتقل وأوذي ، ودفع للحكومة غرامةً مالية هي طنان سنويًا من الأرز والزبيب لمدة (١٢) اثنى عشر عاماً ، كما أنه سجن عدة مرات ومع ذلك فهو لم يسكت عن تبليغ دعوة الله إلى الناس ، ولم تكن دعوته في عمومها جهرية ، فقد كان في غالب الأحوال ينشط من خلال دعوة الأفراد وتعليمهم أمور دينهم ، وبفضل الله ثم بنشاط شيخنا لم يقبل الناس عندنا هنا حكم الشيوعية ، ولم تخرج النساء عاريات » .

وعندما التقى الباحث مع الشيخين عبدالسلام ومحمدي ، في منزل والدهما الشيخ عبدالحكيم مرغلاني [2] دار الحديث معهما عن شهر رمضان المبارك والصوم خلال فترة الحكم الشيوعي فبيّنا أن من أراد الصوم يصوم ، وكان أكثر الناس صياماً هم الشيوخ وكبار السن ، لكن الدعاية الحكومية كانت شديدة ضد الصيام ، أما صلاة التراويح فقد كانت تُصلى في المساجد - رغم قلتها - كما كانت تصلى في البيوت ، وكان هناك بعض الحرية في هذا الأمر . ثم يضيفان : كان بعض المفتين يفتون بجواز الفطر في الحر وقت الصيف ، خوفًا من الحكومة .

---

(١) التقى به الباحث في مزرعته بمحلة آركوت وهي تبعد عن سمرقند (٤٠ كم) تقريبًا ، في شهر ربيع الآخرة من عام ١٤١٥هـ (أكتوبر من عام ١٩٩٤م) .

(٢) كان ذلك في مدينة مرغلان بوادي فرغانة في شهر ربيع الآخرة من عام ١٤١٥هـ (أكتوبر من عام ١٩٩٤م) .

إذن كانت الشعائر الإسلامية رغم استهداف البلاشفة لها ومحاربتها بكل الوسائل تمارس من قبل المسلمين بشكل سري في غالب الأحوال خوفًا من بطش السلطات البلشفية ، إلا أن الدعاية الشديدة ضدها قد أثرت في بعض ضعاف الإيمان من المسلمين ، فانصرفوا عن القيام بشعائر دينهم .

الوسيلة الرابعة : المحافظة على الأسرة ، والمرأة المسلمة ، وعدم الاندماج مع الروس :

أدت الأسرة في المجتمع الأوزبكي وظيفة هامة في الحفاظ على كيان المجتمع من الانهيار في مستنقع الرذيلة ، كما كان لسلطات الأب ـ إذ أنه القيّم على الأسرة ـ الأثر الكبير في حفظ الهوية من الذوبان الذي أريد لها .

لقد سلكت السلطات البلشفية وسائل شتى في سبيل تحطيم نظام الأسرة ، فعمدت إلى العمل على كسر سلطة الأب لأنها تسهم في إعاقة صهر المسلمين في المجتمع الاشتراكي والسوفيتي ، كما حرصت على الإباحية تحت مسمى « تحرير المرأة » ، وعملت على محاربة الزواج المبكر وأسمته « زواج القاصرات » ، واستهدفت الحجاب والنقاب الشرعي الذي هو رمز العفة في المجتمع الأوزبكي ، ومنعت تعدد الزوجات منعًا باتًا لتحقيق مآربها ، وشنت حملة استهدفت التقاليد الإسلامية بشكل عام .

لقد ترك ذلك الاستهداف آثارًا في الجسد الإسلامي الأوزبكي ، لكنه لم يفت في عضده ، فمازالت الأسرة محافظة على كيانها ، ومازالت للأب سلطته ، كما أن المرأة المسلمة ـ بشكل عام ـ لاتزال محافظة على عفتها وحجابها يبدو ذلك جليًا في مدن مثل : نامنجان وأنديجان وفرغانة ، لكنه يقل بشكل ظاهر في مدن مثل سمرقند وطشقند لكونها أكثر استهدافًا ، ولوجود أعداد كبيرة من الروس والأوكران واليهود فيها .

كانت الأسرة خلال العهد البلشفي محضنًا يتلقى فيه الأبناء من آبائهم

وأمهاتم ومنذ نعومة أظفارهم التربية الإسلامية وشعائر الدين ، وربما تلقى الأبناء ـ في بعض الأحيان ـ العلم الشرعي بشكل شبه منتظم عن آبائهم أو أمهاتهم يدل على ذلك ما أوضحه بعض العلماء، فالشيخ ذكر الله بن عبدالملك قاري [١] ـ على سبيل المثال ـ الذي ولد عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) أخذ العلم عن أبيه منذ طفولته ، فوالده الشيخ عبدالملك قاري يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب .

وظلت الأسرة ـ بجميع أفرادها ـ بنيانًا متماسكًا في صرح المجتمع الأوزبكي المسلم ، وظلت لبناته متماسكة يشد بعضها بعضًا . تقول السيدة إقبال خان بنت إسماعيل عمر ، وهي من مواليد طشقند لعام ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) ، وتعمل الآن مديرة لمدرسة ضياء الدين هشام باباخان للبنات : « تلقيت التعليم في إحدى المدارس المتوسطة ، ثم تابعتُ العلم على يد أخي، ثم على يد زوجي ، الذي يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، ومن تلامذتي : ابني شرف الدين الذي يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب أيضًا، وابنتي التي تحفظ عشرين جزءًا من كتاب الله تعالى » [٢] .

لم يكن جميع الآباء أوالأمهات على مستوى جيد من العلم الشرعي ، لذا فقد عمد بعض الآباء إلى بعض المشايخ لتعليم أبنائهم ، إلا أن ذلك ليس صفة عامة ، بل نماذج لتلك الأسرة المحافظة التي حرصت على حفظ

---

(١) تم اللقاء به في مسجد ضياء الدين خان بمدينة طشقند ، بتاريخ ٧/ ١/ ١٤١٦هـ (٥/ ٦/ ١٩٩٥م) انظر ترجمته في المبحث الثاني من الفصل الثاني ص ٢٣٤ .

(٢) تم هذا اللقاء بمدرسة ضياء الدين للبنات بمدينة طشقند ، بتاريخ ١٠/ ١/ ١٤١٦هـ (٨/ ٦/ ١٩٩٥م) .

دينها، بيد أن شريحة ليست بالقليلة في المجتمع الأوزبكي تأثرت - بدرجات متفاوته - بمعاول الهدم الشيوعية ، وفي ذلك يقول الشيخ منصور بن معمور ، وهو من سكان سمرقند : « كان النساء في السبعينات من هذا القرن أكثر اهتماماً بالحجاب والاحتشام هنا في مدينتنا ، لكن هذا الأمر بدأ يقل بشكل تدريجي خلال الثمانينات ، فقد صارت النساء يقلدن الروسيات والفرنجة - أي الأوربيات - وينظرن إليهن نظرة الإعجاب . . . والآن يوجد عند البعض منهن حرص على الدين »[1] ، إلا أن الأمر يختلف في مدن أخرى كمدن وادي فرغانه حيث إن مظاهر الاحتشام والعفة تبدو واضحة .

وكما أدت الأسرة وظيفة هامة في الحفاظ على هوية المجتمع ، فإن عدم الاندماج مع الروس كان له الأثر الظاهر في ذلك أيضًا ، فمن المعلوم أن الروس قد استوطنوا المدن الهامة في أوزبكستان ، وكانت الأهداف الكامنة وراء توطين الروس في المدن الإسلامية كثيرة منها : صهر المجتمع المسلم بأولئك الروس ، ومحاربة الدين الإسلامي ، وإشاعة السفور والتعري والإباحية في الأوساط الإسلامية ، كما كانت تلك الأهداف ترمي إلى ضمان ولاء النخبة القيادية في البلد للمباديء الماركسية .

ظلت القوميات الإسلامية في أوزبكستان محافظة على ذاتها ، ولم تختلط بالقومية الروسية طيلة الحقبة الشيوعية البائدة ، وأوضح مؤشر على ذلك هو قضية الزواج ، فقبل الثورة البلشفية كان يحدث أن يتزوج مسلم من

---

(١) حل الباحث ضيفًا ثلاثة أيام عند الشيخ معمور بن منصور بمدنية سمرقند في شهر جمادى الأولى ١٤١٥هـ (أكتوبر ١٩٩٤م) .

روسية ، وهو زواج يجيزه الشرع [١] إن كانت المرأة من أهل الكتاب ، وكانت الفتاة ـ في أكثر الأحيان ـ تعتنق الإسلام ، أما زواج فتاة مسلمة من غير المسلم فإن الشريعة الإسلامية تحرمه تحريمًا قاطعًا ، وهو عمليًا غير قائم .

وعلى الرغم من أن زواج المسلم من روسية كتابية أمر جائز شرعًا، إلا أنه ينظر إلى من يقدم على هذا الأمر زمن الحكم الشيوعي على أنه منحط أخلاقيًا ، أما زواج فتاة مسلمة من شاب روسي فإنه أمر أندر من النادر، إذ بالإضافة إلى حرمته الدينية، فإنه يُعد خيانة للأسرة والوطن [٢] .

وخلاصة القول أن من أهم الأسباب التي حفظت المجتمع الأوزبكي، وجعلته متمسكًا بهويته بعد سنوات الشيوعية العجفاء الشديدة هو كيان الأسرة الذي ظل متماسكًا ، وأثر ذلك الكيان في تنشئة الأبناء ، بعيدًا عن مطارق الهدم البلشفية ، وتمايز المجتمع بعدم اندماجه مع الأقلية الروسية .

---

(١) الدليل على زواج المسلم من كتابية : قوله تعالى : ﴿ **اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حِل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن مُحصنين غير مسافحين ولا متخذي أخدان**﴾ سورة المائدة ، الآية (٥) .

(٢) تعريب د. إحسان حقي (المسلمون في الاتحاد السوفياتي) ٣٠٦ ، ـ بتصرف ـ .

الوسيلة الخامسة : الاستفادة من هامش الحرية الضيق :

تذكر بعض المصادر أن الدستور السوفيتي ، لايمنع حق أي فرد في إقامة الشعائر الدينية [١] ، ولكي تحسن روسيا صورتها فيما يتعلق بالحريات العامة، وحق كل إنسان في إقامة شعائر دينه ، فقد سمحت للمسلمين بإنشاء إدارة دينية تقوم على بعض شؤونهم الدينية ، كما سمحت بفتح بعض المساجد في المدن الهامة فقط ، وإن كانت هذه المساجد وروادها تحت الرقابة المستمرة، من قبل جهاز المخابرات المركزية المسمى (كي جي بي)، إذ لا يُسمح للشباب بارتيادها بشكل منتظم [٢] . والإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان التي تم إنشاؤها خلال الحرب العالمية الثانية لدعم المجهود الحربي للدولة السوفيتية ، صارت تشرف على مدرسة ميرعرب ببخارى ، ومعهد الإمام البخاري بطشقند [٣] ، وهما المدرستان الدينيتان الوحيدتان في عموم التركستان .

لقد أسهمت هاتان المدرستان في إعداد كوادر متعلمة علمًا شرعيًا ، لكنها لاتفي إلا بقدر ضيق من حاجة المسلمين في هذا الجانب ، ويذكر الشيخ عوض خان بن حيدر ، الذي عمل مديراً لمدرسة ميرعرب ، لمدة

---

(١) انظر : الكسندر بينيغسن، شانتال لوميرييه (المسلمون المنسيون في الاتحاد السوفيتي) ترجمة د. عبدالقادر ضللي ، ٢١٧ .

(٢) ذكر ذلك للباحث الشيخ عبادالله الذي التقى به خلال زيارته الأولى لطشقند في صيف عام ١٤١٢هـ ، (١٩٩٢م) .

(٣) عبدالله وهابوف (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) ، ٢٤ - بتصرف - .

عشرين عامًا فيقول : « كان عدد الطلاب في المدرسة (١٨٠) طالباً في البداية ، ثم في عهد خرتشوف أصدر قراراً بتقليل العدد إلى (٤٠) طالبًا ، وفي عهد برجنيف زاد العدد إلى (٦٥) طالبًا ، وقد خرّجت المدرسة بعض المشايخ الحفظة لكتاب الله الكريم ، أمثال الشيخ : رحمة الله ، مدير المدرسة كو كونداش ، والشيخ عبدالرشيد ، والشيخ محمد أمين ، والشيخ يحيى قاره ، وغيرهم »[١] . وقد خرّجت المدرسة أولَ دفعة من طلابها عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م)[٢] .

وتُصدر الإدارة الدينية مجلة « المسلمون في الشرق السوفيتي » بأربع لغات هي : العربية ، والأوزبكية ، والانجليزية ، والفرنسية[٣] ؛ والمجلة وإن كانت مكرسة لتحسين صورة الاتحاد السوفيتي ، والدفاع عن سياساته في الداخل والخارج ، إلا أنها تتضمن أيضًا بعض الموضوعات التي تساهم في توعية المسلمين داخل الاتحاد السوفيتي توعية دينية ، ومن تلك الموضوعات مثلاً : الفتاوى الشرعية ، وبعض أخبار المسلمين داخل الاتحاد السوفيتي السابق ، وبعض أحكام القرآن الكريم ، والتعريف ببعض الأئمة الأعلام ، وغيرها من الموضوعات[٤] .

---

(١) ذكر ذلك حيث تم اللقاء بمسجد يونس أباد في طشقند ، بتاريخ ٨/ ٦/ ١٩٩٥م .

(٢) عبدالله وهابوف (المسلمون في الاتحاد السوفيتي) ، ٢٦ .

(٣) المصدر السابق ، ٤٨ .

(٤) انظر : مجلة « المسلمون في الشرق السوفيتي » . إصدار الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان ، بطشقند .

الفصل الثاني

القائمون بالدعوة في جمهورية أوزبكستان بعد زوال السيطرة الشيوعية

تتعدد الجهود والجهات التي تقوم بواجب الدعوة إلى الله تعالى في أوزبكستان ، فالمؤسسات الداخلية والخارجية تقوم بجهود لا بأس بها - وإن كانت بحاجة إلى الترشيد ومضاعفة الجهود - ، كما أن للعلماء وطلبة العلم دورًا رائدًا ومباركًا .

ومن أجل الوقوف على جهود القائمين بالدعوة هناك رأى الباحث أن من المناسب تقسيم هذا الفصل إلى مبحثين هما : المؤسسات ، والأفراد . ثم تقسيم كل مبحث إلى مطلبين كما يلي :

- **المبحث الأول :** المؤسسات :

وفيه مطلبان : **المطلب الأول :** مؤسسات داخلية .

المطلب الثاني : مؤسسات خارجية .

- **المبحث الثاني :** الأفراد :

وفيه مطلبان : **المطلب الأول :** العلماء .

المطلب الثاني : طلبة العلم .

ـ المبحث الأول : المؤسسات :

المؤسسات : جمع مؤسسة ، وهي في اللغة ـ كما جاء في المعجم الوسيط ـ : كل تنظيم يرمي إلى الإنتاج [1] .

وهي تنقسم إلى مؤسسات داخلية ، ومؤسسات خارجية . على النحو التالي :

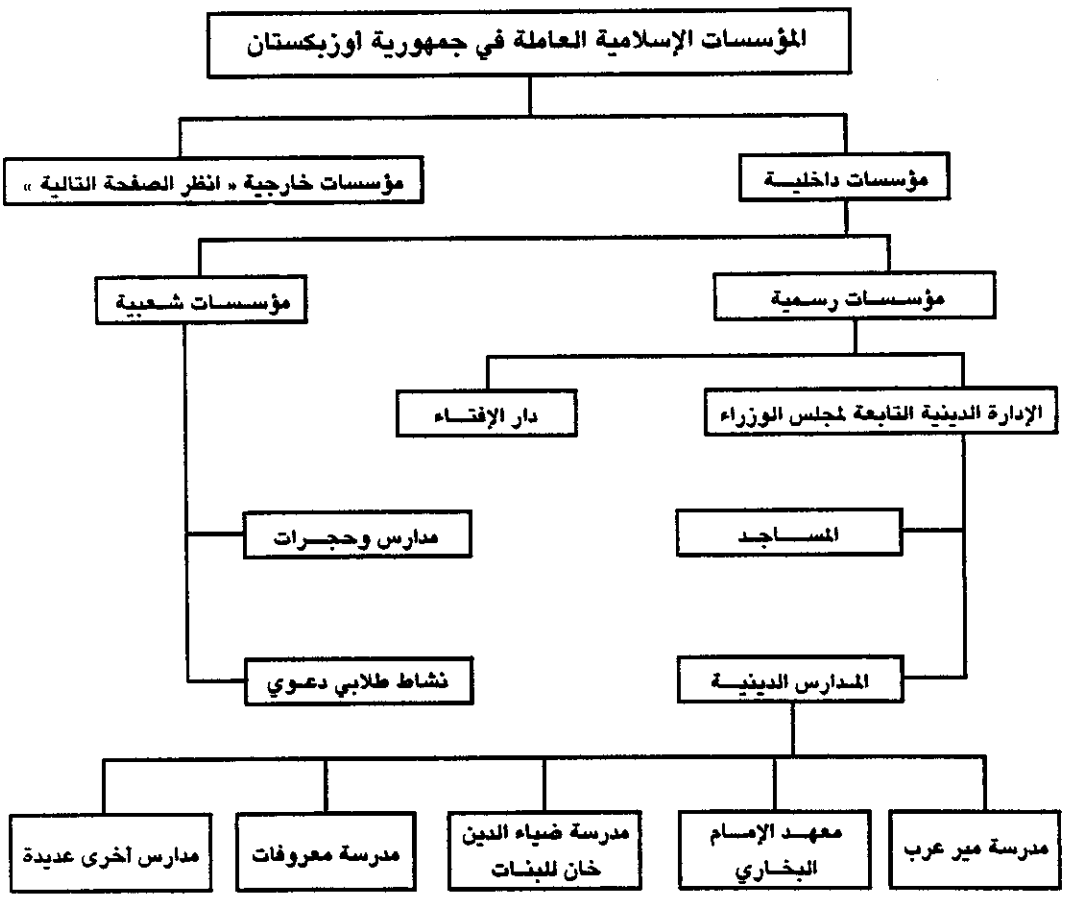

(١) المعجم الوسيط : ١/ ١٧ .

(*) مخطط هيكلي رقم (١) : المؤسسات الإسلامية الداخلية العاملة في جمهورية أوزبكستان .

- يتبع ما سبق -

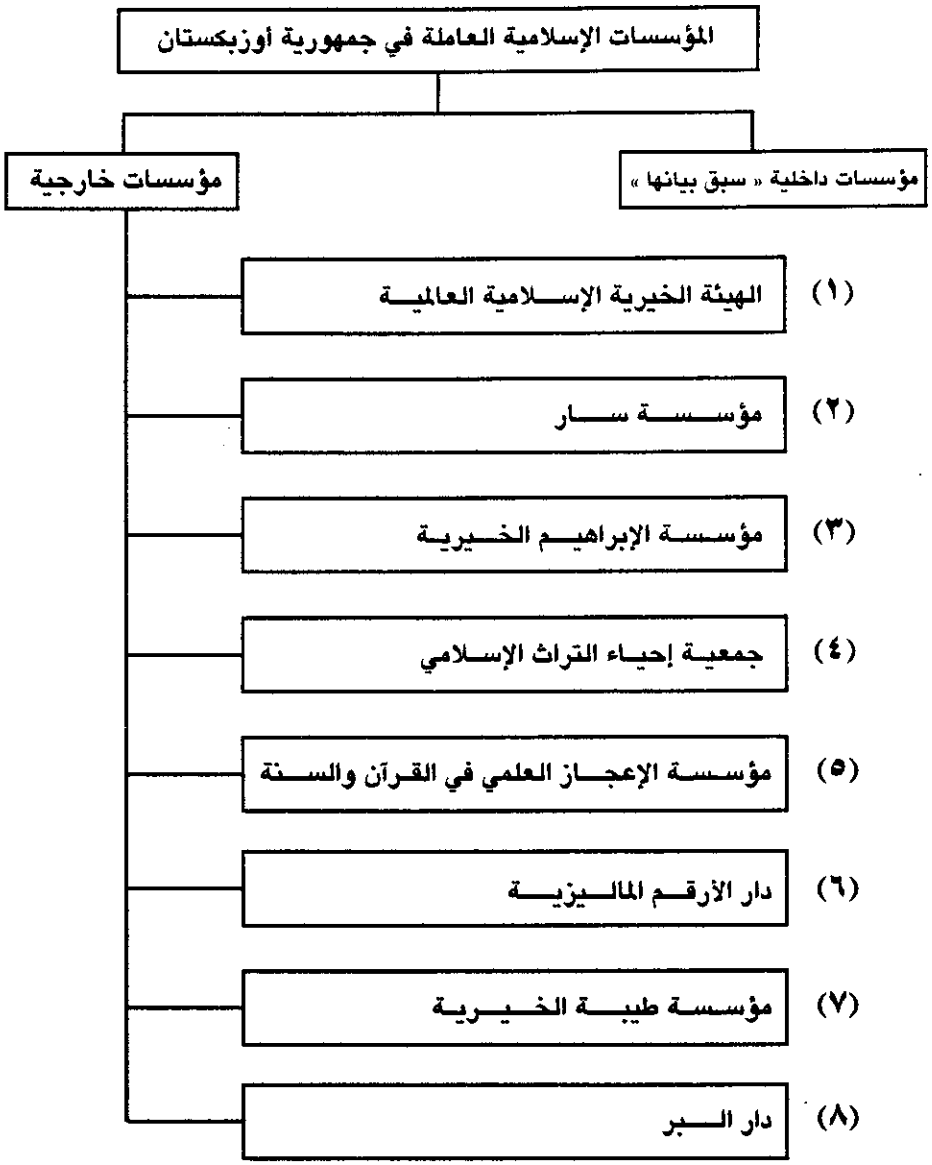
المؤسسات الإسلامية العاملة في جمهورية أوزبكستان
مؤسسات داخلية « سبق بيانها »
مؤسسات خارجية
(١) الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية
(٢) مؤسسة سار
(٣) مؤسسة الإبراهيم الخيرية
(٤) جمعية إحياء التراث الإسلامي
(٥) مؤسسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة
(٦) دار الأرقم الماليزية
(٧) مؤسسة طيبة الخيرية
(٨) دار البر

ـ المطلب الأول : المؤسسات الداخليـة :

وكمـا هو موضح في الهيكل البياني الأول فإن المؤسسات الداخلية تنقسم إلى مؤسسات رسمية وأخرى شعبية ، وسنعرض لكل واحدة منها بشيء من التفصيل ، فيما يلي :

أولاً : المؤسسات الرسـمية :

[أ] الإدارة الدينية التابعـة لمجلس الوزراء :

في ظل الاتحاد السوفيتي السابق كانت هناك أربع إدارات تشرف على شؤون المسلمين الدينية والذين يزيد عددهم عن (٦٠) مليون مسلم، وهذه الإدارات الأربع هي :

ـ الإدارة الدينية لمسلمي وسط آسيا وقازاقستان ، ومركزها طشقند .

ـ الإدارة الدينية لمسلمي شمال القوقاز ، ومركزها محج قلعة [١] .

ـ الادارة الدينية لمسلمي ماوراء القفقاس ، ومركزها باكو [٢] .

ـ الإدارة الدينية لمسلمي الجزء الأوربي وسيبيريا ، ومركزها أوفا [٣] .

ظلت هذه الإدارات مرتبطة مع بعضهـا ، وتمثل إدارة شـؤون المسلمين في عموم جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق [٤] .

وتشرف الإدارة الدينية لمسلمي آسيا الوسطى وقازاقستان على الشؤون

---

(١) محج قلعة : عاصمة جمهورية الداغستان التي لاتزال تحت السيطرة الروسية .

(٢) باكو : عاصمة جمهورية أذربيجان ، التي استقلت عن الاتحاد السوفيتي السابق .

(٣) أوفا : عاصمة جمهورية باشكيريا التي لاتزال تحت السيطرة الروسية .

(٤) المفتي شمس الدين خان (المفتي ضياء الدين خان وتراثه الفكري) ٩٠ ، ٩١ ـ باختصار ـ.

الدينية لمسلمي قازاقستان ، وأوزبكستان، وتركمانستان، وطاجيكستان ، وقرغيزستان ، وبقيت الأمور على ماهي عليه حتى استقلال هذه الدول ، ثم ظهرت الحاجة إلى إيجاد إدارة دينية مستقلة في كل دولة نالت استقلالها السياسي .

لذا تم إنشاء الإدارة الدينية التابعة لمجلس الوزراء ، أما الإدارة الدينية السابقة فقد تم تغيير مسماها إلى « دار الإفتاء » .

يقع مقر الإدارة الدينية التابعة لمجلس الوزراء بجانب محطة مترو حميد عليمجان في مدينة طشقند، ورئيسها هو الذي يبت في معظم الشؤون الهامة في المجال الديني ، وإليه يرجع المفتي في كثير من المسائل .

أما المسائل التي تشرف على تنظيمها الإدارة الدينية التابعة لمجلس الوزراء فهي :

- الإشراف على المساجد إشرافاً تاماً ، والسماح أو رفض فتح مساجد جديدة .
- تعيين الخطباء وأئمة المساجد وعزلهم .
- الإشراف على المدارس الشرعية ، وفتح مدارس جديدة .
- تنظيم شئون الحج والحجاج .
- دعوة الوفود الرسمية الدينية من الخارج ، والإشراف على إقامتهم .
- تنظيم المؤتمرات الدينية .
- الإشراف والاعتناء بالمزارات والأضرحة ، كضريح « بهاء الدين

نقشبند » في بخارى [١] .

- السماح بطباعة الكتب الدينية أو منعها .

- طباعة المصحف الشريف .

- السماح بتسجيل هيئات أو مؤسسات دينية ، أو رفضها .

- بث بعض البرامج الدينية في جهاز التلفاز أو المذياع .

- استقبال الدعم الحكومي الخارجي .

- دراسة العرائض والشكاوى التي تقدم من قبل المسلمين والتي تدخل ضمن صلاحية الإدارة الدينية ، والبت فيها .

- بالإضافة إلى بعض القضايا الأخرى .

وكما ذكرت آنفاً ، فإن الإدارة الدينية تشرف على المساجد والمدارس الشرعية ، ولأهمية هذا الأمر ، سيتحدث الباحث عن موضوع المساجد ، والمدارس الشرعية ، بشيء من التفصيل ، فيما يلي :

(أ) المساجد :

لاريب أن المسجد مؤسسة دعوية ذات تأثير فاعل على الناس ، فإمام المسجد هو مربي الأجيال إذا ما أحسن القيام بدوره ، كما أنه القدوة والأسوة التي يحتذى بها . ولقد ظهر في أوزبكستان أئمة وخطباء هم منارات علم وهداية ، منهم على سبيل المثال لا الحصر :

---

(١) وهذا من البلاء الذي تعاني منه أوزبكستان ، حيث يتم الاهتمام بتلك الأضرحة والمزارات رغم حرمة زيارتها . انظر تفصيل الحديث عن ذلك في المبحث الأول من الفصل الثالث ص ٢٥١ ، وكذلك في المبحث الأول من الفصل الخامس ص ٣٥٢، ٣٥٣ .

- الشيخ يحيى بن إسماعيل بن عثمان ، إمام جامع الترمذي في العاصمة طشقند ، حيث يشرف في مسجده على حلقة لتحفيظ الفتيان والشباب كتاب الله الكريم ، وقد أثمرت ثماراً طيبة .

- الشيخ عوض خان ، إمام مسجد يونس إباد .

- الشيخ عابد خان ، إمام وخطيب جامع طشقند « توختباي » .

- الشيخ عبدالأحد نامنجاني ، إمام مسجد نامنجان الجامع .

- الشيخ عبدالولي انديجاني ، إمام مسجد انديجان الجامع .

- الشيخ عبدالملك ، إمام مسجد ضياء الدين .

- الشيخ عبدالقادر خوجية ، إمام مسجد ميرزا يوسف .

- الشيخ ذاكر جان ، إمام مسجد المدينة القديمة .

- الشيخ عابد مؤمن ، إمام مسجد « شيفار عطا » .

- الشيخ ذكر الله عبدالملك قارئ ، نائب الشيخ عبدالملك قارئ في مسجد ضياء الدين .

- الشيخ سيف الله إمام ، نائب الشيخ عبدالملك قارئ في مسجد ضياء الدين .

- الشيخ طاهر جان ، نائب إمام مسجد طشقند الجامع « توختباي » .

- الشيخ مختار خان ، نائب إمام مسجد ميرزا يوسف .

- الشيخ مصباح الدين ، إمام مسجد « بارد سيز » .

وللمسجد أثره الهام والمميز في الوقت الراهن في جمهورية أوزبكستان، فلم يعد مجرد مكان تؤدى فيه العبادة فحسب ، ويمكننا استخلاص أثر المسجد فيما يلي :

- في المسجد تلقى أسبوعياً الدروس ، وخطب الجمعة .

- في كثير من المساجد تعقد حلقات علمية في أيام متفرقة .

- في المساجد تقام حلقات تحفيظ القرآن الكريم .

- في المساجد تتم رعاية النشء والحفاظ عليه .

- من المساجد يتخرج خطباء ودعاة .

- تقوم كثير من المساجد بمشاريع دعوية ، وإغاثية ، كمشاريع الأضاحي، ومساعدة الأسر المحتاجة والفقيرة .

- تقوم بعض المساجد بإرسال المجموعات الدعوية إلى القرى والأرياف .

- يعتبر المسجد الملتقى العام للمصلين وطلاب العلم الشرعي .

- تقيم كثير من المساجد دورات ومسابقات دينية وخاصة في شهر رمضان المبارك .

(٢) المدارس الدينية :

تشرف الإدارة الدينية على المدارس إشرافاً تامًا من حيث تحديد مناهجها العلمية ، واختيار المسئولين القائمين عليها ، واختيار الأساتذة

المعلمين فيها ، وغير ذلك ، وقد ازداد عدد تلك المدارس بعد زوال السيطرة الشيوعية ، كما ازداد عدد الطلاب في كل مدرسة ، ومن تلك المدارس :

(١) مدرسة « مير عرب » :

أسس هذه المدرسة رجل عربي مسلم ، وهو الشيخ عبد الله اليمني ، في القرن السادس عشر الميلادي ، ثم تبعه بعد ذلك الشيخ عبيد الله خان فزاد في بنائها وحسنه [١] .

كانت هذه المدرسة منارة خير طيلة قرون خلت ، كما كانت المنارة الوحيدة في عموم الاتحاد السوفيتي السابق ، خلال العهد الشيوعي البائد ، وذلك قبل أن ينشأ معهد الإمام البخاري بمدينة طشقند .

لقد أسهمت مدرسة « مير عرب » ـ التي تقع في مدينة بخارى ـ بشكل فاعل في تعليم أبناء المسلمين في عموم الاتحاد السوفيتي السابق ، فقد كان الطلاب يقصدونها من القفقاس ، وسيبيريا ، وبشكيريا ، وتتارستان ، ووسط آسيا ، وغيرها [٢] .

أما أهم المواد التي تدرس فيها فهي :

اللغة العربية : كتاب « لغة الشفاهية » ، كتاب « مبدأ القراءة » ، كتب في الصرف والنحو والأدب والبلاغة .

الفقه : مختصر كتب الطهارة والصلاة والصوم والزكاة والحج ، من

---

(١) ، (٢) أوضح ذلك الشيخ عوض خان بن حيدر الذي كان مديراً للمدرسة في السبعينات والثمانينات .

كتاب « الفقه الأكبر » .

العقيدة : كتاب التوحيد من « الفقه الأكبر » .

القرآن الكريم : جزء عم ، وجزء تبارك ، وسورة يس ، وبعض الأجزاء في سور أخرى حفظاً أو تفسيراً .

الحديث : كتاب « منبر الحديث » يحتوي على ألف حديث ، تدرس من غير حفظ .

الجغرافية والتاريخ : دراسة جغرافية وتاريخ الدول العربية ، وبعض الدول الإسلامية .

مدة الدراسة فيها سبع سنوات ، وهي بمستوى معهد من المرحلة المتوسطة . ويعتبر الخريجون من هذه المدرسة هم المرشحين ذوي النصيب الأوفر في الحصول على وظيفة حكومية ، لدى الإدارة الدينية أو في أحد المساجد أو المدارس ، ويبتعث بعضهم لإكمال دراسته الدينية في الخارج وخاصة في الدول العربية [1] .

(٢) معهد الإمام البخاري ، أو « المعهد الإسلامي العالي » :

ويقع في العاصمة طشقند، وقد افتتح أبوابه للتدريس عام ١٣٩١هـ (١٩٧١م) ، ومدة الدراسة فيه سنتان ، يتخرج الطالب منه دارسًا لمواد اللغة العربية ، وبعض العلوم الشرعية ، على غرار المنهاج الدراسي في مدرسة

(١) المصدر السابق ، كما أوضح ذلك مختار عبدالجبار عبدالجليلوف وهو خريج المدرسة عام ١٤١٤ هـ (١٩٩٤م) .

مير عرب في بخارى مع فروق معينة ، آخذة بعين الاعتبار أن من شروط القبول في معهد الإمام البخاري إنهاء الثانوية العامة .

وتجدر الإشارة إلى أن المعهد كانت تدرس فيه سابقاً العقيدة الماتردية[1] ، غير أنه وفي السنة الأخيرة - أي في العام الدراسي ٩٤ - ١٩٩٥م - جرى تعديل ذلك ؛ فهم يدّرسون الآن كتاب العقيدة الطحاوية[2] - بفضل الله - .

يعيَّن المتخرجُ من هذا المعهد في إحدى الوظائف لدى الإدارة الدينية ، في مسجد أو مدرسة أو في وظيفة أخرى ، ويكمل البعض دراسته الشرعية في الخارج .

(٣) مدرسة « ضياء الدين إيشان باباخان » للبنات :

ضياء الدين إيشان باباخان هو المفتي الأسبق ، وأحد مؤسسي الإدارة الدينية في عهد ستالين ، وقد سميت باسمه تخليداً لذكراه .

---

(١) نسبة إلى مؤسس المذهب ، وهو محمد بن محمد بن محمود ، أبو منصور ، الماتريدي ، و (ماتريد) محلة بسمرقند . من أئمة الكلام والجدل . من كتبه (مآخذ الشرائع) و (كتاب الجدل) وغيرهما . مات بسمرقند عام ٣٣٣هـ (انظر الأعلام ٧ / ١٩) .

(٢) أفاد بذلك أحد طلاب المعهد الذين تم اللقاء بهم . والعقيدة الطحاوية : نسبة إلى الإمام أبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة الأزدي الطحاوي - نسبة إلى قرية بصعيد مصر - ولد رحمه الله سنة ٢٣٩هـ ، وأخذ عن خاله إسماعيل بن يحيى المزني أفقه أصحاب الإمام الشافعي ، ثم تحول الإمام الطحاوي إلى مذهب أبي حنيفة ، ولم يمنعه ذلك من مخالفته لبعض أقوال الإمام ، توفي الطحاوي بالقاهرة سنة ٣٢١هـ . ومن أهم مصنفاته « العقيدة الطحاوية » وهي على صغر حجمها غزيرة النفع ، سلفية المنهج ، تجمع بين دفتيها كل ما يحتاج إليه المسلم في عقيدته . (انظر : ترجمة المصنف في شرح الطحاوية ص ١٧ ، ١٨) و(الأعلام ١ / ٢٠٦) .

تأسست المدرسة عام ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) ، وتضم (٢٢٠) طالبة يدرسن في نوبات [١] صباحية وأخرى مسائية من داخل طشقند وخارجها ، أما عدد معلماتها فهنّ عشرون معلمة . والمواد التي تدرس في هذه المدرسة هي : القرآن الكريم والتفسير والحديث والصرف والنحو والأدب العربي والتاريخ الإسلامي واللغة الروسية والخياطة والشؤون النسوية والمنزلية ، وغير ذلك .

وتشرف الإدارة الدينية على تعيين المديرة والمدرسات في المدرسة [٢] .

(٤) مدرسة « معروفات » في بيكاباد [٣] :

تأسست هذه المدرسة عام ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) ، وهي تابعة للإدارة الدينية ، أما مديرها فهو الشيخ محيي الدين بن قطب الدين النامنجاني ، وعدد طلابها (٢٠٠) مائتا طالب وطالبة ، وعدد المعلمين خمسة عشر معلماً .

يدرس الطلاب فيها القرآن الكريم واللغة العربية والحديث والتاريخ الإسلامي والفقه واللغة الانجليزية واللغة الروسية ، ويذكر في هذا المجال أن هيئة الإغاثة الإسلامية ساهمت للمدرسة بكتب في علوم اللغة العربية من إصدار جامعة أم القرى بمكة المكرمة .

---

(١) نوبات : جمع نَوْبَة ، والنوبة : اسم من المناوبة ، يقال : تناوب الأمر : قام به مرة بعد مرة . (المعجم الوسيط : ٢/ ٩٦١) ، وانظر (القاموس : ١٧٩ باب الباء ، فصل النون ، وفيه أيضاً [وناب عنه نوبًا ومنابًا : قام مقامه]) .

(٢) أوضحت ذلك الأستاذه : إقبال خان إسماعيل عمر ، مديرة المدرسة .

(٣) أفاد بتلك المعلومات أ. محمود عبدالسميع جاراه ، الذي تم اللقاء به يوم ١٣ محرم ١٤١٦هـ (١١/ ٦/ ١٩٩٥م) في مدينة نامنجان .

(٥) وهناك مدارس شرعية رسمية عديدة في المدن المختلفة ـ كما أفاد بذلك الشيخ عوض خان ، المدير السابق لمدرسة « مير عرب » ـ ومن تلك المدارس :

ـ مدرسة ملاقر غيز في نامنغان ، وهذا للذكور .

ـ مدرسة أبي القاسم للذكور في العاصمة طشقند .

ـ مدرسة كوكلداش للذكور في العاصمة طشقند .

ـ مدرسة كوكلداش للبنات في طشقند .

ـ المدرسة التابعة لمسجد ميرزا يوسف في طشقند .

ـ مدرسة « دينار » في محافظة ترمذ .

ـ مدرسة « ترمذ » في مدينة ترمذ .

أما بالنسبة للمناهج الدراسية فهي متقاربة جداً ، وتشبه إلى حد كبير المناهج التي فصلنا الكلام فيها [١] ، مع مراعاة بعض الاختلافات الناجمة عن توافر أو فقدان مصادر بعينها أو ناجمة عن طبيعة المدرسين والطلاب ، أو لأسباب أخرى ، أمّا تعيين المدرسين والمدرسات فإنه يتم عبر الإدارة الدينية دونما استثناء .

[ب] دار الإفتاء :

دار الإفتاء من المؤسسات الرسمية الداخلية من حيث الإنشاء ، وقد كانت تسمى سابقًا الإدارة الدينية ، حيث إنها كانت إحدى الإدارات الأربع خلال حقبة العهد الشيوعي التي تشرف على شؤون الدين لدى المسلمين ،

(١) أنظر : ص ١٨٣ ، ١٨٤ من هذا البحث .

وعندما نالت أوزبكستان استقلالها عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م) ظهرت الحاجة إلى إجراء انتخابات لاختيار مفت جديد يمثل المسلمين في عموم دول آسيا الوسطى الخمس ، ثم جرت الانتخابات ، وتم اختيار الشيخ محمد صادق محمد يوسف الذي انتخبه المسلمون في كل من أوزبكستان وقازاقستان وتركمانستان وطاجكستان وقرغيزيا .

نشط الشيخ محمد صادق في القيام بمسؤولياته ، وكانت طموحاته كبيرة في هذا المجال إلا أن العوائق كثيرة أمام تحقيقها ، فالإمكانات المادية شحيحة جداً ، كما أن الكوادر الإدارية في الإدارة الدينية متواضعة ، بالإضافة إلى عوائق أخرى[1] .

أنشئت - بعد رحيل الشيخ محمد صادق - الإدارة الدينية التابعة لمجلس الوزراء، وحُولت إليها كثير من صلاحيات الإدارة الدينية السابقة التي تغير مسماها إلى « دار الإفتاء » ، وتتلخص مسؤولياتها في التالي :

- إصدار الفتاوى الشرعية .
- الإشراف على قضايا الزواج والطلاق إشرافاً شرعياً وقانونياً .
- إعلان حلول شهر رمضان المبارك والعيدين .
- إصدار نشرة بأوقات الصلوات الخمس .
- الإشراف على مكتبة ضخمة زاخرة بالمخطوطات التي سطرها علماء

(١) التقى الباحث بالشيخ محمد صادق في صيف عام ١٤١٣هـ (١٩٩٢م) ضمن وفد لجنة مسلمي آسيا التابعة للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية بدولة الكويت ، وكان يرأس الوفد د. عادل الفلاح رئيس اللجنة ، وقد تم التباحث مع الشيخ حينئذ في الطرق الكفيلة لإنجاز بعض المشروعات الخيرية كبناء المساجد والمدارس الشرعية وغير ذلك .

الإسلام ، ويوجد فيها إحدى نسخ مصحف عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ .

إصدار بعض الكتيبات الدينية الإرشادية في مسائل العبادات على مذهب الإمام أبي حنيفة ـ رحمه الله ـ هذا وقد ألغي مبدأ انتخاب المفتي ، إذ أنه يُعين حالياً من قبل الحكومة .

هذا بالنسبة للمؤسسات الرسمية الداخلية ، أما المؤسسات الشعبية الداخلية فهي قليلة جداً ، إذ لا يُسمح بإنشاء مثل تلك المؤسسات ، إلا أن القانون لايمانع من القيام بالتدريس داخل المساجد[1] ؛ ومن ثم نجد بعض المدارس الصغيرة التي تكون تابعة لبعض المساجد وتقوم بدور طيب في التربية والتعليم ، كذلك فإن الحجرات لازالت موجودة إلى الآن . وسأتناول فيما يلي بعض المؤسسات الشعبية بشيء من التفصيل :

(١) مدارس أهلية وحجرات :

توجد بعض المدارس غير الحكومية تقوم ببث الوعي الديني بدرجات متفاوته فيما بينها تبعاً لطبيعة القائمين عليها ، وطبيعة المناهج التي تدرس بها ، ومن أمثلة تلك المدارس :

ـ مدرسة الشيخ عبدالأحد في نامنجان : وهي تقع في مسجد الشيخ عبدالأحد حيث يرتادها العشرات من الفتيان والشباب ، ويتولى بعض المشايخ وطلبة العلم التدريس فيها .

ـ مدرسة الشيخ عابد خان بطشقند : وتقع في مسجد الشيخ ويسمى

---

(١) ذكر ذلك أحد العلماء الذين التقى بهم الباحث .

مسجد « توختباي » وسط العاصمة طشقند ، حيث يدرس فيه العشراتُ من الطلاب بشكل شبه منتظم ، يتعلمون العربية وقراءة القرآن وحفظه ، والنحو ، والتوحيد ، والفقه ، والسيرة .

ـ مدارس ثانوية تسمى (مدارس لي سي ـ LISI) :

وتدرس فيها اللغات الأجنبية وخصوصاً العربية ، بالإضافة إلى المواد التاريخية والجغرافية والدينية وغيرها [١] .

(٢) أما الحجرات أو التعليم السري والذي كان أسلوباً متبعاً خلال فترة الحكم الشيوعي فهو لايزال متبعاً حتى اليوم [٢] ، ويُدرَّس في تلك الحجرات مواد التوحيد والتفسير والنحو والصرف و الفقه والسيرة وغيرها . كما أن كثيراً من طلابها يحفظون القرآن الكريم كاملاً ، أو أجزاء منه في الحجرة .

(٢) النشاط الطلابي الدعوي :

يتعرض كثير من الطلاب في المعاهد والجامعات التي تدرس العلوم المادية والتطبيقية إلى أخطار حقيقية ، تتمثل في تلك الشبهات التي يثيرها أعداء الإسلام لتشويه صورة الدين الإسلامي في عقول الطلاب ، حيث يتهم الإسلام بأنه مجرد نظريات وروحانيات لا تصلح لحياة الناس العملية ، وأنه يخلو من نظام اقتصادي واجتماعي وسياسي متكامل . . وغير ذلك من الشبهات ، بل إن بعض الطلاب يتعرض لخطر التنصير ـ وإن كان ذلك في

---

(١) هذه المدارس ليست إسلامية بالكامل ، غير أنها تقوم بتدريس العربية وشيئًا من التربية الإسلامية . وقد أفاد بذلك أحد الإخوة الثقات الذي التقى بهم الباحث .

(٢) صرح بذلك للباحث عدد من العلماء .

حالات نادرة ـ ولذلك ينشط بعض الطلاب ممن حباهم الله بعلم واستنارة ، بالرد على تلك الشبهات ، ودعوة إخوانهم الطلاب للالتزام بتعاليم دينهم ، ومن تلك المؤسسات العلمية التي تتميز ببعض النشاط الطلابي في العاصمة طشقند مايلي :

ـ جامعة الاقتصاد العالمي والدبلوماسية .

ـ المدارس الثانوية المسماة (لي سي LISI) .

ـ معهد اللغات العالمية . ـ جامعة طشقند الحكومية .

ـ الأكاديمية العلمية الأوزبكية . ـ معهد الطب .

ـ وغيرها ، ومعظم هذه الصروح قد خصص بها مكان لصلاة الجماعة .

ويمكننا تلخيص أهداف ذلك النشاط الطلابي الدعوي [1] فيما يلي :

(أ) تحصين الشباب ضد خطر التنصير ، والحركات الهدامة الدخيلة .

(ب) الحفاظ على الشعائر الدينية من خلال تخصيص غرفة لأداء الصلاة .

(جـ) نشر الثقافة الإسلامية في الأوساط الطلابية .

(د) الرد على الشبهات التي تثار حول الإسلام .

(هـ) نشر اللغة العربية بتعليمها والتركيز على إتقانها .

---

(١) استخلص الباحث هذه الأهداف من بعض الطلاب في تلك المعاهد والجامعات بعد اللقاء بهم والتحاور معهم .

ـ المطلب الثاني : المؤسسات الخارجية :

شعرت المؤسسات والهيئات الخيرية الإسلامية بالحاجة الماسة للوقوف جنباً إلى جنب مع الإخوة في الدين والعقيدة في أوزبكستان ، للعمل على إعادة مادمّره البلاشفة الحمر في السنوات العجفاف الخالية ، فهبت ملبية نداء الواجب الإسلامي والأخوة الإيمانية ، كما قال المصطفى ﷺ : « مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد ، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى »[1] .

وفيما يلي عرض لجهود المؤسسات ، وما قامت به كل واحدة منها من منجزات[2] ، ثم سيتم التطرق إلى المشكلات العامة المشتركة :

(أ) الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية « لجنة مسلمي آسيا » :

تأسست الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية في دولة الكويت بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٤١٠هـ (١٠/ ١٠/ ١٩٨٩م) ، وتفرع عنها عدة لجان ، نظراً لسعة مجالات عملها ، ومن إحدى تلك اللجان « لجنة مسلمي آسيا » والتي كان لها أثر بارز في العمل الخيري في أوزبكستان منذ الشهور الأولى

---

(١) متفق عليه ، انظر رواية البخاري في صحيحه المطبوع مع فتح الباري ١٠ / ٤٥٢ كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم ، من حديث النعمان بن بشير ورقم الحديث (٢٧) ، ولفظه لمسلم في صحيحه ٤/ ١٩٩٩ ـ ٢٠٠٠ كتاب البر والصلة والآداب ، باب تراحم المؤمنين وتعاطفهم ، وتعاضدهم.

(٢) ملاحظة : ربما ساهمت مؤسسات أخرى ببعض المشاريع لكنها لم تكن من الظهور بحيث تلاحظ أو تصل جهود الباحث إليها .

للاستقلال ، وتتلخص أهداف عملها هناك فيما يلي :

(١) ترسيخ معاني الإيمان بالله ـ عز وجل ـ ، والعودة الحثيثة إلى الإسلام .

(٢) المحافظة على الهوية الإسلامية للشعب الأوزبكي .

(٣) نشر العلوم الشرعية ، والاهتمام باللغة العربية ـ لغة القرآن ـ في تلك المناطق .

(٤) مد جسور التواصل الحضاري بين العالم العربي والإسلامي وبين أحفاد الإمام البخاري .

(٥) تلبية الاحتياجات الفكرية والمعرفية والمادية لمسلمي آسيا الوسطى ـ عموماً ـ وأوزبكستان ـ بشكل خاص ـ .

(٦) التعاون مع المؤسسات الخيرية الإسلامية العاملة على الساحة الأوزبكية بما يخدم المصلحة الإسلامية العليا .

أما عن الإنجازات ، فهي كما يلي :

ـ تم طباعة وتوزيع مايقرب من (٢٠٠) ألف نسخة من معاني القرآن الكريم مترجمة إلى اللغة الروسية .

ـ طباعة وتوزيع كمية كبيرة من الكتب المترجمة إلى اللغة الأوزبكية ، وتشمل العديد من العلوم الشرعية ، كتجويد القرآن الكريم ، وتثبيت معاني الإيمان بالله تبارك وتعالى ، والفقه ، والنحو ، والسيرة وغيرها .

- بناء أكثر من (٤٠) مسجداً في عموم الجمهورية .

- بناء مركز إسلامي واحد ، ويشتمل على مسجد ومدرسة ومنافع أخرى .

- حفر (٥٦) بئراً ارتوازية في المناطق التي تشح فيها المياه في جنوب البلاد وغربها .

- كفالة معلمي القرآن الكريم والعلوم الشرعية الأخرى ، وقد بلغ عددهم (٣٣٤) معلماً .

- كفالة طلاب العلم ، إذ بلغ عدد المكفولين (٤٠٠٠) أربعة آلاف طالب .

- كفالة مايزيد عن ألف يتيم .

- قامت اللجنة بتنفيذ مشروع الأضاحي، التي تنحر في عيد الأضحى، وتوزع لحومها على المحتاجين ، كما أقامت العديد من ولائم الإفطار في رمضان في طشقند وغيرها .

- تكوين نواة لعشرات المكتبات التراثية تضم أمهات الكتب والمراجع في مجالات العقيدة والفقه والتفسير والسيرة والتاريخ وغيرها .

- رصد جائزة سنوية تبرع بها الأستاذ « عبدالعزيز بن سعود البابطين»[1]، ومقدارها مائة ألف دولار ، مخصصه لتشجيع البحث العلمي والإبداع الفكري والأدبي والثقافي .

---

(١) الأستاذ « عبدالعزيز بن سعود البابطين » أحد التجار في دولة الكويت المحبين للعلم ، والمهتمين بشؤون المسلمين في آسيا الوسطى .

ـ رصد مبلغ (٢٠,٠٠٠ د.ك) عشرون ألف ديناراً كويتياً لتنظيم مسابقة سنوية لحفظ القرآن الكريم .

ـ عقد ندوة بعنوان (الثقافة والدعوة الإسلامية لبلدان آسيا الوسطى والقوقاز ، ونهضة الإسلام فيها) ، وقد عقدت بموسكو في شهر يوليو من عام (١٩٩٤م) بالتنسيق مع منظمة المؤتمر الإسلامي .

ـ ابتعاث العشرات من طلبة العلم إلى جامعة الأزهر بالقاهرة ، والمعهد الديني في الكويت .

ـ دعم إذاعة موسكو المركزية ببرامج إذاعية تسهم في نشر الوعي الإسلامي في عموم الجمهوريات الإسلامية .

ـ إقامة دورات تدريبية في علوم الحاسوب بمدينة مينسك في جمهورية روسيا الفيدرالية ، وابتعاث بعض الطلاب من أوزبكستان لتلك الدورات .

إلا أن الأوضاع غير المستقرة ، والتغيير في الإدارة الدينية أدى إلى توقف العديد من تلك المشاريع لفترة من الزمن ، ثم بدأت اللجنة ـ بعد ذلك ـ تعاود نشاطها بعد أن سمح لها بالعمل بشكل رسمي في شهر رمضان المبارك عام ١٤١٦هـ ، إذ نص ا لنظام الداخلي للهيئة والذي تم بموجبه السماح لها بمعاودة نشاطها بما يلي :

مادة (١) : يسمى فرع أوزبكستان للجنة مسلمي آسيا أحد روافد الهيئة الخيرية الإسلامية العالمية لدولة الكويت ، التي تأسست بتاريخ ١١ ربيع الأول ١٤١٠هـ (١٠/ ١٠/ ١٩٨٩م) ، ويسمى فيما بعد « فرع أوزبكستان للهيئة الخيرية العالمية » . وتمارس الهيئة نشاطها في إطار قانون

أوزبكستان بشأن الاتحادات الاجتماعية ، و القوانين الأخرى الجارية ، ونظامها الداخلي ، هذا دون أن تتدخل في أعمال الدولة والسياسة الداخلية لها .

وتقدم الهيئة الخيرية مساعدات مادية ومعنوية لمواطني أوزبكستان دون تمييز بين قوميتهم ودينهم .

عنوان فرع أوزبكستان للهيئة الخيرية العالمية :

« طشقند ٧٠٠٠٠٠ / ١ زقاق أوليانوف ، المنزل ١٤ »[١] .

وتجدر الإشارة إلى أن الهيئة الخيرية هي المؤسسة الإسلامية الخارجية الوحيدة التي حصلت على إذن رسمي للعمل داخل أوزبكستان[٢] .

(٣) مؤسسة سار[٣] :

بدأت هذه المؤسسة عملها في أوزبكستان عن طريق مندوب لها في طشقند عام١٤١٢هـ (١٩٩٢م) ـ وكانت فترة إعداد ودراسة أكثر منها مشاريع عمل، ثم فتحت مكتبها في ١٤١٤هـ (١٩٩٤م) ، حيث تراوح عملها بين مدٍّ وجزر طيلة الفترة قبل افتتاح المكتب .

وتعتمد ميزانيتها اعتماداً كلياً على الدعم الذي يصلها من المركز في موسكو ، بالإضافة إلى تنفيذها لمشاريع تدعمها مؤسسات إسلامية ،

(١) النظام الداخلي للهيئة الخيرية الإسلامية العالمية ـ فرع أوزبكستان ـ .

(٢) وذلك حتى كتابة هذا المبحث في رمضان من عام (١٤١٦هـ) ، الموافق فبراير من عام (١٩٩٦م) ، وقد يتم الترخيص لغيرها فيما بعد . (الباحث) .

(٣) تم الحصول على تلك المعلومات من خلال اللقاء بأحد أعضاء اللجنة في العاصمة طشقند، ومن خلال الحصول على بعض الأعداد من نشرتها « الينبوع » . وتجدر الإشارة إلى أن المقر الرئيس لمؤسسة سار هو مدينة الرياض في المملكة العربية السعودية، ويرأسها الدكتور : أحمد توتنجي .

كلجنة مسلمي آسيا .

ومن الممكن استخلاص أهداف المؤسسة بما يلي :

- نشر العلم الشرعي ، وإعداد كوادر متعلمة قادرة على حمل الدعوة .

- تحصين المسلمين من مخاطر التنصير ، والغزو الفكري ، والحركات الهدامة .

- تربية النشء تربية إسلامية قويمة .

- الاهتمام بالمرأة المسلمة .

- إقامة بعض المشاريع الإنسانية والاجتماعية والاستثمارية .

- تعريف المسلمين في خارج البلد بظروف إخوانهم في أوزبكستان .

أما جمهورها المستهدف فهو الشعب كله ، مع التركيز بشكل خاص على فئات الشباب والمتعلمين .

لم تدم مدة عمل المؤسسة طويلاً حيث لم تزد عن سنة ونصف تقريباً، ومع ذلك فقد حققت بعض المنجزات ، نوردها فيما يلي :

- إصدار نشرة « الينبوع » الأسبوعية ، والتي تحتوي على أخبار الدعوة في بلاد ماوراء النهر ، وقد صدر منها (٤٩) عدداً .

- ترجمة مجموعة من الكتب إلى اللغة الأوزبكية ، وطباعة واحد منها .

- إقامة المخيم الصيفي لشباب أوزبكستان ، وقد احتوى على مجموعة محاضرات ثقافية وتوعوية .

ـ متابعة الحركات التنصيرية ، وتحصين الشباب من ضلالاتها .

ـ التعليم الأسبوعي في كثير من المدارس والمساجد .

ـ إقامة دورات إدارية ، ودورات في الترجمة ، والعلوم الشرعية .

ـ النشاط الدعوي في المدارس ، والمعاهد ، والجامعات .

لم يستمر عمل المؤسسة ، حيث أنهت عملها في ١٥ صفر ١٤١٧هـ ١/ ٧/ ١٩٩٥م بسبب بعض المشكلات التي تعرض لها مكتبها الرئيس في موسكو .

(٣) مؤسسة الإبراهيم الخيرية :

مقر هذه المؤسسة الرئيس في المملكة العربية السعودية ، وقد بدأت عملها في أوزبكستان خلال عام ١٤١٢هـ (١٩٩٢م) ، حيث كان مركزها في طشقند، بينما تتبع لها فروع أخرى في جمهوريات وسط آسيا ، ولقد أخذت أعمالها في أوزبكستان ـ مع مرور الوقت ـ بالتضاؤل حيث نقلت مركز عملها إلى مدينة شيمكنت في قازاقستان .

أهم محاور عمل هذه المؤسسة هو التعليم والتربية والدعوة ، أما جمهورها المستهدف فهو الفئات المتديّنة ، من أجل نشر العلم الشرعي بينها، ودعوة الفئات الأخرى الضالة .

وتتلخص أهم منجزاتها في التالي :

ـ نشر العلم الشرعي في أوساط مختلفة وبين فئات طلابية متعددة، حيث قطعوا أشواطًا في هذا المجال ، وتخرجت من تحت أيديهم مجموعات

طلابية نقلت نقلة جيدة في مجال العلم الشرعي .

ـ ابتعاث مجموعات طلابية للدراسة في الخارج .

ـ كفالة مدرسين وطلاب من أجل تفريغهم للتعليم أو التعلم .

هذا ، ومما يميز هذه المؤسسة اعتمادها على كوادر متفرغة من خارج أوزبكستان جاءت لهذه الغاية ، وانتظام مواردها المالية بشكل دقيق .

(٤) جمعية إحياء التراث الإسلامي :

مقر الجمعية الرئيس في دولة الكويت ، وقد بدأت عملها في جمهورية أوزبكستان في وقت مبكر ، ١٤١٢هـ (عام ١٩٩٢م) ، وتركز عملها في منطقة وادي فرغانه ، وعلى وجه الخصوص في ولاية أنديجان ، وقد تعاونت مع بعض المشايخ في الجمهورية ، الذين ينشطون في تعليم أبناء المسلمين ، حيث يتم تزويدهم بما يحتاجون من كتب ، ومستلزمات أخرى ، تعينهم على القيام بدورهم .

كما كان للجمعية إسهام في بناء المساجد ، وكفالة طلاب العلم ، ونستطيع تحديد أهداف عمل الجمعية هناك بما يلي :

(١) ترسيخ منهج عقيدة السلف ، ومحاربة البدع والخرافات .

(٢) نشر العلم الشرعي ، وإعداد كوادر متحصنة بالعلم قادرة على حمل الدعوة .

(٣) المساهمة في إعادة المؤسسات الإسلامية التي حطمها الشيوعيون كالمساجد وغيرها .

(٤) توفير وطباعة بعض الكتب ونشرها .

أما أهم منجزاتها ، فيمكن تحديدها بالتالي :

ـ بناء عدد من المساجد في الجمهورية وخصوصًا في وادي فرغانة ، ويبلغ مجموع ماتم إنجازه من مساجد في عموم الجمهورية (٤٩) مسجداً ، كما حرصت الجمعية على توفير معلم للقرآن الكريم في العديد من المساجد التي بنتها .

ـ بناء عدد من المدارس الشرعية ، وقد بلغ عددها (١٣) مدرسة .

ـ بناء مركز إسلامي في مدينة انديجان .

ـ طباعة كميات كبيرة من الكتب وتوزيعها ، وهي كما يلي :

اسم الكتاب	عدد النسخ	اللغة
القرآن الكريم « جزء عم »	٢٠,٠٠٠	العربية
تفسير ابن كثير	١٠,٠٠٠	»
فتح المجيد شرح كتاب التوحيد	٨,٠٠٠	»
تطهير الجنان	٢٠,٠٠٠	»
أركان الإيمان	٢٠,٠٠٠	»
بطلان عقائد الشيعة	٢٠,٠٠٠	»
مصطلح الحديث	١٠,٠٠٠	»
حوار مع ملحد	١٠,٠٠٠	الروسية

(٥) مؤسسة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة التابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة :

يرأس مؤسسة الإعجاز العلمي الدكتور عبدالله المصلح، وقد قامت هذه المؤسسة بجهود في أوزبكستان عام ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) ـ وذلك من خلال مندوبين لها ـ من أجل التحضير للمؤتمر الذي عقد في موسكو في الفترة من ٢٣ إلى ٢٦ ربيع الأول من عام ١٤١٤هـ (٣ـ٦ / ٩/ ١٩٩٣م).

وبالفعل فقد تم توزيع الأبحاث الخاصة على مجموعة من العلماء أصحاب الاختصاص في الجمهورية من الأطباء والمهندسين والفلكيين وعلماء البحار والجيولوجيا والأرصاد الجوية، واستمر الإعداد في أوزبكستان لما يزيد عن أربعة أشهر، حيث كتب بعض المختصين أبحاثًا أو تعليقات أو آراءً حول ماطالعوه وقرؤوه للكُتّاب المسلمين العرب وغيرهم.

وهكذا فقد اشترك في ذلك المؤتمر تسعة عشر شخصاً مثلوا جمهورية أوزبكستان، وكانوا على قسمين : نصفهم من المختصين في العلوم التجريبية والإنسانية، والنصف الآخر من أصحاب التخصص الشرعي كالشيخ عبدالولي انديجاني، والشيخ عبدالأحد نامنجاني، والشيخ عابد خان.

ويمكننا تحديد بعض أهداف المؤسسة بما يلي :

(١) بيان إعجاز القرآن الكريم العلمي، وكذلك السنة النبوية المطهرة من خلال الحقائق العلمية الثابتة.

(٢) إثبات أن القرآن الكريم من عند الله تبارك وتعالى.

(٣) الرد على شبهات الملحدين الذين يشككون في وجود الخالق

سبحانه .

(٤) بناء جسور التواصل والتعاون مع العلماء والباحثين وتزويدهم بالأبحاث ، واستقبال مايؤلفون منها .

أما أهم منجزاتها في أوزبكستان فتتلخص في التالي :

ـ دعوة تسعة عشر عالماً وباحثاً من أوزبكستان للمشاركة في مؤتمرها الأول ، الذي عقد بموسكو في الفترة من ٢٣ إلى ٢٦ ربيع الأول من عام ١٤١٤هـ (٣ـ٦/ ٩/ ١٩٩٣م) ، وقد استجاب جميع المدعوين لحضور هذا المؤتمر .

ـ توزيع ونشر الأبحاث والكتب العلمية والأشرطة التي تؤكد على حقيقة الإعجاز العلمي في القرآن الكريم ، والسنة النبوية المطهرة ، وقد تم توزيع أعداد كبيرة من تلك الكتب والأشرطة ، على الباحثين والطلاب داخل أوزبكستان .

ـ دعوة عدد من العلماء والباحثين للمشاركة في مؤتمرها الثاني ، الذي عقد في نهاية صيف عام ١٤١٦هـ (١٩٩٥م)، وقد استجاب البعض منهم ، أما البعض الآخر فلم يستطع الحضور لظروف خارجة عن إرادته .

ـ استطاعت المؤسسة النجاح في مد جسور التواصل بين العلماء والباحثين ، داخل أوزبكستان وخارجها .

(٦) مؤسسة طيبة الخيرية :

المركز الرئيس لهذه المؤسسة في المملكة العربية السعودية ، وقد

ساهمت المؤسسة بأدوار محددة في أوزبكستان من خلال معاونيها ـ وغالبيتهم من الطلاب ـ الذين يساهمون في توزيع الكتب التي تطبعها وتنشرها ، ولقد ازداد دورها أهمية بعد فتح مكتب لها في مدينة شيمكنت المجاورة للعاصمة طشقند والواقعة داخل الحدود القازاقية من خلال توزيع مجلتها الصادرة باللغة الروسية « الحياة » ، وهي مجلة شهرية تعالج مواضيع دعوية مختلفة ، ثم من خلال عقد بعض النشاطات الدعوية ، ومن أهمها : المخيم التربوي التعليمي الذي عقد في شهر ربيع الأول من عام ١٤١٦هـ في مدينة شيمكنت ، واشترك فيه مجموعة من الطلبة الأوزبك .

(٨) دار البر :

أدخلت دارُ البر « الإماراتية » بعض المشاريع إلى أوزبكستان عام ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) ، وكان تنسيقها الأساسي عن طريق مكتبها في مدينة باكو في أذربيجان ، وقد نشطت هذه المؤسسة في بناء بعض المساجد في الجمهورية .

*** من إيجابيات المؤسسات الإسلامية العاملة :**

لقد أسهمت تلك المؤسسات بشكل فاعل وكبير في دفع عجلة العودة إلى الإسلام بشكل متسارع ـ رغم قصر المدة التي عملت فيها ـ ، ومن الشواهد الدالة على ذلك مايلي :

(١) الاسهام في محاربة الانحراف العقدي الموجود في بعض الأوساط ، وذلك من خلال عدة وسائل ، منها : توزيع كمية كبيرة من الكتب في هذا المجال مثل كتاب « العقيدة الطحاوية » المترجم إلى اللغة

الأوزبكية ، وقد لاقى هذا الكتاب قبولاً لديهم وذلك لأن مؤلفه حنفي المذهب .

(٢) الإسهام في إعادة بناء البنية التحتية للمرافق الإسلامية التي حطمها أعداء الإسلام ، كالمساجد وبعض المدارس .

(٣) الإسهام في تعليم أبناء المسلمين أمور دينهم ، من خلال دعم العدد من المدارس القائمة بالكتب والمعلمين أو إنشاء مدارس جديدة ، وكذلك من خلال تنظيم العديد من الدورات والحلقات التعليمية ، وغير ذلك .

(٤) الإسهام في محاربة بعض البدع والخرافات ، والتعصب المذهبي المنتشر في بعض الأوساط ، وخصوصاً في القرى والأرياف حيث يكثر الجهل وينتشر .

(٥) الإسهام في مد جسور التواصل بين المسلمين في أوزبكستان وإخوانهم في العالم الإسلامي ، وذلك من خلال الوفود العديدة التي زارت أوزبكستان ، وكذلك المؤتمرات التي دُعي إليها العلماء والمشايخ والباحثون كمؤتمر الإعجاز العلمي في القرآن والسنة الذي عقد في موسكو ، وغيره .

(٦) الإسهام في رصد الحركات الهدامة الدخيلة والتصدي لها .

وسأعرض فيما يلي لأهم المشكلات العامة المشتركة ، والسلبيات التي عانت منها المؤسسات الإسلامية التي كانت تعمل هناك :

*** المشكلات العامة والسلبيات لدى بعض المؤسسات :**

تعاني المؤسسات الإسلامية العاملة هناك من بعض المشكلات

والسلبيات ، ولاريب أن لتلك المشكلات آثارها السلبية على سير العمل ، وقد أدت بعضها إلى تعثر عمل بعض المؤسسات ، وعرضها هنا من باب تحديد المشكلة من أجل العمل على تلافيها مستقبلاً ، ومن أهم تلك المشكلات والسلبيات مايلي :

(١) الدخول في المنطقة دون دراسة مسبقة :

فمعظم المؤسسات التي عملت في أوزبكستان ، لم يكن لديها من المعلومات والخلفيات عن المنطقة ما يمكّنها من الدخول عن فهم وبصيرة تستطيع بها تنفيذ مشاريع مختلفة وضعتها نصب أعينها ، لاسيما أن هذه المناطق كانت مغلقة عن العالم ، ولم يكتب عنها شيء مسبقاً ، إلا القدر اليسير جداً .

إن التركيبة السكانية والاجتماعية لأوزبكستان ، والعلاقات القائمة في مجتمعها ، والخلفيات العقدية والفكرية ، مجهولة لدى العاملين في هذه المؤسسات بشكل كبير ، أو أنها غير واضحة الوضوح الكامل للبعض الآخر .

من هنا فقد ضاعت أوقات وجهود وأموال كثيرة في المراحل الأولى من العمل دون الحصول على الثمار المطلوبة ، هذا بالإضافة إلى المشاكل والكبوات التي وقعت فيها بعض تلك المؤسسات في هذه المرحلة نتيجة عدم الدراسة المسبقة .

(٢) فقدان بعضها للتخطيط :

لاريب أن للتخطيط أهميته في مجال الدعوة إلى الله ، فرسول الله ـ

ﷺ - حين كان يعرض دعوته على قبائل العرب في مواسم الحجيج بمكة يطلب منهم الإيمان به و النصرة لدينه ، كان يفكر في مستقبل دعوته ، والبحث عن أرض خصبة يبذر فيها بذوره ، وينقل إليها نشاطه ويقيم فيها حكم الله .

ولما شرح الله صدر الأوس [١] والخزرج [٢] من أهل يثرب لقبول الدعوة والإيمان بها ، والمبايعة على نصرته عليه الصلاة والسلام بيعة العقبة [٣] المعروفة ، وبعث إليهم « مصعب بن عمير » - رضي الله عنه - ، وأمر أصحابه بمكة - بعد ذلك - بالهجرة إلى إخوانهم هناك ، كان ذلك كله

(١) الأوس : بطن عظيم من الأزد ، من القحطانيين ، وهم بنو الأوس بن حارثة بن ثعلبة ، أهل نحر ومنعة ، كانت منازلهم بالمدينة المنورة ، وكان موطنهم الأصلي بلاد اليمن ، فهاجروا إلى المدينة وعاشوا مع الخزرج والقبائل اليهودية ، وصاروا بطناً عظيماً من الأنصار بعد قدوم النبي عليه السلام المدينة، وحسن إسلامهم (انظر : الأنساب للسمعاني (ت ٥٦٢هـ) ٣٨٩ ق : الشيخ عبدالرحمن بن يحيى المعلمي اليماني، ط - ١ - ١٣٨٢هـ ١٩٦٢م . الهند. وانظر أيضاً : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة / لعمر رضا كحالة ١/ ٥٠ - ٥١ ط. بيروت) .

(٢) الخزرج : بطن من الأزد ، من القحطانية ، وهم بنو الخزرج بن حارثة بن ثعلبة البهلول ، كانوا يقطنون المدينة مع الأوس ، وقد نشبت بينهما حروب طويلة أشهرها (بعاث) و (يوم الدّرك) إلى أن دخلت القبيلتان الإسلام الذي جمعهما تحت رايته (انظر : معجم قبائل العرب القديمة والحديثة / لعمر رضا لحالة ، ١ / ٣٤٢ ، وأيضاً كتاب الأنساب للسمعاني ٥/ ١١٩ - ١٢١) .

(٣) بيعة العقبة : العقبة موضع بمكة ، وبيعة العقبة بيعتان ، في الأولى كان عدد من بايع النبي ﷺ اثنى عشر رجلاً وامرأتين ، وتميّزت البيعة الثانية عن الأولى أيضاً بأنها تضمنت الفقرة الدفاعية عن الدعوة وصاحبها عليه الصلاة والسلام . ونصت عليها ، بينما اقتصرت البيعة الأولى على عرض الإسلام والدعوة إليه . وسميت بيعة لأن كلاً من المتبايعين يضع يده في يد الآخر كما يفعل المتبايعان وهكذا . (انظر السيرة النبوية لابن هشام/ القسم الأول / ٤٢٨ - ٤٤٨ . ق : مصطفى السقا ، إبراهيم الأبياري ، عبدالحفيظ شلبي ط ٢ عام ١٣٧٥هـ ١٩٥٥م مصر) .

تخطيطاً لنقل مركز الدعوة إلى المهجر الجديد حيث تقام دولة الإسلام .

وكذلك حين قال النبي ـ ﷺ ـ بعد الهجرة : « احصوا لي كم يلفظ الإسلام » ، فأحصوا له ، فكانوا ألفاً وخمسمائة [1] . . . ، كان يريد أن يعرف مقدار مالديه من قوة ، حتى يبني خطته على أساس سليم من الإحصاء والمعلومات الدقيقة [2] .

إن بعض المؤسسات العاملة في مجال الدعوة في جمهورية أوزبكستان لاتملك خطة واضحة المعالم ، بل إن بعضها لايملك التخطيط لشهر واحد ، وإنما يعمل بعشوائية وكيفما تسنح له الظروف .

فلا توجد تلك الخطط محددة المعالم والأهداف والمراحل والوسائل والأساليب والرؤية المستقبلية وما تحتاجه من الكوادر البشرية والموارد المالية وأوقات التنفيذ وأمكنتها ، والأهداف المرحلية وطبيعة أهل البلاد وكيفية التعامل معهم ، وما إلى ذلك من عناصر التخطيط الأساسية .

لقد كانت نتيجة ذلك العمل العشوائي الذي كان تسير عليه بعض المؤسسات ، أن وقعت في أخطاء وإشكالات عديدة أدّت إلى تعثر بعض المشروعات ، وفشل البعض الآخر منها . وتتجلى تلك العشوائية في مقولة قال مدير إحدى المؤسسات ـ وهو مسؤول عن العديد من المكاتب الفرعية ـ واصفاً التخطيط بأنه وهم وخيال !

---

(١) رواه مسلم . انظر : صحيح مسلم ١/ ١٣١ ـ ١٣٢ كتاب الإيمان، برقم (٢٣٥) من حديث حذيفة .

(٢) د. يوسف القرضاوي (الصحوة الإسلامية وهموم الوطن العربي والإسلامي) ط٤ مؤسسة الرسالة ، ٦٣ ـ ٦٤ .

ولاريب أن الحل يكمن في إدراك القائمين على بعض المؤسسات الإسلامية لأهمية التخطيط ، لاسيما في العمل المؤسسي .

(٣) نقل ساحة الخلافات إلى أوزبكستان :

تعيش في أوزبكستان ـ شأنها شأن غيرها ـ اتجاهات فكرية وفقهية وعقائدية مختلفة ، ولكن بمجرد دخول المؤسسات الإسلامية القادمة من الوطن العربي إزدادت تلك الاتجاهات ، وتولد منها خلافات جديدة لم يسبق أن لوحظت في أوزبكستان ، والسبب يكمن في أن تلك المؤسسات قد دخلت المنطقة بخلافاتها ، ونقلتها إلى هناك كما نقلت معها العلم والمعرفة والمساعدات وغير ذلك، وقد استاء البعض من أهل تلك البلاد من هذه الخلافات التي كانت أوزبكستان في غنىً عنها .

المبحث الثاني

الأفـــراد

وكما كان للمؤسسات الإسلامية العاملة في أوزبكستان دور فاعل في مجال الدعوة إلى الله ، فإن للأفراد دوراً لايقل في أهميته وتأثيره وفاعليته عن دور المؤسسات . وإذا كان للعلماء وطلبة العلم الدور الرائد ـ بعد توفيق الله ـ في حفظ الدين والهوية في أحلك الظروف ، فإنهم اليوم منارات علم، ومشاعل هداية ، تنير الطريق ، وتهدي الحائرين .

وينقسم مبحث الأفراد إلى مطلبين هما :

ـ **المطلب الأول** : العلماء .

ـ **المطلب الثاني** : طلبة العلم .

ـ المطلب الأول : العلمـاء :

العلماء الربانيون العاملون بعلمهم هم خير البرية وهم حفظة الدين ، ووارثوا شـرف النبـوة ، قـال تعـالى : ﴿ **شـهـد الله أنه لا إلـه إلا هـو والملائكـة وأولوا العلـم قـائـماً بالـقسط** ﴾ (١) ، فبدأ سبحانه بنفسه ، وثنى بملائكته ، وثلث بأهل العلم ، وكفاهم ذلك شرفاً وفضلاً وجلالة ونبلاً !

وقال تعالى : ﴿ **قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون** ﴾ (٢)
وقال تعالى : ﴿ **بل هو آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم** ﴾ (٣) .

وكما كان العلماء حفظة هذا الدين في أحلك الظروف خلال العهد الشيوعي ، فقد كانوا منارات علم وأعلام هدى بعد زوال السيطرة الشيوعية ، تنير الطريق لأبناء المسلمين الذين أرهقتهم الأغلال وعصفت بهم الفلسفات الأرضية .

وفيما يلي ترجمة مختصرة لأبرز العلماء الذين وصلت جهود الباحث إلى العلم بهم ، مع التأكيد على أن المرء لا يستطيع تزكيتهم جميعاً ، وقد نُقل عن بعضهم ولاحظ الباحث فيهم صحة المعتقد ، وسلامة المنهج ، كما استبعد ترجمة البعض لظهور غلوه العقدي .

---

(١) من سورة آل عمران ، الآية (١٨) .

(٢) من سورة الزمر ، الآية (٩) .

(٣) من سورة العنكبوت ، الآية (٤٩) .

(أ) الشيخ عبدالحكيم مرغلاني[1] :

هو شيخ مشايخ أوزبكستان ، ولد ـ يحفظه الله ـ عام ١٣٣١هـ (١٩١٣م)، ونشأ في قريته التي ولد فيها وهي مرغلان ، وطلب العلم فيها، ثم نفته السلطات الشيوعية إلى أوكرانيا لمدة سنتين ، عاد بعدها إلى مدينته عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) ، وتجدر الإشارة إلى أن الشيخ ممن جدد منهج السلف بمعتقده القويم ومنهجه السليم ، لذا فإنه قد اتهم بالوهابية من قبل خصومه .

ـ **شيوخه** :تعلم على يد الشيخ « خُل محمد قاري » ، وقد كان كفيف البصر . يقول الشيخ عبدالحكيم : إن شيخه (خُل) يعتبر أعلم رجل في آسيا الوسطى قبل وفاته عام ١٣٥٧هـ (١٩٣٨م) ، وقد أخذ عنه علوم القرآن الكريم والتفسير والحديث وغيرها . كما أخذ عن الشيخ عبدالرحمن قاري ، والشيخ سليمان قاري حميد حجة ، وغيرهم .

ـ **تلامذته** : تتلمذ على يديه كثير من علماء اليوم ، فقد كان الشيخ أول من بدأ بأسلوب الحجرات والتعليم سراً وذلك عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) تقريباً ؛ لذا فقد تتلمذ على يديه العشرات ممن يحملون راية العلم اليوم منهم الشيخ عبدالولي أنديجاني ، والشيخ عبدالله أوته ، والشيخ ذكر الله بن سلمان قاري ، والشيخ كمال الدين حسن عبدالرحمن، كما تتلمذ على

(١) التقى به الباحث في منزله حيث حل ضيفاً عنده عندما زار مدينة مرغلان ، بوادي فرغانه في شهر ربيع الآخرة من عام ١٤١٥هـ (١٠ / ١٩٩٤م) .

يديه أيضاً العلامة رحمة الله قاري ـ رحمه الله ـ ، وغيرهم كثير ، ولايزال الشيخ يُربّي ويعلم الطلاب في منزله، رغم كبر سنه، إذ أنه تجاوز الثمانين .

(٢) العلامة الشيخ رحمة الله قاري[1] ـ رحمه الله ـ :

أثنى الشيخ عبدالولي أنديجاني ، على العلامة الشيخ رحمة الله ثناءً كبيراً ، وقد كانا أخلاء وأخذا العلم معاً عن الشيخ عبدالحكيم شيخ مشايخ أوزبكستان .

ولد العلامة رحمة الله عام ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) تقريباً ، عن أسرة متأثرة بالشيوعية ولم تشجعه على العلم ، لكنه نبغ وبرز في العلم وتحصيله منذ نعومة أظافره .

ـ شيوخه : تتلمذ العلامة رحمة الله على يد الشيخ عبدالحكيم مرغلاني ، ثم رحل إلى طاجكستان حيث أخذ عن الشيخ رحمة الله هندستاني مولوي والشيخ عبدالرشيد ، كما أخذ أيضاً عن الشيخ سليمان قاري طشقندي ـ رحمه الله ـ .

ـ جهوده في الدعوة : تميز الشيخ بمعتقده السلفي ، وفكره الحركي ، ومنهجه الشمولي ، ومن نشاطه مايلي :

ـ نشط العلامة في بيان المنهج الصحيح القائم على الكتاب والسنة ، ومحاربة البدعة ، فاتهم بالوهابية .

ـ أسهم الشيخ في تأليف العديد من الكتب باللغة الأوزبكية ، والتي

(١) أفاد بتلك المعلومات الشيخ عبدالولي أنديجاني وغيره .

انتشرت انتشاراً كبيراً ، منها كتاب « مادين الإسلام ؟ » وهو مزيج من العقيدة والفقه ، وكتاب « جناح الطالب » في اللغة والصرف .

- يذكر العديد من طلاب العلم أن العلامة رحمة الله ، والشيخ عبدالولي سهّلا على الطلاب العلم ، ونقلاه إلى الأوزبكية كتابة أو مشافهة في وقت كانت الكتب الموجودة - رغم قلتها - يصعب الاستفادة منها بشكل مباشر ، إذ أنها مكتوبة باللغة الأوزبكية بالحرف العربي ، أو باللغة العربية .

- تميز الشيخ بنشاطه المتوقد في التربية والتعليم من خلال الحجرات ، فقد كان يتنقل بين أنديجان ونامنجان وطشقند وفرغانة للتدريس في الحجرات زمن الشيوعية ، بالإضافة إلى تدريس بعض مؤلفاته ، فقد كان الشيخ يدرِّس بعض مؤلفات الشيخ « أبو الأعلى المودودي » [1] ، ومؤلفات الأستاذ « سيد قطب » [2] - رحمهما الله - .

---

(١) الشيخ أبو الأعلى المودودي : كان رئيس الجماعة الإسلامية وأميرها في باكستان ، ولد في عام ١٣٢١هـ الموافق (٢٥ سبتمبر ١٩٠٣م)، في إمارة حيدر آباد دكن بالهند ، فهو زعيم سياسي ، ومصلح إسلامي ، له من الكتب (الجهاد في سبيل الله) وكتاب (فهم القرآن) و (المرأة في الإسلام) وكتاب (الحكومة والخلافة) وغيرها . (انظر كتاب قادة الفكر الإسلامي عبر القرون/ تأليف عبدالله بن سعد الرويشد / ص ٦٠٩ - ٦١٩ ، الناشر : رابطة الأدب الحديث) .

(٢) الأستاذ سيد قطب (١٣٢٤ - ١٣٨٧هـ ، ١٩٠٦ - ١٩٦٧م) : باحث إسلامي مصري ، تخرج بكلية دار العلوم بالقاهرة . . أوفد في بعثة لدراسة برامج التعليم في أميركه ، ولما عاد انتقد البرامج المصرية ، وطالب ببرامج تتفق والفكرة الإسلامية . انضم إلى الإخوان المسلمين ، فترأس قسم نشر الدعوة ، وتولى تحرير جريدتهم وسجن معهم إلى أن صدر الأمر بإعدامه فأعدم - رحمه الله رحمة واسعة - من آثاره : العدالة الاجتماعية في الإسلام ، مشاهد القيامة في القرآن ، في ظلال القرآن ، معالم في الطريق ، المستقبل لهذا الدين (معجم المؤلفين : ١/ ٨٠٤) .

وفـاته : كانت السلطات الشيوعية تراقب الشيخ وتحركه في الدعوة ، لذلك فقد عمدوا إلى اغتياله ، وتتلخص عملية الاغتيال تلك بأن أرسلوا إليه أحد عملائهم بسيارة شحن كبيرة فصدمته وهو في طريقه من وادي فرغانة إلى طشقند ، ومما يؤكد ذلك أنه لم يقدم له العلاج عندما أسعف إلى المستشفى ، إذ أن إصابته لم تكن بليغة إلا أنه تُرك ينزف دماً ، ولم يُسمح لأهله بالدخول عليه حتى فاضت روحه إلى باريها ، وكان ذلك عام ١٤٠١هـ (١٩٨١م) .

وشيّعت جنازته في وادي فرغانه ، وحضرت جموع الناس مثواه الأخير في مشهد مهيب وجمع غفير لم تشهد مدن وادي فرغانه مثيلاً له ، رحمه الله رحمة واسعة وأنزله منازل الصديقين والشهداء ، اللهم آمين .

(٣) الشيخ عبدالولي أنديجاني [1] :

ولد الشيخ عبدالولي في مدينة أنديجان عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩م) ، وكانت همة الشيخ عالية في طلب العلم منذ نعومة أظفاره .

ـ شيوخه : رحل الشيخ إلى عدة مدن طلباً للعلم ، فقد أخذ العلم عن الشيخ عبدالحكيم قاري في مرغلان ، وكان من تلاميذه النجباء ، ثم رحل إلى طاجكستان حيث أخذ عن الشيخ رحمة الله هندستاني مولوي ، والشيخ عبدالرشيد ، وغيرهما .

---

(١) التقى به الباحث في شهر ربيع الآخرة من عام ١٤١٥هـ (أكتوبر ١٩٩٤م) في منزله ، وقد أفاد بتلك المعلومات بعض طلابه أمثال الشيخ عبدالغفور ، والشيخ عبدالأحد ، وغيرهما .

- تلاميذه : للشيخ عدد كبير من التلاميذ ، فقد كان نشطًا في تعليم الطلاب في الحجرات ، خلال العهد الشيوعي وبعده ، ومن تلاميذه الشيخ محمد رجب في خوقند ، والشيخ عبدالأحد إمام نامنجان ، والشيخ عبدالعزيز منصور ، والشيخ رحمة الله بن قاسم ، والشيخ عبدالغفور ، والشيخ أعظم خان دهنوي الترمذي ، والشيخ أكرم خان دهنوي الترمذي ، والشيخ مختار جان القوقندي ، والشيخ ثابت خان دهنوي الترمذي ، والشيخ محمد جان النامنجاني ، والشيخ محمد خان السمرقندي ، وغيرهم كثير .

- جهوده في الدعوة :

- كان الشيخ شعلة متقده وهمة عالية في التربية والتعليم ، فكثير من علماء اليوم والدعاة والعاملين للإسلام في عموم أوزبكستان هم ثمرة جهوده المباركة منذ عهد بعيد ، فقد كان مدرسة بحق .

- تميز الشيخ بالعمل على إحياء السنة وقمع البدعة من خلال دروسه العامة والخاصة ، لذا فقد وجد خصومة شديدة من أصحاب البدع والضلالات ، الذين اتهموه بالوهابية .

- كان الشيخ إمامًا وخطيباً للمسجد الجامع وسط نامنجان ، حيث يقصده كثير من الناس للعلم والفتيا .

- يلقي الشيخ بعض الدروس العامة والتي تتميز بسلامة المنهج ، وغزارة العلم ، وشمول الطرح ، والتي يقصدها مئات الناس .

ـ أسس الشيخ مدرسة مسجد نامنجان ، حيث يتلقى فيها عشرات الطلاب العلم الشرعي .

(٤) الشيخ يحيى بن إسماعيل بن عثمان حاجي [١] :

الولادة والنشأة : ولد الشيخ عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) ، وترعرع في أسرة محافظة على الدين والعلم ، فقد كان والده حافظاً لكتاب الله الكريم ، ويعلم أبناء المسلمين ويحفّظهم القرآن سراً منذ عام ١٣٦٩هـ (١٩٥٠م) تقريباً .

شيوخه : درس الشيخ يحيى في مرغلان على يد والده ، وعلى يد الشيخ عبدالحكيم مرغلاني ، ثم درس في مدرسة مير عرب في بخارى ، وفي عام ١٣٨٧هـ (١٩٦٧م) أرسل من طرف الإدارة الدينية ، حيث عُيّن إماماً في أحد مساجد مدينة قرغيزيا ، وخدم في ذلك المسجد لمدة ثلاث سنوات ، ثم درس في المعهد العالي للإمام البخاري من عام ١٣٩١هـ إلي ١٣٩٤هـ (١٩٧١ ـ ١٩٧٤م) ، وبعدها عُيّن إماماً لمسجد الإمام الترمذي بطشقند . ويذكر الشيخ بعض شيوخه فيقول : « تعلمت القرآن الكريم على يد الشيخ حافظ شهاب الدين قاري ، والحديث الشريف على يد الشيخ عبدالغني ، وكذلك المفتي مختار عبدالله [٢] ، أما النحو والتفسير فأخذته عن الشيخ عبداللطيف ، وهؤلاء كلهم في مدرسة « مير عرب » .

---

(١) التقى الباحث بالشيخ يحيى إسماعيل في منزله وذلك في شهر ربيع الآخرة ١٤١٥هـ (أكتوبر من عام ١٩٩٤م) .

(٢) وهو المفتي الذي عُين بعد رحيل الشيخ محمد صادق .

أما في معهد الإمام البخاري فقد كان شيوخنا : الشيخ يوسف خان ، أخذنا عنه البلاغة والنحو ، والشيخ عبدالغني عبدالله أخذت عنه العربية ، أما الفقه فأخذته عن الشيخ إسماعيل مخدوم ، وقد توفاهم الله تعالى جميعاً » .

تلامذته : للشيخ نشاط جيد في مجال تحفيظ القرآن الكريم في مسجده حيث يشرف على حلقة تضم العشرات من الفتية والشباب ، وقد حفظ بعضهم القرآن الكريم كاملاً على يد الشيخ ، ويذكر الشيخ بعض الطلاب المجدين في حلقته فيقول : منهم نور الدين بن حكمت ، ومساعيد .

كما حرص الشيخ على تعليم أبنائه وأبناء أقاربه ، فقد حفظ ابن أخته القرآن الكريم كاملاً على يديه وهو ابن ست سنوات ونصف ! كما حفظت القرآن الكريم على يديه ابنتُه التي فازت في مسابقة حفظ القرآن الكريم بمكة المكرمة ، وحصلت أيضاً على جائزة من طرف دولة الكويت ، وكانت الجائزة حج بيت الله الكريم .

(٥) الشيخ محمد رجب [1] :

ولد الشيخ في مدينة قوقند عام ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) تقريباً ، وتلقى العلم سراً في حجراتها ، ورحل إلى مرغيلان ، وطاجكستان ، طلباً للعلم .

- شيوخه : تتلمذ على يد الشيخ عبدالحكيم مرغلاني ، وأخذ عن الشيخ عبدالولي أنديجاني ، كما أخذ عن الشيخ آخن جان قاري في مدينته

(١) أفاد بتلك المعلومات أحد تلامذته ، وهو الطالب أمين محمد ، الذي التقى معه الباحث في المدينة المنورة ، يوم الأربعاء ٢٨ ذي القعدة (١٤١٦هـ) الموافق ١٧/ ٤/ ١٩٩٦م) .

قوقند .

- **تلاميذه** : تتلمذ على يديه كثير من طلاب العلم في حجرات قوقند ، منهم محمد صديق بن صادق ، ونصرة الله بن آخن ، وأمين محمد ، وغيرهم .

- **جهوده في الدعوة** : كانت للشيخ همة عالية ، في البذل والعطاء للدعوة والعلم الشرعي .

- درّس الكثير من طلاب العلم في الحجرات ، بمدينة قوقند أيام الحكم الشيوعي .

- تولى إمامة المسجد الجامع وسط مدينة قوقند عندما توفى شيخه آخن جان قاري ، بعد أن طلب منه الناس ذلك .

- أسس الشيخُ العديد من المدارس الشرعية في مدينة قوقند ، منها :

- مدرسة كمالات .

- مدرسة كمال قاضي .

- فروع في عدة قرى لمدرسة كمالات .

استمرت تلك المدارس أربع سنوات ، وتخرج منها بعض الطلاب ، لكنها أغلقت بعد ذلك ، وفُقد الشيخ .

(٦) الشيخ محمد صادق محمد يوسف[1] :

يبلغ الشيخ محمد صادق من العمر خمسين عاماً تقريباً ، وقد درس في

(١) التقى الباحث بالشيخ محمد صادق عدة مرات في طشقند ومكة المكرمة وغيرها .

مراحل عمره الأولى بمدرسة مير عرب في بخارى ، ثم استكمل دراساته الشرعية في ليبيا .

- **شيوخه** : درس على يد العديد من العلماء في مدرسة مير عرب ، كما أنه درس على يد الشيخ عبدالحكيم قاري مرغلاني في الحجرة ، وأخذ عن بعض علماء ليبيا في المغرب العربي .

- **تلاميذه** : أخذ عنه كثير من التلاميذ في مدرسة مير عرب ، كما أنه درّس في معهد الإمام البخاري بطشقند .

- **جهوده في الدعوة** :

- تولى الشيخ الإفتاء ورئاسة الإدارة الدينية ، لعموم المسلمين في آسيا الوسطى وقازاقستان ، حيث تم انتخابه عام (١٩٩٠م) .

- نشط الشيخ في مجال الدعوة خلال رئاسته للإفتاء والإدارة الدينية وحقق الكثير من الإنجازات ، فقد بنيت مئات المساجد عن طريق الإدارة الدينية في عهده ، كما طبع كثيرٌ من الكتب الشرعية باللغات المحلية ، وتنفس المسلمون بعض نسائم الحرية وخصوصاً في مجال أداء الشعائر ، كما نظمت الإدارة شؤون الحجاج وأدى مئاتُ الأوزبك هذه الفريضة بيسر وأمان ، كما قام الشيخ بتأليف بعض الكتب الفقهية باللغة الأوزبكية .

- اعتذر الشيخ عن مواصلة عمله في رئاسة الإفتاء والإدارة الدينية ، وغادر إلى مكة المكرمة عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) .

(٧) الشيخ عابد خان بن ثابت [١] :

يقول الشيخ : « اسمي عابد خان بن ثابت ، ولدت في مدينة مرغلان سنة ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) ، وتربيت في بيت مسلم ـ والحمد لله ـ على يد أبوين مسلمين ، لم يكونا عالمين ، ولكن كان ـ ولله الحمد ـ عندهما الإخلاص والمحبة للدين ؛ تربيت عندهما منذ نعومة أظفاري على الدين الإسلامي الحنيف ، ثم درست على يد أستاذي « محمد خان » ـ رحمه الله ـ حيث كنت أتردد على منزله سراً خلال دراستي في المرحلة الثانوية ، درست معه بعض أحكام الإسلام ، وحفظت شيئاً من القرآن الكريم ، ثم سافرت إلى طشقند حيث درست في معهد الإمام البخاري أربع سنوات ، ثم عينت إماماً في مسجد الإدارة الدينية وهو مسجد (تالله شيخ) مايقرب من خمس سنوات ، ثم انتقلت منه عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م) حيث عملت في هذا المسجد » ـ وهو مسجد توختباي في وسط طشقند ـ .

ـ **شيوخه** : أثناء دراسته في المدرسة الحكومية الثانوية ، كان الشيخ يرتاد منزل شيخه « محمد خان » ، حيث تعلم منه قراءة القرآن وتجويده ، وبعد أن حفظ جزأين منه ، درس اللغة العربية ، حيث تعلم طريقة نطق الحروف ، والنحو والصرف ، ثم الفقه ، وفي ذلك يقول الشيخ : « فقط درست عند شيخ واحد ، والتزمت معه ثم سافرت إلى طشقند حيث التحقت بمعهد الإمام البخاري ، وهناك كان لي من الأساتذه الكثير ، منهم الشيخ صلاح عبده قاري ، والشيخ محمد صادق محمد يوسف

(١) التقى معه الباحث عدة لقاءات في مسجده الكائن وسط العاصمة طشقند ، وذلك في شهر ربيع الآخرة من عام ١٤١٥هـ (٩ ، ١٠ / ١٩٩٤م) .

وغيرهم » .

- **تلاميذه** : للشيخ مجموعة من التلاميذ في مدرسته التي تقع في مسجده ، وهي مدرسة أهلية يُدرس فيها بعض المتطوعة من طلاب العلم ، في حلقات منتظمة يومية في المسجد ، حيث يدرسون القرآن الكريم ، والنحو ، والفقه ، وغيره من علوم الشريعة ، ومن تلاميذه النجباء ، طاهر خان ، وهو نائبه إذا غاب ، وكذلك أنس خان بن محمود ، وهو تلميذ نجيب يجيد العربية ويلازم الشيخ .

(٨) الشيخ عوض خان بن حيدر [١] :

الشيخ عوض خان من كبار شيوخ أوزبكستان ، ولد في مدينة ترمذ عام ١٣٥٦هـ (١٩٣٧م) ، ونشأ في أسرة محافظة على الدين ، مُحبّة للعلم، والتحق بمدرسة « مير عرب » حيث درس فيها تسع سنوات [٢] .

- **شيوخه** : أخذ عن الشيخ عبدالحكيم قاري ، والشيخ عبدالرحيم قاري ، والشيخ شهاب الدين قاري ، والشيخ محمد أمين الطشقندي ، والشيخ فضل خوجا الطشقندي ، والشيخ إسماعيل قاري النامنجاني ، وقد كانت أعمار بعضهم حين أخذ عنهم العلم تقارب الثمانين - كما يذكر الشيخ - .

---

(١) أجرى اللقاءُ في العاصمة طشقند بمسجد يونس آباد بتاريخ ١٠ محرم ١٤١٦هـ (٨/ ٦/ ١٩٩٥م) .

(٢) يذكر الشيخ أن مدة الدراسة في مدرسة ميرعرب في ذلك الوقت ، تستغرق تسع سنوات ثم اختُصرت إلى سبع سنوات بعد أن فتح معهد الإمام البخاري بطشقند .

- **تلاميذه** : تتلمذ على يد الشيخ عدد كبير جداً من الطلاب ، فقد كان عدد الطلاب في المدرسة التى أدارها يزيد عن (١٨٠) طالباً ، وقد أخذ عنه أغلبُهم .

(٩) الشيخ عبدالأحد بن محمد جان بن عبدالمنان النامنجاني[1]:

ولد الشيخ عبدالأحد عام ١٣٧٧هـ (١٩٥٨م) في مدينة نامنجان ، ونشأ وترعرع فيها .

- **شيوخه** : تتلمذ على يد الشيخ عبدالحكيم قاري المرغلاني ، وعلى يد الشيخ عبدالولي أنديجاني ، إذ أنه تلميذه النجيب .

- **تلاميذه** : أخذ عنه عدد كبير من الطلاب ، نذكر منهم الشيخ كمال بن هاشم ، والشيخ نجم الدين ، ومحمد علي .

- **جهوده في الدعوة** : نشط الشيخ في مجال الدعوة إلى الله في مدينته ؛ فهو إمام مسجد نامنجان الجامع وخطيبه ، ويقصده الناس للفتيا .

- كان للشيخ عمل واضح في التربية والتعليم من خلال الحجرات خلال العهد الشيوعي البائد .

- أنشأ الشيخ بعض المدارس في نامنجان ، ومنها المدرسة التي في

---

(١) التقى به الباحث في مدينة نامنجان في شهر ربيع الآخرة ١٤١٥هـ (أكتوبر عام ١٩٩٤م) .

مسجده حيث يقصدها عشراتُ الطلاب .

(١٠) الشيخ عبداللطيف النامنجاني[1] :

ولد الشيخ عبداللطيف في مدينة نامنجان عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) ، ورحل إلى بخارى ، ثم إلى المغرب العربي طلباً للعلم .

- **شيوخه** : أخذ عن الشيخ ملا محمد أمين ، والشيخ سليمان قاري ، والشيخ فاضل خوجه .

- **تلاميذه** : أخذ عنه الشيخ يحيى بن إسماعيل بن عثمان حاجي ، والشيخ صابر جان ابن أمين ، والشيخ مصلح الدين بن مكرم ، وغيرهم .

- **جهوده في الدعوة :**

- كان للشيخ جهودٌ في التعليم في الحجرات والمدارس الشرعية .

(١١) الشيخ عمرجان القوقندي[2] :

ولد الشيخ عام ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) تقريباً في مدينة قوقند بوادي فرغانه .

- **شيوخه** : تتلمذ على يد الشيخ عبدالحكيم قاري المرغلاني ، كما أخذ عن الشيخ عبدالولي أنديجاني ، ورحل إلى طاجكستان حيث أخذ العلم

---

(١) أفاد بتلك المعلومات أحد الطلاب العرب الدارسين في مدينة طشقند .

(٢) أفاد بتلك المعلومات أحد تلاميذه حيث التقى به الباحث في المدينة المنورة في (٢٨/ ١١/ ١٤١٦هـ) الموافق (١٧/ ٤/ ١٩٩٦م) .

عن بعض علمائها .

- **تلاميذه** : درس على يديه مجموعة من طلاب العلم في مدينة قوقند، منهم أمين محمد ، وإبراهيم عبدالله ، وعبدالأحد طفيل ، ومحمد بن عبدالواحد ، وغيرهم .

- **جهوده في الدعوة** : كان للشيخ نشاط بارز في التعليم والتربية خلال العهد الشيوعي في الحجرات .

- وكان نشاطه في المدارس الشرعية بعد زوال السيطرة الشيوعية ، إلا أن نشاطه قد أوقف .

(١٢) الشيخ مختارجان القوقندي[1] :

ولد الشيخ عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٥م) تقريباً في مدينة قوقند بوادي فرغانة .

- **شيوخه** : الشيخ مختارجان - كزميله الشيخ عمر جان - درس على يد الشيخ عبدالحكيم قاري المرغلاني ، كما أخذ عن الشيخ عبدالولي أنديجاني، ورحل إلى طاجكستان حيث أخذ العلم عن بعض علمائها .

- **تلاميذه** : له عدة تلاميذ أخذوا عنه ، منهم شهاب الدين بن عثمان ، ورستم ، وخليل الله ، وأمين محمد ، وغيرهم .

- **جهوده في الدعوة** : - كان للشيخ نشاط بارز في التربية والتعليم خلال

---

(١) المصدر السابق .

العهد الشيوعي في الحجرات .

ـ كما كان له نشاط في التدريس بعد زوال الشيوعية .

(١٣) الشيخ عبدالقادر حيدر [١] :

ولد الشيخ عام ١٣٧٨هـ (١٩٥٩م) في مدينة نوائي وتقع جنوب أوزبكستان ، وتعلم العلوم الشرعية عن طريق جده الذي كان مهتماً بتعليم العلم الشرعي الابتدائي ذلك الحين ، ثم دخل مدرسة مير عرب في بخارى حيث أنهى الدراسة فيه عام ١٤٠٢هـ (١٩٨٢م) ، ثم قدم إلى العاصمة فالتحق بمعهد الإمام البخاري ، وأنهى الدراسة فيه عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م)، ثم عُين إماماً وخطيباً لمسجد « يرزي يوسف » الذي يُعد من أكبر مساجد العاصمة طشقند .

ـ **شيوخه** : درس الشيخ على يد كثير من العلماء ، منهم الشيخ عبداللطيف ، والشيخ رحمة الله ، والشيخ محمد صادق ـ المفتي السابق للبلاد ـ وغيرهم .

ـ **تلامذته** : للشيخ كثير من التلاميذ الذين أنهوا دراستهم في مدرسة ميرعرب ، وهم الآن يدرسون في المدرسة التابعة للمسجد وتسمى مدرسة « يرزي يوسف » .

(١٤) الشيخ عابد خان بن عبدالأحد الترمذي [٢] :

---

(١) أجري اللقاء في مسجد « يرزي يوسف » في العاصمة طشقند .

(٢) أفاد بتلك المعلومات أحد طلابه .

ولد الشيخ عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) ، ودرس في الحجرات أيام العهد الشيوعي ثم درّس فيها ، وكان شغله الشاغل إدارة الحجرات وترتيب شؤونها ، وقد كانت عنده ثلاث أو أربع حجرات يدرس فيها الطلاب .

- **شيوخه** : درس في طاجكستان على يد الشيخ نور الدين ، كما درس في ترمذ على يد الشيخ عالم خان ابن عبدالله الترمذي ، ورحل إلى مدينة أنديجان عام ١٤١١هـ (١٩٩٠م) من أجل حفظ القرآن الكريم .

- **تلاميذه** : تتلمذ على يديه كل من عصام الدين بن عناية الله ، وحجة الله ، وفخر الدين ، وعبدالملك ، وجميعهم من مدينة ترمذ .

(١٥) الشيخ عالم خان بن عبدالله الترمذي[1] :

ولد الشيخ عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) ، وتلقى العلم في مدينة ترمذ ثم رحل إلى وادي فرغانه حيث درس في مدينة أنديجان ومدينة مرغيلان .

- **شيوخه** : أخذ العلم عن الشيخ عبدالحكيم قاري مرغيلاني ، والشيخ عبدالولي أنديجاني ، وغيرهما .

- **تلاميذه** : أخذ عنه عابد خان بن عبدالأحد ، وعصام الدين بن عناية الله ، وحكمة الله بن عبدالحكيم ، وغيرهم .

- **جهوده في الدعوة** : - كان همه تربية الطلاب ، وتعليمهم في الحجرات ، أيام العهد الشيوعي البائد .

- نشط الشيخ في التدريس بالمدارس الشرعية بعد تفكك ما كان يسمى

(١) أفاد بتلك المعلومات أحد طلابه .

الاتحاد السوفيتي .

(١٦) الشيخ عبدالجبار بن فضل الله خان [١] :

المولد والنشأة : ولد الشيخ في طشقند عام ١٣٨٨هـ (١٩٦٨م) ، وتلقى العلم الشرعي في الحجرات ، وتعلم اللغة العربية في معهد الاستشراق مع صديقيه روح الدين وأدهم ، ويدرس روح الدين حالياً في أحد المساجد ويخطب فيه ، أما صديقه أدهم فيُدرس في أحد المدارس الثانوية .

والشيخ عبدالجبار ذو مستوى جيد في العلم الشرعي ، ويعمل إماماً وخطيباً في مسجد المبيا ، الذي بُني منذ سنة ونصف ، ويعتبر من أحدث مساجد العاصمة طشقند [٢] .

- **تلاميذه** : للشيخ عدد كبير من التلاميذ ، إذ يبلغون حوالي (١٢٠) طالباً في مناطق مختلفة ، فهو يُدرس بعضهم في المساجد ، وبعضهم في بيته ، وبعضهم في منازلهم ، وهم على مستويات مختلفة من العلم .

(١٧) الشيخ كمال الدين حسن عبدالرحمن [٣] :

---

(١) أجري اللقاء بتاريخ ٩ محرم ١٤١٦هـ (٧/ ٦/ ١٩٩٥م) ، بمسجد المبيا الكائن في شمال غرب طشقند .

(٢) هذا المسجد تتبعه مدرسة من أكبر المدارس الشرعية للبنات في طشقند ، إذ يبلغ عدد طالباتها (١٢٠) طالبة .

(٣) أجرى اللقاء بتاريخ ١٥ محرم ١٤١٦هـ (١٣/ ٦/ ١٩٩٥م) في مدينة نامنجان .

المولد والنشأة : ولد الشيخ في مدينة أنديجان عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٧م)، وتتلمذ على يد الشيخ نور الدين محمد ، والشيخ عبدالولي أنديجاني ، وغيرهم ، وهو يحفظ نصف القرآن ، ويتحدث العربية .

- **تلاميذه** : للشيخ مجموعة من الطلاب، الذين يعلمهم القرآن الكريم في مسجد الشيخ عبدالولي بأنديجان وغيره ، يزيد عدد أولئك الطلاب عن عشرين طالباً ، منهم الطالب جمال الدين الذي يحفظ عشرة أجزاء من كتاب الله الكريم .

(١٨) الشيخ معروف جان[1] :

ولد الشيخ معروف جان في مدينة طاجكستان عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م)، ونشأ وترعرع فيها ، حيث تعلم في حجرات العاصمة دوشنبه، ورحل إلى وادي فرغانه طلباً للعلم ، ثم استقر في العاصمة طشقند ، لكنه حالياً سجين في طاجكستان .

- **شيوخه** : أخذ عن عدة علماء ، منهم الشيخ عبدالحكيم المرغيلاني .

- **تلاميذه** : أخذ عنه عدد كبير من الطلاب ، منهم سعيد كريم بن عبدالملك ، وأحمد جان بن أكرم قاري ، وعبدالوهاب جلال الدين ، وجميعهم يدرِّسون في طشقند ، كما أخذ عنه عبدالباري ، وحبيب الله ،

(١) أفاد بتلك المعلومات أحد الإخوة العرب الدارسين في طشقند .

وغيرهم .

- **جهوده في الدعوة** : نشط الشيخ في التربية والتعليم في الحجرات خلال فترة الحكم الشيوعي ، وبعده .

(١٩) الشيخ علاء الدين منصور [١] :

ولد الشيخ علاء الدين عام ١٣٧٣هـ (١٩٥٤م) في مدينة قره سو ، وتعلم في الحجرات ثم رحل إلى وادي فرغانه .

- **شيوخه** : أخذ عن الشيخ عبدالحكيم قاري مرغيلاني ، والعلامة الشيخ رحمة الله - رحمه الله - .

- **تلاميذه** : أخذ عنه الشيخ يحيى بن إسماعيل بن عثمان حاجي ، وغيره .

(٢٠) الشيخ يوسف جان بن شاكر [٢] :

ولد الشيخ يوسف جان في مدينة بشكيك عام ١٣٥١هـ (١٩٣٢م) ، وتعلم في الأزهر الشريف ، وفي معهد العلوم الشرقية بطشقند ، وهو يعمل حالياً في الإدارة الدينية بطشقند .

- **شيوخه** : أخذ عن أبيه ، وعمه ، وكانا عالمين ، كما أخذ عن الشيخ ملا محمد أمين ، والشيخ فاضل خوجه .

---

(١) المصدر السابق .

(٢) أفاد بتلك المعلومات أحد الطلاب العرب بمدينة طشقند .

- **تلاميذه** : أخذعنه الشيخ يحيى بن إسماعيل بن عثمان حاجي ، ومصلح الدين بن مكرم ، وشكر الله ، وحبيب الله بن صالح ، وغيرهم .

- **جهوده في الدعوة** : - كان للشيخ جهود في التعليم في الحجرات والمدارس الشرعية .

- عمل الشيخ في الإدارة الدينية بعد زوال السيطرة الشيوعية .

(٢١) الشيخ عبدالعزيز مراد [١] :

ولد الشيخ عبدالعزيز مراد في مدينة خوقند عام ١٣٤٢هـ (١٩٢٤م) تقريباً ، وتعلم في الحجرات بمدينته .

- **شيوخه** : أخذ عن عدة مشايخ ، منهم الشيخ سليمان قاري حميد حجه .

- **تلاميذه** : أخذ عنه الشيخ عبدالواحد ، الذي يسكن في محافظة طشقند ، كما أخذ عنه الشيخ أحمد جان ، الذي يسكن في جوليستان .

- **جهوده في الدعوة** : التعليم في الحجرات .

(٢٢) الشيخ نجم الدين بن سراج الدين [٢] :

ولد الشيخ نجم الدين عام ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) في مدينة نامنجان ، وتعلم في حجراتها .

(١) المصدر السابق .

(٢) أفاد بتلك المعلومات أحد الطلاب العرب الدارسين في طشقند .

- **شيوخه** : أخذ عن الشيخ هاشم ، وغيره .

- **تلاميذه** : عنده مجموعة من الطلاب يأخذون عنه .

(٣٣) الشيخ هاشم[١] :

ولد الشيخ هاشم في مدينة نامنجان عام ١٣٧٤هـ (١٩٥٤م) ، ورحل إلى مرغيلان طلباً للعلم .

- **شيوخه** : أخذ عن الشيخ عبدالحكيم قاري المرغيلاني .

- **تلاميذه** : أخذ عنه الشيخ نجم الدين بن سراج الدين .

(٣٤) الشيخ كمال بن هاشم[٢] :

ولد الشيخ كمال عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) في مدينة نامنجان ، ورحل إلى مرغيلان طلباً للعلم .

- **شيوخه** : أخذ عن الشيخ عبدالحكيم قاري المرغيلاني ، والشيخ عبدالولي أنديجاني .

- **تلاميذه** : له مجموعة من الطلاب يأخذون عنه .

(٣٥) الشيخ روح الدين :

ولد الشيخ روح الدين عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) في العاصمة طشقند ،

(١) أفاد بتلك المعلومات أحد الطلاب العرب الدارسين في طشقند .

(٢) المصدر السابق .

ورحل إلى دولة الكويت حيث تعلم بالمعهد الديني ، كما تعلم في طشقند أيضاً .

- **شيوخه** : أخذ عن مجموعة من المشايخ في الكويت ، كما أخذ عن الشيخ عابد خان عندما رجع إلى طشقند .

- **تلاميذه** : له مجموعة من الطلاب يأخذون عنه .

- **جهوده في الدعوة** : - الشيخ روح الدين إمام مسجد في طشقند .

- له جهود في التربية والتعليم في المدارس الشرعية بطشقند[1] .

(٢٦) الشيخ أعظم خان بن عبدالرحمن[2] - رحمه الله - :

ولد الشيخ أعظم خان عام ١٣١٦هـ (١٨٩٨م) ، وتوفى عام ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) عن عمر يناهز الثامنة والتسعين .

كان الشيخ حافظاً لكتاب الله عز وجل ، وقد عمل على تحفيظ التلاميذ لكتاب الله في حجرته الكائنة بمنزله في قرية كاسان التابعة لمحافظة نامنجان ، ومن تلاميذه رحمة الله بن أحمد ، ويُذكر أن الشيخ أخذ العلم عن أبيه .

(٢٧) الشيخ محمد يوسف بن مقسوم[3] :

(١) أفاد بذلك أحد الطلاب العرب الدارسين في العاصمة طشقند .

(٢) أفاد بذلك تلميذه رحمة الله بن أحمد ، الذي التقى معه الباحث في المدينة المنورة ، بتاريخ ٢٨/ ١١/ ١٤١٦هـ الموافق (١٧/ ٤/ ١٩٩٦م) .

(٣) المصدر السابق .

ولد الشيخ عام ١٣٧٦هـ (١٩٥٦م) ، وهو شاعر وأديب باللغة الفارسية ، كما أنه خطيب مفوه ، وله نشاط طيب في الدعوة إلى الله ، في محلته مست جاه في وادي فرغانه .

(٢٨) المعلم أدهم خان[1] :

ولد أدهم خان عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) في مدينة طشقند ، وتعلم في معهد العلوم الشرقية بجامعة طشقند ، كما تعلم في مساجد طشقند .

- **شيوخه** : أخذ عن الشيخ عابد خان ، وغيره .

- **تلاميذه** : يدرّس في أحد المدارس الثانوية ، حيث عنده مجموعة من الطلاب يأخذون عنه .

(٢٩) الشيخ عبدالغفور أنديجاني :

ولد في مدينة أنديجان عام ١٣٨١هـ (١٩٦١) ، ويعمل حالياً نائباً عن الشيخ عبدالولي في مسجده الجامع ، وهو يجيد العربية ويتحدثها بطلاقة ، وله جهود طيبة في ترجمة بعض الكتب من العربية إلى الأوزبكية .

- **شيوخه** : تتلمذ على يد عدة شيوخ ، أهمهم الشيخ عبدالولي أنديجاني .

- **تلاميذه** : عنده مجموعة كبيرة من الطلاب يأخذون عنه .

---

(١) أفاد بتلك المعلومات أحد الطلبة العرب الدارسين في العاصمة طشقند .

(٣٠) الشيخ ذِكْرُ الله ، ووالده الشيخ عبدالملك قاري [١] :

ولد الشيخ ذِكْر الله في مدينة دوشنبه عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) ، وهو من أصل أوزبكي ، وقد درس على يد أبيه الذي يحفظ القرآن الكريم ، ويعلّمه للشباب والفتية في دوشنبه .

أما والده فهو الشيخ عبدالملك قاري من مواليد عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م)، تلقى العلم على يد الشيخ شهاب الدين قاري في مدينة أنديجان ، ويتكلم العربية بشكل متوسط ، ولديه عدد من الطلاب يدرسهم العلم في مسجد ضياء الدين خان ، وهو ذو ثقافة جيدة ، واطلاع واسع في مجال التاريخ بشكل خاص .

(٣١) الشيخ سيف الله إمام [٢] :

ولد في مدينة دوشنبه عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) وهو من أصل أوزبكي ، وقد درس في الحجرة في دوشنبه ، ثم تابع دراسته في إحدى المدارس المتوسطة ، وتلقى العلم على يد الشيخ عبدالقادر خان .

وهو من حفظة القرآن الكريم عن ظهر قلب ويحفظ كثيراً من الأحاديث النبوية الشريفة ، وذو مستوى متوسط في اللغة العربية . ويشرف الشيخ على مشروع تحفيظ القرآن الكريم الذي ينظمه مكتب «مؤسسة سار» في

(١) أجري اللقاء في ٢٩ ذي القعدة ١٤١٥هـ (٢٩/ ٤/ ١٩٩٥م) بمسجد ضياء الدين خان في العاصمة طشقند .

(٢) أجري اللقاء في ٨/ ١/ ١٤١٦هـ (٥/ ٦/ ١٩٩٥م) بمسجد ضياء الدين خان في العاصمة طشقند .

العاصمة طشقند ، حيث إن لديه عشرات الطلاب الذين يدرسون القرآن الكريم وعلومه منهم اثنان يحفظان حتى إعداد هذه المعلومة ثلاثة عشر جزءاً. كما يشرف الشيخ على مسجد ضياء الدين خان الذي هو من أكبر مساجد طشقند.

(٣٣) الأستاذة : إقبال خان بنت إسماعيل بن عمر [1] (مديرة مدرسة ضياء الدين خان للبنات) :

- **المولد والنشأة** : هي من مواليد العاصمة طشقند لعام ١٣٧٥هـ (١٩٥٦م) ، حيث نشأت في أسرة مُحبّة للعلم ، ثم أكرمها الله تعالى بزوج صالح حريص على العلم .

- **الشيوخ** : تلقت التعليم في إحدى المدارس المتوسطة ، ثم تابعت التعلم على يد أخيها ، ثم على يد زوجها الذي يحفظ كتاب الله تعالى عن ظهر قلب .

- **التلاميذ** : من تلاميذها ابنها شرف الدين الذي يحفظ القرآن الكريم عن ظهر قلب ، وابنتُها التي تحفظ عشرين جزءًا ، ومن تلميذاتها النجيبات الأستاذة حسينة بن مارغوف علي مامو ، التي أنهت تعليمها من كلية الهندسة بجامعة طشقند، ثم تلقت العلم على يد الأستاذة إقبال حتى حفظت أجزاء من القرآن الكريم وأجادت جوانب من العلم الشرعي، ثم أجيزت للعمل كمدرسة في المدرسة التي تديرها الأستاذة إقبال .

---

(١) تم اللقاء بها بتاريخ ١١/ ١/ ١٤١٦هـ (٨/ ٦/ ١٩٩٥م) ، في المدرسة التي تديرها في العاصمة طشقند .

كما أن للأستاذة إقبال الكثير من الطالبات والتلميذات اللاتي يتلقين العلم على يديها وعلى يد غيرها من الأستاذات في مدرسة ضياء الدين خان للبنات .

- شيوخ آخرون :

بالإضافة إلى ماذكرت فإن هناك العشرات من الشيوخ الذين لايتسع المجال لذكرهم ، أو أن جهود الباحث لم تصل إليهم ، أو لأسباب أخرى لم يتم ذكرهم .

ـ المطلب الثاني : طلبة العلم :

إن من الملفت للنظر زيادة أعداد طلبة العلم من الفتيان والفتيات خلال السنوات الأربع الأخيرة ، بعد أن هبت بعض نسائم الحرية فزيادة أعداد مدارس الرجال والنساء ظاهرة وجلية ، كما أن الشيوخ والعلماء نشطوا في مساجدهم من خلال الوعظ العام والحلقات العلمية ، وإن من العسير جداً استقصاء جميع طلبة العلم ، غير أنني سأعرض لنماذج من المجدين منهم :

(١) طاهر بن عبدالرحيم [١] :

هو أحد طلاب الشيخ عابد خان ونائبه ، واسمه : طاهر بن عبدالرحيم بن إبراهيم ، ويبلغ من العمر عشرين عاماً تقريباً ، وهو يتحدث العربية بمستوى متوسط ، ويعلم التلاميذ والطلاب في المسجد ، مايجيده من علوم ، كما أنه يلقي بعض المواعظ بعد صلاة العشاء يومياً .

(٢) عبدالسلام و محمدي ، ابنا الشيخ عبدالحكيم مرغلاني [٢] :

أما عبدالسلام فيبلغ من العمر خمسةً وثلاثين عاماً ، ومحمدي يبلغ الثلاثين تقريباً ، درسا على يد أبيهما ، وأخذا عنه العربية والنحو والصرف ، وقليلاً من التفسير والحديث ، حيث كانت الحجرة التي يُتلقى فيها العلم سرًا في منزلهم .

---

(١) التقى به الباحث عدة مرات خلال شهر ربيع الآخرة من عام ١٤١٥هـ (٩ ، ١٠/ ١٩٩٤م) .

(٢) التقى بهما الباحث في منزل والدهما في شهر ربيع الآخرة من عام ١٤١٥هـ (١٠/ ١٩٩٤م)

(٣) مبيّن الدين :

هو من مواليد عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥)، تتلمذ على يد الشيخ عبدالولي أنديجاني، وعلى أيدي شيوخ آخرين ، وله مجموعة من الطلاب يدرسهم في مسجد الشيخ عبدالولي، كما أنه يعمل في هيئة المسجد الجامع الكبير ، الذي يقع وسط مدينة أنديجان ، وعمله ، مساعد للشيخ عبدالولي ونائبه الشيخ عبدالغفور .

(٤) كمال الدين حسن عبدالرحمانا :

هو من مواليد مدينة أنديجان لعام ١٣٧٧هـ (١٩٥٧م) ، ، تتلمذ على يد الشيخ نور الدين محمد ، وغيره ، وله مجموعة من الطلاب يعلمهم القرآن الكريم في مسجد الشيخ عبدالولي ، منهم الطالب جمال الدين الذي يحفظ عشرة أجزاء من القرآن الكريم .

والشيخ كمال الدين يحفظ نصف القرآن ، ويتحدث بالعربية بدرجة متوسطة .

(٥) أسرار الدين بن حسن الدين علي :

ولد عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) في مدينة أنديجان ، وتلقى العلم على يد الشيخ عبدالولي ، وهو يجيد اللغة العربية وله مجموعة من الطلاب يعلمهم.

(٦) عبدالقهار تورتاييف :

ولد في طشقند عام ١٣٩٧هـ (١٩٧٧م) ، وتلقى العلم في مدرسة

كوكونداش في العاصمة طشقند ، كما تتلمذ على يد الشيخ محمد أمين الطشقندي ، وغيره ، يتحدث الأخ عبدالقهار بالعربية بشكل متوسط ، وله مجموعة من التلاميذ الصغار يعلمهم في مسجد يونس آباد بشمال طشقند .

(٧) محمود جاراه :

هو محمود عبدالسميع جاراه ، ولد في مدينة نامنجان عام ١٣٩٥هـ (١٩٧٥م)، وتلقى العلم في الحجرة على يد الشيخ عبدالأحد ، وعنده مجموعة من الطلاب يدرسهم في مدرسة معروفات في مدينة بيكاباد منذ عام ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) .

(٨) أنس بن محمود :

ولد في مدينة نامنجان عام ١٣٩٨هـ (١٩٧٨م) ، وبالرغم من صغر سنه فإنه يجيد العربية ويعلمها للتلاميذ في مسجد الشيخ عابد خان بطشقند، تتلمذ أنس على يد الشيخ عابد خان وكذلك على يد والده ، وقد رافق أنس بن محمود الباحث في جولاته بمدن أوزبكستان وقراها خلال زيارته الثانية في ربيع الآخرة ١٤١٥هـ .

(٩) محمد علي حسانوف :

ولد في مدينة نامنجان عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م) ، وتلقى العلم في إحدى المدارس الثانوية ، ثم عمل مدرساً للجغرافيا في إحدى المدارس الحكومية، ثم تتلمذ على يد الشيخ معمور بن منصور السمرقندي في الحجرة حيث أخذ عنه بعض علوم الشريعة ، وله مجموعة من الطلاب يتتلمذون على يديه .

(١٠) محمود شرف الدين رستامه :

ولد في مدينة نامنجان عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م) ، وتلقى التعليم الحكومي في مدينته حتى أخذ الإجازة الجامعية في مجال الهندسة ، ثم أخذ العلم الشرعي في الحجرة على يد الشيخ معمور بن منصور السمرقندي ، وله مجموعة من الطلاب يأخذون العلم عنه .

(١١) أمين محمد [١] :

ولد عام ١٣٩٣هـ (١٩٧٣م) بمدينه قوقند ، وهو من طلاب العلم المجدين ، تلقى العلم في الحجرات على يد مجموعة من العلماء منهم الشيخ عبدالحكيم مرغيلاني ، والشيخ رحمة الله ، والشيخ عمر جان ، والشيخ مختار جان ، والشيخ محمد رجب ، والشيخ محمد علي .

التحق الطالب أمين بكلية الدعوة وأصول الدين - قسم أصول الدين - في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) .

(١٢) عصام الدين عناية الله [٢] :

ولد عام ١٣٩٢هـ (١٩٧٢م) بمدينة ترمذ ، وتلقى العلم في الحجرات على يد مجموعة من العلماء ، منهم الشيخ عبدالولي أنديجاني ، والشيخ عابد خان بن عبدالأحد الترمذي ، والشيخ عام خان بن عبدالله الترمذي .

---

(١) التقى الباحث بالطالب أمين محمد في المدينة المنورة يوم الأربعاء ٢٨ ذي القعدة من عام ١٤١٦هـ ، الموافق (١٧/ ٤/ ١٩٩٦م) .

(٢) التقى الباحث بعصام الدين في المدينة المنورة حيث يدرس الطالب ، وكان ذلك في شهر شعبان من عام ١٤١٦هـ .

التحق بكلية الحديث في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) ، وهو من الطلاب المتفوقين فيها .

(١٣) عبدالقادر بن طاهر [١] :

ولد عام ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) ، وهو من طلاب العلم المجدين ، إذ أنه يجيد العربية والنحو ، وقد درس في الحجرات على يد الشيخ عبدالأحد نامنجاني ، والشيخ أكمل خان ، وقد كانت للطالب عبدالقادر حجرة يدرِّس فيها التلاميذ وذلك لتميّزه ـ رغم صغر سنه ـ قبل أن يلتحق بكلية الحديث في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٤هـ (١٩٩٣م) .

(١٤) رحمة الله بن أحمد [٢] :

ولد عام ١٣٨٦هـ (١٩٦٦م) بمدينة قوقند ، وحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ أعظم خان بن عبدالرحمن ، ثم رحل إلى طاجكستان حيث أخذ العلم عن الشيخ ميرزا عالم بن صالح ، والشيخ محمد يوسف بن مقسوم ، كما تلقى العلم أيضاً في وادي فرغانه على يد الشيخ عبدالولي أنديجاني ، والشيخ مبين الدين أنديجاني .

التحق بكلية الشريعة في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة عام ١٤١٥هـ (١٩٩٤م) .

---

(١) مصدر هذه المعلومات زميله الطالب عصام الدين بن عناية الله ، وقد التقى به الباحث في شهر ٨/ ١٤١٦هـ

(٢) التقى الباحث بالطالب رحمة الله بن أحمد في المدينة المنورة يوم الأربعاء ٢٨ ذي القعدة عام ١٤١٦هـ ، الموافق (١٧/ ٤/ ١٩٩٦م) .